في رياض القرآن الكريم
كتاب الدعوة الأول

تأليف

دكتور جلال سعد البشار

المدرس بكلية الدعوة الاسلامية
جامعة الأزهر بالقاهرة

١٩٩٢ -١٤١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾

صدق الله العظيم

(الإسراء ٩/١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه الكتاب ولم يجعل له عوجا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد. فأدى الأمانة وبلغ الرسالة، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبد ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم فصلاة وسلاماً دائمين متلازمين عليه وآله وصحبه ومن دعا بدعوته والتزم شريعته وتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ..

فلقد أنزل الله القرآن الكريم على رسوله ﷺ وأمره بتبليغه ودعوة الناس إليه للعمل بما فيه، حيث قال: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(١) وقال: ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ...﴾(٢) أي من بلغه القرآن، وفي الخبر: «من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ...».

فكان سلوك الرسول ﷺ في العبادات والمعاملات بكل صورها ومجالاتها تجسيداً لأوامر القرآن فكان قرآناً يتحرك، وقد وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: «كان خُلُقه القرآن ..» ، فكانت سُنَّة النبي ﷺ القولية والفعلية والتقريرية تطبيقاً وتنفيذاً لأوامر القرآن، كما كانت شرحاً وتوضيحاً له، كما كان بعضها تقييداً لمطلقه، أو تفصيلاً لمُجمله.. فكانت بمثابة «مذكرة تفسيرية» للقرآن، وأوامر القرآن صريحة في وجوب اتباع السُنَّة، وإقرار حجيتها مع القرآن، كقوله تعالى: ﴿من يُطع

---

١) المائدة من آية ٦٧.
٢) الأنعام من آية ١٩.

الرسول فقد أطاع الله ..﴾(١) وقوله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾(٢) وقوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(٣) كما جعل الله اتباع الرسول والتزام ما جاء به وما دعا إليه دليل محبة العبد لله فقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾(٤)

فالقرآن هو كتاب الدعوة الأول، وعندما نقول: الدعوة، فإننا نعني بها إطلاقي الدعوة:

أ - الدعوة بمعنى الدين نفسه بمكوناته: العقيدة والشريعة الأخلاق وهذا من إطلاق الدعوة على المدعو إليه.

ب - الدعوة بمعنى التبليغ وحث الناس على التزام الدين: وركائز هذا العقل والفطرة وأساليب تلك الدعوة كلها تدور حول الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحُسنى، وجناحاها الترغيب والترهيب.

وهذان المعنيان للدعوة تضمنهما القرآن حيث بيَّن في مُحكم آياته أصول العقيدة من الإيمان بالله وتوحيده والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقَدَر، وبيَّن سائر العبادات، ومكارم الأخلاق، كما رسم لنا نماذج لفن التبليغ في ذِكر قصص الرسل مع أقوامهم ومحاوراتهم معهم. وحديثه عن الجنة ونعيمها والنار وأهوالها وارتباط كل ذلك بنوع العمل.. وهذا كله توجيه لكل داع مُبَلِّغ ليقتدي ويحذو حذوه، مستمداً منهج تبليغه وأساليبه من القرآن ليوفَّق في دعوته.

ولأن القرآن هو المصدر الأول للدعوة، فقد جعل الله تعالى قراءته عبادة، وتدبُّر آياته ذِكراً - فدعا إلى تلاوته وتدبر آياته والعمل بأحكامه، وكل مسلم مُخاطب بتلك الأوامر لقراءة القرآن.

وقد بيَّن لنا رسول الله ﷺ ثواب قارئ القرآن وفضله وما له من عظيم الأجر وجزيل الثواب في العديد من أحاديثه الشريفة وتوجيهاته السامية، كما نتعبد لله بتلاوته.

---

١) النساء : ٨٠.
٢) آل عمران : ٣٣.
٣) الحشر : ٧.
٤) آل عمران : ٣١.

وحتى ينال قارئ القرآن الأجر على قراءته لابد أن يلتزم طريقة النبي ﷺ في القراءة ويقتدي به في كيفية التلاوة، حيث أقرأ الله تعالى نبيه القرآن بواسطة جبريل عليه السلام عندما كان يعارضه بالقرآن ويعلّمه النطق الصحيح للقرآن، وقد امتن الله تعالى على رسوله ﷺ بذلك حيث قال: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه﴾(١).

وقال: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾(٢) وقوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾(٣) فكان أول واضع لأحكام التلاوة والتجويد من الجانب العملي هو النبي ﷺ عن طريق الممارسة والتطبيق وذلك بالتلقي المباشر من جبريل عليه السلام. لذلك فإن محاكاة المسلم قراءة النبي ﷺ من الواجبات عند قراءة القرآن ليتحقق له الأجر الكامل والثواب العظيم.

وحتى يبقى القرآن مصدر تشريع وتبليغ دائماً وخالداً إلى يوم القيامة فقد حفظه الله من أيدي المحرِّفين والمبدِّلين فصانه ووعد بصيانته وحفظه إلى يوم القيامة حيث قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٤) فحفظه في الصدور والألسنة وفي السطور، وقيَّض الله من خَلْقِه من يقوم بذلك في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة، ليتحقق وعد الله عباده بحفظ كتابه.

وهذه الدراسة التي نحن بصددها في هذا الكتاب، تهدف إلى:

١- تهيئة المسلم نفسياً وذهنياً للجلوس إلى كتاب الله وقراءته وتدبُّر ما فيه من تشريعات ومواعظ وعِبَر، للاهتداء بها في حياته.

٢- دعوة المسلم إلى القراءة والتدبر، والارتباط بالقرآن وهذه الدعوة عن طريق إيراد نصوص من السُنَّة النبوية الشريفة تُبيِّن فضل قراءة القرآن ومكانة قارئه، ومكانة القرآن من التشريع.

٣- تقرير أن هذا الكتاب محفوظ من الله تعالى لا يعتريه تغيير ولا تبديل على مدى

---

١) القيامة : ١٧/١٨.
٢) الأعلى : ٦.
٣) الشعراء : ١٩٣/١٩٥.
٤) الحجر : ٩.

الأزمان، وقد وجَّه الله قلوب من يُحب من العباد للاعتناء به من حيث التحديد الدقيق لمنازله من حيث تَتَبُّع مكان النزول وزمانه وما ارتبط به من سبب، وبلغت دقة تَتَبُّع هؤلاء العلماء أن حددوا ما نزل من آيات القرآن ليلاً ونهاراً، وما نزل صيفاً أو شتاءً، أو في السفر أو الحَضَر.. إلخ تلك الموضوعات التي زَخَرَت بها تفصيلاً كتب علوم القرآن.. وقد أوردنا بعضاً من هذه البحوث وتلك الموضوعات كأمثلة للاسترشاد على دعوى الحفظ له مصدراً أصلياً للدعوة.

ويتضح لنا ذلك جلياً بمقارنة تلك الجهود في المحافظة على القرآن والاعتناء بكل صغير وكبير يتعلق به، بتلك الكتب الأخرى كالتوراه والإنجيل مثلاً حيث يعتري الشك مجرد نسبتهما إلى أصحابهما بالإضافة إلى تحريف النص نفسه – حيث لم يوجِّه الله إليهما من يعتني بهما ويحفظهما لأنه لم يَعِد بذلك، ولعل هذا يرجع إلى أن تلك الكتب لم تُنزل لتَخْلُد أو ليتم بهما الإعجاز، وإنما هي موقوتة برسالة من أُنزلت إليه، ونزول القرآن كآخر كتاب سماوي قد تضمَّن أحكام تلك الكتب وبيَّن ما اعتراها من تحريف ببيان الصحيح في تلك الكتب – حيث اشتمل على أحكامها وزاد عليها: لقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً...﴾(١) فظاهر تلك الآية قد بيَّن لنا أن هذا الكتاب وهو القرآن صدَّق ما سبقه من الكتب السماوية وزاد عليها وهيمن، وأمر النبي ﷺ بالحكم بين الناس بما أنزل الله إليه من القرآن لأنه في نفس الوقت حُكْم بما أنزل الله إليهم في كتبهم، أما الهوى فهو ما حرَّفوه وغيَّروه تبعاً لميولهم وأهوائهم وأغراضهم الخاصة.

٤- وهذا القرآن مصدر الدعوة يجلس الدعاة فيتأملون آياته فيعتبرون بقصصه واستنباط الأساليب المناسبة لأحوال المدعوين، والاستفادة من أسلوب القرآن ومنهجه في مناقشة قضايا العقيدة وسائر قضايا الدعوة..

---

١) المائدة: آية ٤٨.

والوقوف أمام القصص القرآني خاصة محاورات الرسل مع أقوامهم مفيد جداً لمن يباشرون عملية التبليغ - فقد جعل الله القصص كله لا للتسلية فقط وإنما للعِظَة والعِبرة والتشريع حيث إن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يَرِد ما ينسخه، وقد قال تعالى في آخر سورة يوسف: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب...﴾ (١) كما استهل ذلك القصص بقوله: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ (٢) وفي سورة الشعراء يختم كل قصة مما ورد فيها قوله: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾(٣)..

فالقصص في القرآن مَسُوق للعبرة والعظة، واستنباط القواعد الدعوية وقد سبقت الإشارة إلى أنه مصدر الدعوة بمعنى الدين والتشريع.

٥- ولقد لَفَت القرآن الكريم أنظار الناس إلى مظاهر القدرة الإلهية من دقة الخَلْق والصُنع في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾(٤) وقوله: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾(٥) .. وعُدَّ ذلك من تلك الآيات الكونية الدالة على القُدرة والعلم والحياة والإرادة وسائر الصفات.. وهذه الآيات التي دعت إلى النظر والفِكر والتأمل وجَّهت الأنظار إلى البيئة المحيطة وعناصرها المختلفة ومصادر الرزق كالآيات التي تحدثت عن الليل والنهار وتعاقبهما وإنزال الماء والرزق.. والجبال والكواكب .. وغيرُ ذلك مما يفتح الباب أمام العلماء فيزدادون خشية وإيماناً حيث إنهم وغيرهم يدركون تلك النِعَم فيُذعِنون ويؤمنون..

ومن ناحية أخرى يسترعي أنظار العلماء والمتخصصين فيتأملون ويبحثون ويحلّلون ويستفيدون ويفيدون - يبتكرون ويخترعون ما يعلو بالأمة ويرفع شأنها ويُعلي مكانتها بين الأمم.

---

١) يوسف : ١١١.
٢) يوسف : ٧.
٣) الشعراء : ١٢١/١٢٢.
٤) آل عمران : ١٩٠.
٥) يونس : آية ١٠١.

أضف إلى كل هذا التعرف على ما في القرآن من وجوه الإعجاز التي حصلت بها معجزة تحدى الله بها البشر إلى يوم الدين.

ولهذا كله وَجَبَ على كل مسلم أن يرتبط بكتاب الله تلاوة وحفظاً، وتأملاً واعتباراً، ودراسة واستنباطاً وتحليلاً، وعبادة، وقُربة إلى الله تعالى..

ولذا فإن هذه الدراسة عبارة عن قسمين:

الأول : تقرير لحفظ الله تعالى لكتابه والاستشهاد على ذلك ببعض بحوث علوم القرآن من خلال المراجع الأصلية مع ربطها دعوياً بالقرآن، ثم تَتَبُّع الآيات القرآنية التي تحدثت عن القرآن مع تبويبها موضوعياً، ثم حديث السُنَّة عن القرآن لتأكيد الدعوة إليه، ثم بيان لارتباط القرآن بالدعوة بقسميها..

الثاني : عرض موجز لأحكام التلاوة من خلال عرض متن التحفة، ومتن الحزرية، وهما من أهم مراجع علم التجويد - ثم شرح مبسط لما تضمناه من أحكام لينتفع بهما قاريء القرآن الذي يبتغي الأجر والقبول.

فهذا الكتاب بمثابة إعداد نفسي وعقلي وتهيئة ذهنية للمسلم ليرتع في رياض القرآن - ويهتدي به في كل مجالات الحياة.

وهو كذلك بمثابة دعوة جادة إلى الارتباط بالقرآن والجلوس إلى مائدته والنهل من معينه العذب، وإشباع الروح والعقل من آياته وهديه للفوز بسعادة الدنياوالآخرة.

ولينظر في آياته وما تضمنته من أوامر ونواهي - وعقيدة وشريعة ليلتزم بها ويعمل بما فيها، ويعتبر بمواعظها وعِبَرها.

وأخيراً ليرقى بما يقرأ ويحفظ - يوم القيامة عندما يُقال له: اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، وليسعد ويطمئن في حياته ويعلو شأنه ويأمن على نفسه ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾..

وهذه الدراسة التي بين أيدينا هي جهد المُقِّل. في مجال الدعوة والدراسات القرآنية، فإن وُفِّقت فيها وأصبت فذلك من الله العلي القدير.. وإن كانت الأخرى

فطبيعة العبد هي التقصير.. فأسأل الله سبحانه أن يعفو عن الزلات ويكفّر السيئات ويمحو الخطايا.. وأن يجعل تلك المحاولة في ميزان حسناتي يوم القيامة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

والله هو الموفّق والهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

دكتور / جلال سعد البشار

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

الباب الأول
القـرآن والـدعـوة

ويشمل :

١- حفظ القرآن كتاباً للدعوة.

٢- حديث القرآن عن القرآن.

٣- حديث السنة عن القرآن.

٤- القرآن والدعوة إلى الله .

الفصل الأول

حفظ الله القرآن .. كتابا للدعوة والعناية به

ويشمل المباحث الآتية :

١ - تحديد المكي والمدني.

٢ - تحديد الليلي والنهاري.

٣ - تحديد أول ما نزل وآخر ما نزل منه.

٤ - تحديد الصيفي والشتائي.

٥ - تحديد الأرضي والسمائي.

٦ - تحديد السفري والحضري.

٧ - تحديد الابتدائي نزوله والمسبب.

٨ - تحديد الفراشي والنومي.

تمهيد

عندما أنزل الله الكتاب على عبده ونبيه محمد ﷺ ليهدي به عباده إلى طريق الحق والصواب وينأى بهم عن طريق الضلال والفساد وليسد باتباعه طرق الشيطان إلى قلوبهم، أنزل وقد شمله بوعد منه جل وعلا بالحفظ والصيانة من التحريف والتبديل حيث قال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر آية ٩).

فحفظه في الصدور والسطور وقيَّض له حَفَظَه يحملونه في كل العصور والأجيال ويتناقلونه من جيل إلى جيل ومن زمان إلى زمان بلا أي تحريف وتغيير أو نسيان.

وقد حظى القرآن الكريم على مر الزمان بعناية المسلمين في الحفظ والتجويدوالتفسير وتاريخ المصحف وغير ذلك.

كما حظى كذلك باعتناء الكُتَّاب والناشرين حيث يتفننون في طباعة المصحب والعناية به وقد يكون مثلاً صاحب المطبعة غير مسلم لكنه قد توجه إلى التجديد والعناية في طبع المصحف وتغليفه ليكون ربحه أكثر، ولكن وجَّهَهُ إلى ذلك رب العالمين ليتحقق الوعد بالحفظ للكتاب الكريم وقد قال الله تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أي جمع في الصدور والسطور، وإقراءك إياه.

ولقد اهتم سلفنا الصالح والتابعون بتتبع كل شيء عن القرآن حيث تقصوا بدقة أماكن النزول وأزمنته وبيان المكي منه والمدني، كما حددوا ما نزل في الإقامة أو في السفر، وما نزل ليلاً أو نهاراً، وما نزل صيفاً أو شتاءً.. وهكذا، وهذا لم يتوفر لأي كتاب سماوي سوى القرآن ليبقى مصدراً للتشريع صافياً لا ينضب معينه، ومعجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة.

وفيما يلي نماذج من تلك البحوث ليتحقق في نفس القارىء ما

ذكرناه من الحفظ والعناية والتدليل على تحقق وعد الله تعالى، وما في ذلك من الدلالات الدعوية الممكنة التي يمكن أن يهتدي بها الدعاة إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

* * * * *

المبحث الأول

القرآن مكي ومدني

استغرقت بعثة النبي ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة قضى منها ثلاث عشرة سنة في مكة، وعشر سنوات في المدينة. وقد كان القرآن ينزل عليه في الفترة كلها، وكان لأهل مكة أسلوب خاص ومتميز في حوارهم وجدلهم، كما كانت فترة البناء العقدي وإحقاق الرسالة والبرهنة على صدق حاملها ومبلغها عن ربه، بينما كان العهد المدنى مرحلة بناء اجتماعي وأخلاقي .نُظّمت فيه العلاقات الإنسانية بوضع الضوابط الشرعية لتحديد العلاقات الأسرية، والسياسية، والدولية.. و إيضاح علاقة دولة الإسلام بغيرها من الدول، ولذا فإن ما نزل من القرآن بمكة يتميز بخصائص عن ما نزل منه بالمدينة ولكل منهما مميزاته وخصائصه.

ما المراد بالمكي والمدني؟

هذا تساؤل نعنى به تحديد المعانى وإبراز المصطلحات، وقد أجاب العلماء عن ذلك بعدة إجابات تمثل آراءهم في تحديد كل من المكي والمدني من القرآن:

١- قال فريق منهم: إن المكي ما نزل بمكة، والمدنى ما نزل بالمدينة.

٢- وقال فريق آخر: إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدنى ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

٣- وقال فريق ثالث - وهذا رأي الجمهور - : إن المكى ما نزل قبل الهجرة وإن كان في المدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو كان بمكة(١).

من خلال تلك التعريفات نجد أن لتفريق العلماء بين المكى والمدنى اعتبارات مختلفة ينظرون إليها:

فأصحاب القول الأول: نظروا إلى مكان النزول (مكة - أو المدينة).

وأصحاب القول الثاني: نظروا إلى المخاطبين بالقرآن، وهم أهل مكة أو أهل

---

١) البرهان - الزركشي - ط دار المعرفة - ص ١٨٧.

المدينة.

وأصحاب القول الثالث: نظروا إلى زمن نزول القرآن - وهو قبل الهجرة أو بعدها.

ولكن يترتب على هذه الاعتبارات عدة اعتراضات وتساؤلات:

أ - فما يترتب على اعتبار مكان النزول (مكة أو المدينة) عدم ثنائية القسمة إذ أن أماكن النزول ليست مكة أو المدينة فقط، فهناك من القرآن ما نزل بالأسفار كسورة الفتح مثلاً، ومنه ما نزل بتبوك، وما نزل ببيت المقدس، فكل هذا في غير مكة أو المدينة فلا يدخل تحت المكى أو المدني، كما يترتب عليه أن ما نزل بعد الهجرة بمكة يوصف بأنه مكي.

وبمقتضى هذا القول نتساءل : بم نصف ما نزل من القرآن في غير مكة أو المدينة؟

ب - وما يترتب على اعتبار المخاطبين بالقرآن (أهل مكة أو المدينة) وهذا مبنى على أن ما كان بمكة يبدأ بيا أيها الناس، وإن ما كان بالميدينة يبدأ بيا أيها الذين آمنوا.

وبالملاحظة يتبين أن أكثر سور القرآن لم تبدأ بأحد الخطابين وأن هذا الضابط غير مضطرد.

فسورة البقرة مدنية، ومع ذلك ففيها: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم﴾ (١) ، وفيها: ﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً﴾(٢) ، وسورة الحج مكية، وفيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾(٣).

وعلى هذا فيسلم لنا القول الثالث في تحديد معنى المكى والمدنى والذى اعتبر زمن النزول (قبل الهجرة أو بعدها).

---

١) البقرة آية ٢١.
٢) البقرة آية ١٦٨.
٣) الحج آية ٧٧.

مميزات المكي والمدني :

استقرأ العلماء وتتبعوا سور القرآن المكي والمدني واستنبطوا قواعد أساسية وقياسية للتمييز بين المكي والمدني، ومما استنبطوه ما يلي:

أ - مميزات القرآن المكي وخصائصه :

١- كل سورة فيها سجدة مكية.

٢- كل سورة فيها (كلا) مكية - ولم ترد إلا في النصف الثاني من القرآن.

٣- كل سورة فيها نداء ﴿يا أيها الناس﴾ وليس فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ مكية، إلا سورة الحج حيث أنها مكية ومع ذلك فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة مكية.

٥- كل سورة فيها ذكر آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

٦- كل سورة تبدأ بحروف الهجاء (ألم - المر - ألر - ق - ص ..) مكية إلا البقرة وآل عمران، وفي الرعد خلاف.

٧- موضوعات القرآن المكي تدور حول المعاني الآتية :

أ - الدعوة إلى التوحيد، وإثبات الرسالة، والبعث والجزاء، وذكر القيامة، وأهوالها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والأدلة الكونية - وهذا هو جانب العقيدة.

ب - وضع الأسس العامة للتشريع، والفضائل وفضح الجرائم التي يفعلها المشركون من سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

ج - ذكر قصص الأنبياء زجراً لهم، والأمم السابقة للعبرة والعظة بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية الرسول ﷺ ليصبر على أذاهم.

كما تميز هذا القسم بمنهج دعوي متميز يناسب أحوال المخاطبين بالآيات ومن على شاكلتهم ممن يأتي بعدهم.

٨- ومن ناحية الألفاظ :

فتتسم بقصر الفواصل، وقوة الألفاظ، وإيجاز العبارة بما يصُخّ الآذان ويشتد قرعه على المسامع ويصعق القلوب.

كما يؤكد المعنى بكثرة القَسَم.

ب - مميزات القرآن المدني وخصائصه :

١- كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

٢- كل سورة ذُكِرَ فيها المنافقون فهي مدنية - سوى العنكبوت.

٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب - مدنية.

٤- موضوعات القرآن المدني تدور حول ما يلي :

أ - بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة والمواريث، والجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية والحروب وقواعد الحكم ومسائل التشريع.

ب - مخاطبة أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتاب الله ، وتجنِّيهم على الحق واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

ج - الكشف عن سلوك المنافقين وتحليل نفسيتهم وإزاحة النتار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

٥- ومن ناحية الألفاظ :

فتتسم بطول المقاطع، والآيات في أسلوب يقرِّر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها(١).

وهذا أيضاً له أسلوب متميز في الدعوة تتناسب مع أحوال المدعوين والتركيبة الاجتماعية بالمدينة بعد الهجرة.

---

١) انظر البرهان للزركشي ص ١٨٨، وانظر مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - ط مؤسسة الرسالة ص ٥١ ، ص ٦١.

بيان السور المكية والسور المدنية في القرآن :

إذا أردنا أن نذكر ذلك - فسوف نبين من القرآن السور المتفق علي مدنيتها، والسور المتفق على مكيتها، وبيان السور المختلف فيها هل هي مكية أو مدنية؟ .

أ - **السور المختلف فيها هل هى مكية أو مدنية ؟**

وهذه السور على التوالى: الفاتحة - الرعد - الرحمن - الصف - التغابن - المطففين - القدر - البينة - الزلزلة - الإخلاص - الفلق - الناس.

فعددها اثنتا عشرة صورة.

ب - **السور المتفق على أنها مدنية :**

وهى على النحو التالى: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنفال - التوبة - النور - الأحزاب - محمد - الفتح - الحجرات الحديد - المجادلة - الحشر - الممتحنة - الجمعة - المنافقون - الطلاق - التحريم - النصر.

فعددها عشرون سورة.

ج - **السور المتفق على أنها مكية :**

وهي السور الباقية بعد اسقاط عدد المختلف فيها وعدد المتفق على مدنيته وإجمالى النوعين اثنتان وثلاثون سورة، من إجمالى سور القرآن وهي مائة وأربع عشرة سورة، يبقى اثنتان وثمانون سورة وهى المتفق على مكيتها - وهي ما يلى:

الأنعام - الأعراف - يونس - هود - يوسف - إبراهيم - الحجر - النحل - الإسراء - الكهف - مريم - طه - الأنبياء - الحج - المؤمنون - الفرقان - الشعراء - النمل القصص - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة - سبأ - فاطر - يس - الصافات - ص - الزمر - غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف - ق - الذاريات - الطور - النجم - القمر - الواقعة - الملك - القلم - الحاقة - المعارج - نوح - الجن - المزمل - المدثر - القيامة - الإنسان - المرسلات - النبأ - النازعات - عبس - التكوير - الإنفطار - الإنشقاق - البروج - الطارق - الأعلى - الغاشية - الفجر - البلد - الشمس - الليل - الضحى - الشرح - التين - العلق - العاديات - القارعة - التكاثر - العصر -

الهمزة - الفيل - قريش - الماعون - الكوثر - الكافرون - المسد.

فإجمالي عددها كما نرى اثنتان وثمانون سورة متفق على مكيتها.

الآيات المكية في سور مدنية ، والآيات المدنية في سور مكية :

ولنا أن نتساءل الآن : هل إذا وصفنا سورة بأنها مكية، أو بأنها مدنية فهل نعني بهذا الوصف كل السورة؟ ويعني هذا أن كل آيات السورة مكية، أو مدنية؟ والحق أن الوصف هذا بحسب الغالب في آيات السورة فقد توجد آيات مكية في سور مدنية أو العكس.

ومن أمثلة ذلك :

أ - آية مكية في سورة مدنية : كقوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾(١) فهي آية مكية في سورة الأنفال، وهي ممدنية، قال مقاتل: هذه الآية نزلت بمكة، وظاهرها كذلك لأنها تضمنت ما جرى بين المشركين في دار الندوة عندما تآمروا على النبي ﷺ قبل الهجرة(٢).

ب - ومن الآيات المدنية التي نزلت في سور مكية : كقوله تعالى: ﴿قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ...﴾إلى آخر الآيات الثلاث(٣). وهي في سورة الأنعام، وتلك السورة مكية، وقال ابن عباس إنها نزلت بمكة جملة واحدة إلا هذه الآيات،

ومن ذلك أيضاً آيات لاث في سورة الحج من قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم .... إلى آخر الآيات الثلاثة﴾(٤).

فهذه الآيات مدنية نزلت في سورة الحج وهي مكية.

---

١) الأنفال آية ٣٠.
٢) مناع القطان - مباحث في علوم القرآن ص ٥٥ ، ص ٥٦.
٣) سورة الأنفال الآيات ١٥١ - ١٥٣.
٤) سورة الحج الآيات ١٩ - ٢١.

ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي:

أ - هناك آيات نزلت بمكة وحكمها مدني: أي تتحدث في موضوع من موضوعات القرآن المدني، من هذه الآيات:

١- قول الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.. إلى آخر الآيات الثلاثة(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(٢).

فآيات المائدة نزلت يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات، وبركت ناقته ﷺ من هيبة القرآن وهي مدنية لنزولها بعد الهجرة(٣).

أما آيات الحجرات فقد نزلت بمكة بعد الفتح.

والعلماء لا يسمون ذلك مكياً ولا مدنياً بالتحديد بل يقولون: ما نزل بمكة وحكمه مدني.

ب - وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، قول الله تعالى:

١- ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾(٤)... إلى آخر السورة كلها مدنيات يخاطب بها أهل مكة.

٢- ومنها: سورة الرعد(٥) والمخاطب بها أهل مكة وهي مدنية لنزولها بعد الهجرة.

٣- ومنها قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله

---

١) سورة المائدة الآيات ٣ - ٥.
٢) الحجرات آية ١٣.
٣) انظر البرهان ص ١٩٥.
٤) النحل ٤١.
٥) السورة رقم ١٣ بالمصحف.

إن شاء إن الله عليم حكيم﴾(١). فهى خطاب لأهل مكة ولكنها مدنية.

٤- ومن ذلك: «سورة الممتحنة»(٢) فإنها نزلت بالمدينة باعتبار المكان ولكن الخطاب فى ثناياها موجه إلى أهل مكة.

٥- ومن ذلك أول سورة براءة(٣) نزل بالمدينة، ولكن الخطاب موجه إلى مشركى مكة(٤).

* * * * *

---

١) التوبة آية ٢٨.
٢) السورة رقم ٦٠ بالمصحف.
٣) السورة رقم ٩ بالمصحف.
٤) انظر البرهان - الزركشي ١٩٥، ومباحث في علوم القرآن ص ٥٥.

عندما نتحدث عن المكي والمدني من القرآن مبرزين سمات كل نوع منهما فليس ذلك لمجرد خط السطور واستعراض المعلومات، وإنما بمعرفة ذلك يمكننا أن نرى كيف ساير القرآن أهل كل بيئة بما يلائمهم نفسياً وعقدياً ووجدانياً، فطبيعة أهل مكة تختلف عن طبيعة أهل المدينة من حيث حدة الطبع أو سماحتها، ومن حيث التهيئة النفسية قبيل الدعوة ومعاشرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى..

فالقرآن ككتاب دعوة ودستور حياة يرسم أمامنا نموذجاً في كيفية مراعاة حال المدعو من حيث أسلوب المخاطبة وتقرير بطلان عقيدته وإثبات صحة عقيدة التوحيد، وصدق الرسالة متدرجاً في كل ذلك مع إمكانات العقل واستيعابه مخلصاً الفطرة مما علق بها من أباطيل وضلالات تراكمت عيها لطول مدة التمسك بالأباطيل ومحاكاة الآباء والأجداد في عبادة غير الله تعالى.

وقد استخدم القرآن في إقرار هذا المنهج «منهج التوحيد وتثبيت العقيدة» كل الوسائل والأساليب التي تُجلي فكرة التوحيد والنبوة - فتارة يلجأ إلى القصص أو إلى المثل أو إلى المناقشة العقلية الحرة الخالصة من التعصب والهوى، وإلى التحدي بمعجزة القرآن... وهذا كله لتأكيد صدق البلاغ عن الله تعالى.

ولقد شاء الله تعالى مع دأب النبي ﷺ على الدعوة والتبليغ والموعظة والجدل، أن يمر المسلمون بمحن عديدة حيث تعرضوا في سبيل عقيدتهم لشتى ألوان الأذى والتعذيب والتنكيل، ومع ذلك صبروا وتحملوا لأن العقيدة قد تمكنت من قلوبهم فهان عليهم كل شيء، هان عليهم الوطن عندما هاجروا وهانت عليهم النفس لما تحملوا التعذيب.

ففي الفترة المكية حدث تغيير جوهري فيمن آمن برسول الله ﷺ من حيث البناء النفسي والعقلي والوجداني والعقدي، ومن هؤلاء كان المهاجرون إلى المدينة الذين استقبلهم إخوانهم الأنصار بالحب والترحيب والإيثار على النفس، ومن هذه

التركيبة البشرية المتميزة تكون المجتمع الجديد بالمدينة، وهذا البناء الذاتي قد تم في مكة قبل الهجرة.

لذلك تميز المخاطبون بالقرآن فى المدينة، بسلامة العقيدة والتواد والتراحم والتعاطف.

ولذلك أيضاً نجد أن القرآن المدنى قد راعى هذا التكوين الجديد فوسَّع دائرة التشريع في بيان الحلال والحرام، ونظم المعاملات والمعاهدات والحرب والسلام وسائر العلاقات الاجتماعية والدولية..

وقد خاطب أهل المدينة بأحب الصفات إليهم وهي أنهم مؤمنون ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ داعياً إياهم إلى التعاون، والتأدب بالآداب الاجتماعية والتحلى بمكارم الأخلاق وسائر الصفات الكريمة والخصال الحميدة.

كما وضع في اعتباره وجود طوائف أخرى كاليهود والنصارى، وبيَّن خداع المنافقين.

وهذا ما يجب أن يراعيه الدعاة من الحرص على أن يلائم منهجهم الدعوى تكوين المجتمع الذى يدعون فيه واستخدام ما يناسبه من أساليب مراعين في ذلك التكوين النفسى، والاجتماعى، حتى يصادفوا النجاح المرجو في دعوتهم إلى الله تعالى.

فالدعوة إلى الله تحتاج إلى نهج خاص في أسلوبهم إزاء كل فساد في العقيدة والتشريع والخُلُق والسلوك، ولا تفرض تكاليفها إلا بعد تكوين النواة الصالحة لها وتربية اللبنات التى تأخذ على عاتقها القيام بها، ولا تُسن أسسها الاجتماعية إلا بعد طهارة القلب وتحديد الغاية حتى تكون الحياة على هدى من الله وبصيرة.

* * * * *

المبحث الثانى

القرآن ليلى ونهارى

ومن تقسيمات القرآن حسب وقت النزول تحديد ما نزل من القرآن ليلاً، وما نزل منه نهاراً.

وبالطبع فإن هذا يقتضي دقة بالغة في التحقيق التاريخى المتقن والدقيق فى معرفة وقت النزول ومناسبته.

وقد نزل أكثر القرآن نهاراً أما ما نزل منه ليلاً فقد ذكر له العلماء عدة أمثلة تتبعوها في الروايات فمن هذه الأمثلة لما نزل ليلاً ما يلى:

أ - آية تحويل القبلة :

قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾(١).

ففى الصحيحين من حديث ابن عمر: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ أتاهم آت فقال: إن النبى ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن تستقبل القبلة»(٢).

وهناك قول يقضى بأنها نزلت نهاراً بين الظهر والعصر وهو مبنى على رواية للبراء بن عازب أن النبى ﷺ كانت قبلته بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وإن أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: إن أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل الكعبة، فداروا كما هم قِبَل البيت.

فهذا يقضى إنها نزلت نهاراً بين الظهر والعصر.

ويعلق السيوطى على هذه الرواية بقوله: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولها بالليل لأن قضية أهل قباء كانت في الصبح، وقباء قريبة من المدينة فيبعد أن يكون

---

١) البقرة آية ١٤٤.

٢) متفق عليه.

الرسول ﷺ قد أخَّر البيان من العصر إلى الصبح (أ. هـ).

ب - ومن الآيات الليلية :

أواخر سورة آل عمران ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب..﴾(١).

حيث أخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة أن بلالاً أتى النبى ﷺ يؤذنه بصلاة الصبح، فوجده يبكى، قال: يارسول الله ما يبكيك؟ قال: «وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل عليّ: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»(٢).

فهذه الرواية تدل على أن الآية قد أنزلت على النبى ﷺ ليلاً قبل الفجر فى الفترة بين العشاء والفجر إذ لو نزلت في العشاء لأبلغها النبي إلى الصحابة عشاء.

ج - ومنها كذلك قول الله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾(٣).

حيث أخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت، فأخرج رأسه من القبة، وقال «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله»(٤) والمراد بالناس الذين كانوا يقومون بحراسته وقت نزول الآية ليلاً.

د - ومنها : سورة الأنعام :

حيث نزلت كاملة بمكة ليلاً حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح.

هـ - ومنها : سورة مريم :

فقد أنزلت ليلاً كما ورد في الطبرانى عن ابن مريم الغسانى، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: : «ولدت لي الليلة جارية، قال: والليلة نزلت عليّ سورة مريم، سمها «مريم».

و - ومنها : سورة الفتح :

ففى البخارى من حديث عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «لقد نزلت عليّ الليلة

---

١) آل عمران آية ١٩٠.
٢) رواه ابن حبان - كتاب التفكر.
٣) المائدة آية ٦٧.
٤) رواه الترمذى عن عائشة كتاب التفسير سورة المائدة ج ٥ ص ٢٥٠.

سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس فقرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.

فهذه أمثلة سقتها للتوضيح وليس للحصر والاستقصاء(١) ذكرتها لتقرير هذه النقطة لتدلل على مدى دقة العلماء والصحابة في تحديد منازل القرآن بدقة زماناً ومكاناً، وهذا ليس مستغرباً في حق هذا الكتاب الكريم وقد تكفل الله بحفظه على مدى الدهور ليكون نبراس هداية ومنهج حياة وكتاب دعوة وإرشاد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتحققاً لوعد الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٢)، وكذلك فيه إشارة إلى أن الدعوة إلى الله والتزام الشرع ليست محددة بزمن معين أو بمكان معين - بل هي مستمرة ليلاً ونهاراً - وهذا ما يجب أن يتنبه إليه الدعاة، فالدعوة دائمة مستمرة كما حكى القرآن عن نوح عليه السلام ﴿.. إن دعوت قومي ليلاً ونهاراً..﴾ فالداعي عليه أداء دعوته في كل المناسبات والأحوال. مادام الأمر قد اقتضى التوجيه والبيان(٣).

* * * * *

---

١) من أراد المزيد فليرجع إلى كتب علوم القرآن كالاتقان للسيوطي والبرهان للزركشي.
٢) الحجر آية ٩.
٣) وهذا على أساس أن القرآن دعوة من ا لخلقه إلى عبادته والتزام دينه عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

المبحث الثالث

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه

من المباحث الهامة فى الدراسات القرآنية معرفة ما نزل من القرآن أولاً، وما نزل منه آخراً.

وأول ما نزل: إما أن يراد به أول ما نزل من الآيات، أو أول ما نزل من سور كاملة، أو أول ما نزل في موضوع معين.

أ - أول ما نزل :

حول أول ما نزل ذكر السيوطى عدة آراء نوجزها فيما يلى :

١- الرأى الأول :

أن أول ما نزل هو ﴿اقرآ باسم ربك الذي خلق﴾ وهذا هو الصحيح والدليل على هذا الرأى: رواية الشيخين عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يأتي حِراء فيتحنث فيه الليالى... «وجاءه الملك وهو في غار حِراء فقال: اقرآ فقال النبى ﷺ : «ما أنا بقارىء» قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، قال فأخذنى فغطنى الثانية، حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرآ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرآ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم».. الحديث(١).

فهذا الحديث يلجل على أن أول ما نزل على النبى ﷺ هو الآيات الخمس الأول من سورة اقرآ.

٢- الرأى الثانى :

أن أول ما نزل سورة المدثر.

---

١) الحديث بتمامه رواه مسلم عن عائشة - باب بدء الوحى ج ١ ص ٢٠ ط دار الفكر - ورواه البخارى. وهذا اللفظ لمسلم.

ودليل هذا الرأى رواية الشيخين عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله : أى القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: أو اقرآ باسم ربك؟ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ : «إنى جاورت بحِراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو يعنى جبريل، فأخذتنى رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر﴾.

وأرى أن هذه الرواية ليست فيها دلالة قاطعة على أن أول ما نزل مطلقاً هو سورة المدثر لأن قول النبى ﷺ : «فإذا هو» يعنى جبريل يدل على أنه رآه قبل ذلك وله به معرفة عندما نزل عليه بسورة اقرأ أول مرة في غار حِراء، فلا مانع أن تكون المدثر وماحدث قبلها من رؤيته جبريل، وقع بعد نزول جبريل عليه لأول مرة في غار حِراء.

ويذكر السيوطى عدة ردود على رواية أن أول ما نزل «المدثر» منها :

١- لعل سؤال أبى سلمة كان عن أول سورة كاملة نزلت على النبى ﷺ فأجابه بأنها «المدثر» حيث إن «اقرأ» لم تنزل كاملة عليه، ويؤيد هذا الرواية الأخرى التى قال النبى فيها عن جبريل: «فإذا الملك الذي رأيت في حراء ... إلخ».

ففيها بيان لأن النبى قد رآه قبل فى غار حراء.

٢- لعل المراد بالأولية أولية مخصوصة بعد فترة الوحى وليست أولية مطلقة.

٣- أو أنها أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار والتبليغ، حيث لم يؤمر النبى ﷺ قبلها بالإنذار، فهى أول ما نزل في الانذار.

٤- المراد أول ما نزل بسبب متقدم عليها، وهو ما وقع من التدثر من الرعب عند نزول جبريل في المرة الأولى.

٥- في هذه الرواية رَد جابر بن عبد الله كان من اجتهاده وتقدم عليه رواية عائشة الدالة على أن «اقرأ» أول ما نزل مطلقاً.

وأرى صواب ردود السيوطى، تأييداً للرواية الأولى، التي يكاد العلماء أن يجمعوا عليها، خاصة وأن أوليات النزول لها اعتبارات حسب الموضوعات كأول

ما نزل مطلقاً، وأول ما نزل في الميراث وأول ما نزل في الخمر، وأول ما نزل في الحج.. وهكذا.

٣ - الرأي الثالث :

أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة.

حيث يذهب البعض إلى أن الفاتحة أول ما نزل ويستدلون على ذلك برواية البيهقي في الدلائل، والواحدي: أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: إذا خلوت وحدي سمعت نداء، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً، فقالت: معاذ الله، ما كان الله ليفعل بك، فوالله، إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له، وقالت: إذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا فقصّا عليه، فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، يا محمد فأنطلق هارباً في الأفق، فقال: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين .... حتى بلغ ولا الضالين﴾.

ويعلق البيهقي على الرواية بقوله: «إن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت سورة اقرأ والمدثر»(١).

وهذا التعليق مقبول لتعاضد الروايات على ذلك.

٤ - الرأي الرابع :

أن أول ما نزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وأول سورة اقرأ، ويدلل أصحاب هذا الرأي عليه برواية عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه قال: أول ما نزل جبريل على النبي ﷺ قال: يا محمد استعذ بالله ثم قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

ولكن يا ترى هل يُعد هذا رأياً بذاته؟ : يعجبني في ذلك تعقيب السيوطي تعليقاً على هذا القول: «وعندي أن هذا لا يُعد قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة،

---

(١) دلائل النبوة - البيهقي.

نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق(١).

وعلى هذا فإن البسملة نزلت مع كل سورة أو نزلت مرة للفصل بها بين السور(٢).

من أوائل ما نزل في الموضوعات:

سبق أن أشرنا إلى أن هناك اعتبارات في أول ما نزل في موضوعات معينة، فمن تلك الأمثلة:

أ - أول ما نزل في القتال: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ (٣) ، وقيل: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾(٤) وقيل: ﴿إن الله اشترى﴾(٥) والصواب الأول.

ب - أول ما نزل في القتل قوله تعالى: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً﴾(٦).

ج - أول ما نزل في الخمر - ثلاث آيات مترتبة كما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾(٧).

٢- وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾(٨).

٣- وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل اليطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون...﴾(٩).

فلما نزلت آية البقرة قالوا: دعنا ننتفع بها، ولما نزلت آية النساء

---

١) انظر الإتقان للسيوطى ص ٣٠ وما بعدها بتصرف شديد.
٢) سيأتى بيان حكم البسملة عند الحديث عن حكم البسملة فى مبحث التلاوة.
٣) الحج آية ٣٩.
٤) البقرة آية ١٩٠.
٥) التوبة آية ١١١.
٦) الإسراء آية ٣٣.
٧) البقرة من آية ٢١٩.
٨) النساء من آية ٤٣.
٩) المائدة آية ٩٠.

قالوا: لا نشرب قرب الصلاة، فلما نزلت آية المائدة قالوا: حرمت حرمت..

د - وأول ما نزل في الأطعمة، قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾(١).

ثم آية النحل: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون﴾(٢).

ثم آية البقرة: ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم﴾(٣).

ثم آية المائدة: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وإن تستقسموا بالأزلام... الآية.﴾(٤).

ه - وأول سورة نزلت فيها سجدة : سورة النجم(٥).

ب - آخر ما نزل من القرآن :

بعد أن بيَّنا الآراء في أول ما نزل من القرآن نأتي لنتعرف على آراء العلماء في آخر ما نزل منه.. وللعلماء عدة آراء في تلك المسألة نوجزها فيما يلي:

١- قيل : إن آخر ما نزل قول الله تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة..﴾(٦)
فهذه آخر آية نزلت.
وأما آخر ما نزل من السور فهو سورة براءة..(٧).
كما في رواية الشيخين عن البراء بن عازب.

---

١) الأنعام آية ١٤٥.
٢) النحل آية ١١٤.
٣) البقرة آية ١٧٣.
٤) المائدة آية ٣.
٥) السجود في سورة اقرأ ليس أول آية فيها سجود، إذ أن آية السجدة في سورة اقرأ متأخرة عن نزولها - ونزلت قبلها آية النجم.
٦) النساء ١٧٦
٧) السورة رقم ٩ بالمصحف.

٢- وقيل: إن آخر آية نزلت آية الربا ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾(١).

٣- وقيل أن آخر آية: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾(٢) وكان بين نزولها وبين موت النبى ﷺ واحد وثمانون يوماً.

وقيل: إنها آخر ما نزل من القرآن كله وكان بينها وبين موت النبى تسع ليالى.

٤- كما قيل: إن آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا، وآية الدين(٣). ويجمع السيوطى بين كل هذه الأقوال فى آية الربا: واتقوا يوماً، وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قضية واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل أنه آخر إذ هى معطوف عليهن»(٤).

آخر ما نزل فى الموضوعات:

كما أن هناك أول ما نزل في موضوعات معينة فهناك أيضاً آخر ما نزل في الموضوعات.

فقد سبق أن ذكرنا أقوالاً منها أن آخر ما نزل آية الكلالة في آخر سورة النساء، ومنها أن آية الربا آخر ما نزل فيمكن الجمع بين هذين القولين أن الآخرية في آية النساء مقيدة بالمواريث، إذ أنها آخر ما نزل فى المواريث.

وآية البقرة آخر ما نزل في الربا.... وهكذا فى سائر الموضوعات في كل منها أول ما نزل ثم آخر ما نزل فيها.

أقوال وردود في آخر ما نزل من القرآن:

هناك آراء أخرى حول آخر ما نزل من القرآن ... فمن تلك الآراء:

أ - أن آخر ما نزل الآيتان الأخيرتان من سورة التوبة: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم

---

١) البقرة آية ٢٧٨.
٢) البقرة آية ٢٨١.
٣) البقرة آيتا ٢٨١ ، ٢٨٢.
٤) انظر الإتقان للسيوطى ص ٣١.

... إلى آخر السورة﴾(١).

فقد روى عن أبيّ إنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر وكان رجال يكتبون فلما انتهوا إلى قوله تعالى: ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾(٢) ظنوا أنها آخر ما نزل، فقال لهم أبي بن كعب: أن رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم.. إلى.. وهو رب العرش العظيم﴾ وقال: هذا آخر ما نزل.

ب - وآخر سورة نزلت: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾(٣).

ويقول البيهقي : يجمع بين هذه الآراء إن صحت أن كلاً أجاب بما عنده.

ج - وقيل: إن آخر ما نزل قوله: ﴿قل لا أجد فيما أوحى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾(٤)، ويرد على هذا القول بأن هذه السورة مكية باتفاق، ولم يرد ما يفيد تأخر نزول هذه الآية عن بقية السورة.

هل آخر ما نزل ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ؟ :

هي من المشكل فليست هي آخر ما نزل، حيث نزلت بعدها أحكام الربا والدين والكلالة.

ويحمل اكمال الدين فيها على إقرارهم بالبلد الحرام، وإخلاء المشركين حتى لا يخالطهم غيرهم.

والإكمال ينصرف إلى إكمال السيطرة والتمكن من الوطن.

* * * * *

---

١) التوبة الآيتان ١٢٨ ، ١٢٩.
٢) التوبة آية ١٢٧.
٣) السورة رقم ١١٠ بالمصحف.
٤) الأنعام آية ١٤٥.

الاستفادة من معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل دعوياً

لعل سائلاً يسأل: ما ثمرة معرفة هذا المبحث في مجال الدعوة إلى الله؟

والجواب من نقطتين:

١- بيان تحقق وعد الله بحفظ القرآن حيث وعى الصحابة عنه كل شيء، وعرفوا آياته متى نزلت؟ وأين؟.

وهذا هو مصدر الدعوة الأول محفوظ مصون فيعطي الدعاة ركيزة ثابتة موثوقاً بها.

٢- معرفة التدرج فى الأحكام وأسرار التشريع الإلهى، فى تاريخ مصدره الأصيل وهو القرآن وتدرجه فيما يصلح أمرهم والاستفادة من ذلك في تبليغ الدعوة فى سائر مجالاتها(١).

٣- وينبغى للدعاة أن يفهموا هذا الملحظ، فإذا تصدوا لتغيير منكر أو محاربة بدعة - فليراعوا التدرج فى إقناع المدعوين بخطوات دعوية هادئة مع مراعاة الحالة النفسية والاجتماعية لمجال الدعوة - خاصة إذا كانت المخالفة تشكل ظاهرة عامة لأنهم إذا دعوا إلى ما يريدون جملة واحدة، وأرادوا التغيير طفرة فربما أخفقوا حتى تقابل دعوتهم برد فعل مضاد لها، لأن النور إذا عم فجأة بعد ظلام فإن العيون لا ترى، ولكن إذا سرى النور رويداً رويداً عمَّ النور وسَادَ الضياء، والعيون قد ألفته واعتادت عليه.

* * * * *

(١) انظر مناع القطان ص ٧٣.

المبحث الرابع

القرآن صيفي وشتائي

ومن تقسيمات القرآن حسب فصول السنة، ما نزل من القرآن، في الصيف حيث الحر، وما نزل في الشتاء حيث البرد، ويسوق العلماء أمثلة لذلك، هذا بعض منها.

فمن الصيفي :

١- ما يذكره الواحدي :

أنه نزل في الكلالة آيتان، إحداهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء(١) والأخرى في الصيف وهي التي في آخرها(٢)، ففي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ في شيء ما أغلظ فيه حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟(٣).

٢- ومن الصيفي أيضاً :

أول المائدة وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾(٤). وقوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾(٥).

وسورة النصر، فقد كان ذلك في سفر حجة الوداع، ومنه الآيات النازلة في غزوة تبوك فقد كانت الغزوة في شدة الحر، وقد قال في غزوة تبوك: أيها الناس إني أريد الروم فأعلمهم ذلك في زمان البأس وشدة الحر وجدب البلاد.. وقال رجل من المنافقين: «لا تنفروا في الحر..» فأنزل الله تعالى: ﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾(٦).

---

١) النساء آية ١٢.
٢) النساء آية ١٧٦.
٣) الحديث رواه أبو داود عن البراء بن عازب كتاب الفرائض - باب من ليس له ولد وله أخوات ج ٢ ص ١٣٤.
٤) المائدة آية ٣.
٥) البقرة آية ٢٨١.
٦) التوبة آية ٨.

ومن القرآن الشتائي :

١- الآيات التي نزلت في حديث الإفك، من قول الله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم .. الآيات إلى قوله تعالى.. أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾(١).

ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في يوم شات.

٢- ومن ذلك. الآيات التي نزلت في غزوة الخندق من سورة الأحزاب، من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوااذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عيهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾... الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطوءوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾(٢).

فهذه رُوِيَ أنها كانت في البرد الشديد. ورُوِيَ عن حذيفة أن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب إلا اثنى عشر رجلاً، فآتاني رسول الله ﷺ فقال: قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب، قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت لك إلا حياء من البرد»(٣).

فدل هذا على أن الغزوة كانت في البرد الشديد(٤).

فهذه النماذج تدل على دقة تحديد أزمنة نزول الآيات وحصر ذلك بدقة بالغة، كما أنها تضفي ضياءً ونوراً على فهم سياق الآيات، وهذا يفيد الدعاة بلا شك في عرض قضايا الدعوة من خلال القرآن ومعانيه السامية.

* * * * *

---

١) النور الآيات من ١١ : ٢٦.
٢) الأحزاب الآيات من ٩ : ٢٧.
٣) الحديث.
٤) انظر الإتقان - في علوم القرآن للسيوطي ص ٢٩، وانظر مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص ٥٨.

المبحث الخامس

القرآن أرضي وسمائي

وهذا التقسيم أيضاً مما تتبعه بعض العلماء في مصنفاتهم. حيث يذكرون أن القرآن نزل بين مكة والمدينة إلا ست آيات، وهذه الآيات هي:

١- ثلاث آيات من سورة الصافات: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم، وإن لنحن الصافون، وإنا لنحن المسبحون﴾(١).

٢- وآية في سورة الزخرف: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾(٢).

فهذه الآيات نزلت بين السماء والأرض أي الفضاء الذى بينهما.

٣- ومن القرآن الذى نزل تحت الأرض: سورة المرسلات(٣) كما في الصحيح حيث نزلت في الغار.

فقد روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله في غار بمنى إذ نزلت عليه «المرسلات» فإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فِيهِ وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبى ﷺ: «اقتلوها». فابتدرناها فذهبت. فقال النبى ﷺ: «وُقِيَت شركم كما وُقِيتم شرها»، وقد ذكر هذه الرواية ابن كثير.

٤- ومما نزل في السماء: الآيتان الأخيرتان من سورة البقرة ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

---

١) الصافات الآيات ١٦٤ : ١٦٦.
٢) الزخرف آية ٤٥.
٣) السورة رقم ٧٧ بالمصحف.

ويعلق السيوطى على ما سبق قائلاً: أما الآيات المتقدمة فلم أقف على مستند لما ذكر فيه إلا آخر البقرة فيمكن الاستدلال بما رواه مسلم حيث ذكر من حديثه أن الرسول ﷺ أعطى ثلاثاً: أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من أمته شيئاً.

وكلام السيوطى حق لأن المعروف من الروايات فى هذا الأمر أن خواتيم سورة البقرة مما أعطيه رسول الله ﷺ ليلة المعراج من فوق سبع سموات.

ويعلق ابن العربى على السمائى بقوله: لعله أراد الفضاء الذي بين السماء والأرض.

* * * * *

المبحث السادس

القرآن سفرى وحضرى

مما أحصاه الرواة أيضاً وتحدثوا فيه ما نزل من القرآن حال السفر وما نزل منه حال الإقامة.

فالمقصود بالسفرى: أي ما نزل من القرآن على النبى ﷺ أثناء سفره وانتقاله.

وكذا المقصود بالحضرى: فهو ما نزل من القرآن وقت الإقامة والاستقرار.

فبالنسبة للحضرى: فأغلب القرآن أنزل على رسول الله ﷺ بالحضر وقت أن كان مقيماً وهذا هو الأصل.

وبالنسبة للسفرى: فله أمثلة عديدة نسوق بعضاً منها على سبيل التمثيل لا الحصر(١) فمن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾(٢) فقد روى ابن جرير أنها نزلت فى عمرة الحديبية، وقال السدى: نزلت في حجة الوداع.

فهي على القولين سفرية - لأن الإقامة وقتئذ كانت بالمدينة.

٢- ومنه قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(٣). فقد رُوِى أن النبى ﷺ لما طاف بالبيت، قال عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم الخليل؟

قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فنزلت.

٣- ومنه قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، للذين أحسنوا منهم واتقوا لهم أجر عظيم﴾(٤).

---

١) يراجع تفاصيل الموضوع فى كتب علوم القرآن لمن شاء كالبرهان والإتقان، وبعض الكتب الحديثة في ذات الموضوع.

٢) البقرة آية ١٨٩.

٣) البقرة آية ١٢٥.

٤) آل عمران آية ١٧٢.

فقد روى ابن عباس أنها نزلت بحمراء الأسد.(١).

٤- ومنه آية التيمم فى سورة النساء ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً﴾(٢) حيث روى أنها نزلت في بعض أسفار النبى ﷺ (٣).

٥- ومنه في نفس السورة «النساء» قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى إهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾(٤).

فقد قيل: إنها نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة.

فهذه عدة نماذج تبين أن القرآن قد نزل في الأسفار كما نزل غالبه فى الحضر وفى هذا دلالة على أن الله تعالى كان يتعهد نبيه دائماً بالتوجيه والإرشاد فى شتى المواقف دون إمهال أو تأخير وهذا تأكيد على أن النبى ﷺ ما نطق بشيء عن هواه أو ميله الشخصى وإنما هو وحي يوحى كما أكد رب العزة جل شأنه ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾(٥) فلم ينطق لا فى حضر ولا في سفر من عند نفسه وإنما هو دائماً مبلّغ عن ربه.

* * * * *

---

١) حمراء الأسد موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة بطريق مكة - وكا للنبى غزوة بها سُميت باسمها في العام الثالث من الهجرة.

٢) سورة النساء آية ٤٣.

٣) نزلت في البيداء أو بذات الجين موضعان بين المدينة وخيبر حيث انقطع عقد السيدة عائشة رضى الله عنها كما في رواية مسلم.

٤) النساء آية ٥٨.

٥) النجم آيات ٢ : ٤.

المبحث السابع

القرآن ابتدائي النزول

أو بسبب متقدم عليه

من القرآن الكريم ما نزل ابتداء من الله تعالى للتشريع، ومنه ما أنزل لسبب متقدم عليه كحدوث واقعة من الوقائع أو حادثة من الحوادث فينزل فيها آية أو آيات لبيان الحكم فيها.

ويتنوع سبب النزول إلى عدة صور:

أ - أن تحدث حادثة أو يقع أمر - فينزل القرآن فى شأن ذلك الذى حدث، ومثال ذلك: لما نزل على النبى ﷺ قول الله تعالى: ﴿وأنذر عشرتك الأقربين﴾ صعد النبى الصفا ونادى على القبائل ثم قال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد».

فقال أبو لهب: «تباً لك، إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام، فنزلت سورة ﴿تبت يدا أبى لهب وتب﴾ فسورة ﴿تبت يدا أبى لهب﴾ أنزلت بسبب متقدم عليها، وهو ما سبَّ به أبو لهب النبى.

ب - أن يسأل النبى ﷺ عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه كالذى كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكى من ذلك، وقد رُوى عن عائشة رضى الله عنها قالت: ﴿تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علىَّ بعضه وهى تشتكي إلى رسول الله ﷺ من زوجها قائلة: يا رسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى، اللهم إنى أشكو إليك.

قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله...﴾ فالآيات نزلت رداً على تساؤل الشاكية

وحلاً لإشكالها(١).

وهل يلزمنا أن نلتمس لكل آية سبباً ؟:

كما سبق البيان لا يلزم ذلك، يقول الجعبري: «نزل القرآن على قسمين، قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال»(٢).

فوائد معرفة أسباب النزول :

ولنا أن نتساءل ما أهمية معرفة أسباب النزول، وهل يفيد ذلك الدعاة إلى الله؟

والجواب: نعم - وهذه بعض الفوائد:

١- بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة رحمة بالأمة.

٢- تخصيص حكم ما أنزل الله إذا كان بصيغة العموم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

والمثال على ذلك: عندما نزل قول الله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (٣) دعا مروان بوابه وقال له : أذهب إلى ابن عباس، فقل لئن كان كل أمرىء منا فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل لنُعَذَبَّن أجمعون.

فقال ابن عباس: ما لكم وهذه الآية؟ وإنما أنزلت في أهل الكتاب ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾(٤).. وقال ابن عباس: سألهم رسول الله ﷺ عن شيء فكتموه وأخذوا بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك وفرحوا بما أوتوا وكتمان ما سألهم عنه.

٣- وإذا كان لفظ ما نزل عاماً وورد دليل على تخصيص بمعرفة السبب تقصر

---

١) انظر مناع القطان مباحث في علوم القرآن.
٢) نقلاً عن الاتقان ج ١ ص ٢٨.
٣) آل عمران آية ١٨٨.
٤) آل عمران آية ١٨٧.

التخصيص على ما عدا صورته «صورة السبب الذى نزلت فيه الآيات» لأن دخول صورة السبب في اللفظ قطعى فلا يجوز إخراجها بالاجتهاد لأنه ظنى، وهذا ما عليه الجمهور. مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾(١).

فهذه الآيات قيل إنها نزلت فى عائشة رضى الله عنها خاصة، وقيل: نزلت فيها وفى سائر زوجات النبى، كما روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما، ولم يجعل الله عن فعل ذلك توبة (أى لم يجعل لمن رمى عائشة أو سائر زوجات النبى ﷺ توبة).

وقد جعل لمن رمى امرأة من غير أزواج النبى ﷺ توبة، كما فى قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك فإن الله غفور رحيم﴾(٢)، وعلى هذا فإن قبول توبة القاذف وإن كان مخصصاً لعموم قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون.. ﴾ إلخ لا يتناول بالتخصيص من قذف عائشة أو سائر أزواج النبى ﷺ فإن هذا لا توبة له لأن دخول صورة السبب فى اللفظ قطعى.

٤- ومعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معانى القرآن.. وكشف الغموض الذي قد يكتنف بعض الآيات فى تفسيرها ما لم يُعرف سبب نزولها.

قال الواحدى: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن الكريم.

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب

---

١) النور الآيات ٢٣ - ٢٥.
٢) النور آيتا ٤، ٥.

يُورث العلم بالمسبب.

وهذا بالطبع يُكسب الدعاة بصفة خاصة فقهاً فى أمور دعوتهم وإلماماً بمراميها وتأمل أحكامها، وإدراك مكانة المصلحة فى الشريعة الإسلامية، مما يدل على وفائها بحاجات البشر إلى يوم القيامة دون قصور فى أى جانب من جوانب الحياة، مما يرسِّخ في نفوس جميع المسلمين بصفة عامة والدعاة بصفة خاصة أن عموم الرسالة يعنى صلاحيتها ووفاءها بكل المتطلبات شاملاً ذلك عموم الزمان والمكان والبشر، شمول التشريعات(١)، وبالتالى خلودها وبقاءها إلى أن يأتى أمر الله.

* * * * *

١) انظر أصول الدعوة - الدكتور عبد الكريم زيدان - موضوع خصيصة العموم.

المبحث الثامن

القرآن فراشي ونومي

يذكر العلماء أن من القرآن ما نزل على النبى ﷺ فى الفراش وقد روى أن أهله كانوا ينصرفون عنه.

كما أن من القرآن ما نزل عليه فى النوم، ويضربون مثالاً لذلك بسورة الكوثر التى رُوى فى نزولها عن أنس: بينا(١) رسول الله بين أظهرنا إذا غفا إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزل عليّ آنفاً سورة، فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر... آخر السورة﴾(٢).

ويذكر السيوطى ناقلاً عن الرافعى فى أماليه: فهم فاهمون من الحديث إن السورة نزلت فى تلك الإغفاءة وقالوا من الوحى ما كان يأتيه فى النوم لأن رؤيا الأنبياء وحي، قال: وهذا صحيح(٣) لكن الأشبه أن يُقال إن القرآن كله نزل فى اليقظة، وكأنه خطر له فى النوم بل الحالة التى كانت تعترى النبى ﷺ عند الوحى.

وعلى هذا التعليق للسيوطى فالسورة لم تنزل فى النوم كما يتوهم من التقسيم المذكور.

لأن الفرق واضح بين حالة النوم وإغفاءة الوحى(٤) وعلى هذا فإن ما نزل عليه في الفراش لا يعنى أنه نزل أثناء النوم أنه أى الفراشى قسيم النومى فيفهم أن النازل فى الفراش يعنى في اليقظة ولعله أراد ذلك.

---

١) أي بينما كان معنا.

٢) السورة رقم ١٠٨ بالمصحف.

٣) يشير بهذا إلى أن رؤيا الأنبياء وحي.

٤) وعلى هذا فإن الرواية التي تذكر أن السورة نزلت عليه فى إغفاءة نوم أى كان نائماً ليست مقبولة -لأن ما هو معلوم أن الوحي بالقرآن كان دائماً فى اليقظة ولو قررنا ذلك لفتحنا باباً للطعن في القرآن من أعداء الإسلام إذ كيف يُعتد بوحى فى نوم؟ هذا فى زعمهم والأولى في ذلك أن يُقال: إن الحالة التى اعترت النبى ﷺ ليست إغفاءة نوم بل هى حالة خاصة كانت تعتريه عند نزول الوحي عليه كما إنها ليست حالة صرع لأن المصروع لا يدرك شيئاً، ولا مانع أن يكون الله قد أوحى إليه فى نومه بتلك السورة ثم أوحيت إليه في اليقظة تأكيداً وتثبيتاً لما رأى فى نومه.

وبعد فهذه نماذج على سبيل التمثيل والاستشهاد لا الحصر والاستقصاء، للتدليل على وعد الله بحفظ القرآن وصيانته وقد مضى على نزوله أربعة عشر قرناً من الزمان ولم يتطرق إليه أى تحريف أو تبديل ووعد الله يتأكد ويتأكد بمضى الزمن.. ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾.

* * * * *

الفصل الثانى

حديث القرآن عن القرآن

ويشمــل :

١ ـ المبحث الأول : تعريف القرآن.

٢ ـ المبحث الثاني : حكم ترجمة القرآن.

٣ ـ المبحث الثالث : حقائق قرآنية من القرآن.

المبحث الأول

تعريف القرآن

القرآن الكريم هو هدى الله تعالى الذى رسم للبشرية طريق الاستقامة والقوة والعزة والكرامة، وقد أنزله الله على رسوله ﷺ فى مدة تقارب ثلاثاً وعشرين سنة، هى العهد النبوى فى مكة والمدينة، وقد بدأ نزوله فى ليلة القدر من شهر رمضان، وكان نزوله بدء الدعوة الإسلامية وكان ذلك عام ٦١١ من الميلاد.

وسيظل العمل به والدعوة على أساسه والتحدى به للبشرية قائماً إلى يوم القيامة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فما المراد بالقرآن ؟ وما تعريف العلماء له ؟

وبيان ذلك هو مقصودنا فى هذا المبحث، وقد عرَّفه العلماء بعدة تعريفات هذا بيانها :

أ - القرآن :

«هو كلام الله المُنَزَّل على سيدنا محمد ﷺ ، المُتَعَبَّد بتلاوته».

فالكلام فى التعريف يشمل كل كلام، وإضافته إلى الله تخرج كلام غيره من الإنس والجن(١).

ب - عرفه المتكلمون والأصوليون :

«بأنه اللفظ المنزل على النبى ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر الناس».

وعرفوه أيضاً بأنه: «الكلام المعجز المنزل على النبى ﷺ المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته»(٢).

وما قيل فى تعريف القرآن :

القرآن من حيث اللغة مصدر لقرأ على زنة الغفران والرجحان فهو بمعنى

---

١) مباحث فى علوم القرآن - مناع القطان - ط مؤسسة الرسالة ص ٢١.

٢) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقانى ط المطبعةالفنية بالقاهرة ج ١ ص ٢٠.

القراءة، وهمزته أصلية ونونه زائدة.. ثم نقل من هذا المعنى إلى عُرف الشارع من جعله علماً على مقروء معين وهو الكتاب الكريم. تسمية للمفعول بالمصدر، وهذا القول جدير بالقبول لجريانه على أسلوب مألوف في اللغة وهو إطلاق المصدر مراداً به اسم المفعول، ويشهد لكونه في اللغة مصدراً بمعنى القراءة وروده بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾(١) المعنى هو المصدر: القراءة أو الإقراء.

وعُرف اصطلاحاً: بأنه «كلام الله المنزل على محمد ﷺ المعجز بسورة منه المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بين دفتي المصحف تواتراً» وقد خرجت بمحترزات التعريف عدة أمور: «المنزل على محمد ﷺ» خرج به المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة والإنجيل وغيرهما، «المعجز بسورة فيه» خرج به الأحاديث القدسية حيث إنها منزلة من عند الله لكنها ليست للإعجاز، «المتعبد بتلاوته» خرج به منسوخ التلاوة حيث إنه بعد النسخ لا يُتعبد بتلاوته، وخرج به كذلك القراءات الشاذة.

أما الكتابة في المصحف والنقل على سبيل التواتر فهذا البيان الواقع وليس للاحتراز»(٢).

وقد عرَّفه البعض مضيفاً إليه من خصائصه في التعريف: «المنزل باللفظ العربي» ليخرج من القرآن ترجمة القرآن حيث إنها لا تسمى قرآنا كما سيأتي بعد إن شاء الله

مكونات القرآن:

وهذا القرآن الكريم سوره مائة وأربع عشرة سورة(٣) بالاجماع، وذهب البعض إلى عدها مائة وثلاثة عشرة سورة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، ولا يرد على ذلك

---

١) القيامة آيتا ١٧ ، ١٨.

٢) انظر البيان في مباحث من علوم القرآن - الشيخ عبد الوهاب غزلان د دار التأليف ص ٢٣/١٨ بتصرف.

٣) السورة: قيل من سور المدينة وسميت بذلك لإحاطتها بآياته، وقد عرفت بأنها قرآن يشتمل على آى ذي فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات، وقيل: هي الطائفة المترجمة توقيفاً أى المسماة باسم خاص بتوقيف من النبى ﷺ.

عدم البسملة فى أول سورة براءة، ذلك لأن البسملة أمان، أما براءة فقد نزلت بالأمر بالسيف.

وآياته على طريقة الكوفيين فى العدد عددها ٦٢٣٦ ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية(١).

وعدد كلماته: ٧٧٩٣٤ أو ٧٧٤٣٧ ويرجع سبب الاختلاف إلى أن كل كلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ واعتبار فكلها جائزة وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز(٢).

أنصاف القرآن :

قال بعض القراء: إن القرآن له أنصاف باعتبارات..

أ - نصفه بالحروف : النون من كلمة «نكرا» فى سورة الكهف فى قوله تعالى: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً﴾ آية ٧٤/ والكاف من النصف الثاني.

ب - نصفه بالكلمات : الدال من قوله تعالى: «والجلود» فى سورة الحج فى قوله تعالى: ﴿يصهر به ما فى بطونهم والجلود﴾ آية ٢٠/ الحج ﴿ولهم مقامع من حديد﴾. من النصف الثاني.

ج - نصفه بالآيات : ياء «يأفكون» من سورة الشعراء فى قوله تعالى: ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ آية ٤٥/ الشعراء، و ﴿فألقى السحرة..﴾ إلخ من النصف الثاني.

د - نصفه بالسور : آخر سورة الحديد - والمجادلة من النصف الثاني..(٣).

* * * * *

١) الآية : طائفة من القرآن منعطفة عما قبلها وما بعدها وسميت بذلك لأنها علامة على صدق من أتي بها وعجز المتحدى.
٢) عرض الأمور الجائزة.
٣) انظر الاتقان ج ١ - مع تصرف شديد.

المبحث الثانى

حكم ترجمة القرآن

سبق أن أشرنا إلى أن البعض وضع قيداً فى تعريف القرآن وهو «اللفظ العربي» وعلى هذا فإن ما ليس عربياً لا يسمى قرآناً والمقصود بذلك هو ترجمة القرآن هل تسمى قرآناً ؟ أو لا تسمى؟ وهذا ما سيتضح بيانه:

معانى الترجمة

١- ترجمة القرآن :

بمعنى تبليغ آياته وألفاظه، وهذا جائز لا شيء فيه، لأن النبى ﷺ كان يقرآ القرآن ويسمعه أولياءه وأعداءه ويقول: «بلغوا عنى ولو آية».

٢- ترجمة القرآن :

بمعنى تفسيره باللغة العربية أى تفسيره للناس وهذا أيضاً جائز، والله يقول: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وما البيان إلا التفسير والسُنَّة شارحة للقرآن.

٣- ترجمة القرآن :

بلغة غير عربية وهذا أيضاً يجوز حيث إن ترجمة تفسير القرآن بغير العربية لمن لا يحسنها يماثل تفسر القرآن باللغة العربية لمن يحسنها وكلاهما عرض لما يفهمه المفسر من كتاب الله بلغة يفهمها مخاطبه وليست عرضاً للقرآن نفسه وبنصه.

وإذا قيل فى تعريف التفسير : إنه علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية فهذا يتحقق بعرض معنى واحد من جملة معان يحتملها التنزيل فإننا نجد أن الترجمة إما لتفسير القرآن بمعنى ترجمة معانيه وتشريعاته ليعلمها غير العرب وهذا لا شيء فيه وبالتالى لا يسمى قرآناً بل تفسيراً للقرآن.

وأما لألفاظ القرآن، وهذا غير ممكن لعدم وفاء اللغات المنقول إلها بمفردات اللغة العربية التى هي لغة القرآن ونلمس فى حظر لجنة الفتوى كتابة القرآن بحروف

لاتينية تأكيد لذلك والمقصود أن القرآن إذا ترجمت معانيه وتفسيره هذا بالطبع يقتضى إثبات النص القرآني المفسر ولا بد من كتابة النص بالحروف العربية لا بالحروف اللاتينية.

وعلى هذا فإن ترجمة القرآن لا تسمى قرآناً (١) فإن العربية من خصائص القرآن وبها مواطن الإعجاز اللغوى للعرب.

كما أنه يستوى فيه ما كان بلغة العرب وما كان بغير لغتهم.

ما يجب مراعاته عند ذلك :

يجب مراعاة أمرين عند هذه الترجمة :

١- أن يستوفى شروط التفسير، وهي:

صحة الاعتقاد للتحرز عن الهوى، البدء في تفسير القرآن بالقرآن ثم طلب التفسير في السُّنَّة، ثم أقوال الصحابة، ثم من أقوال الأئمة، والتابعين، العلم باللغة العربية وفروعها، العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن ودقة الفهم.

٢- أن يستوفى شروط الترجمة باعتبار أنها نقل ما يمكن من معانى اللفظ العربى بلغة غير عربية وتلك الشروط هى:

إلمام المترجم بلغة الأصل وبلغة الترجمة، الإلمام بأساليب وخصائص اللغات المراد ترجمتها، أن تكون صيغة الترجمة صحيحة بحيث يمكن أن تحل محل الأصل، أن تفى الترجمة بجميع المعانى وفاءً كاملاً (٢).

فالترجمة نوعان :

أ - حرفية : ويراد بها ترجمة الألفاظ وهذا يتطلب وجود مفردات مساوية فى اللغة المنقول إليها للغة المنقول منها وتساوى اللغتين فى الضمائر المستترة والروابط التى تربط المفردات.

ب - تفسيرية : وهي ترجمة المعانى وتعتمد على فهم المترجم للمعنى المنقول منه ثم

---

١) هناك بعض الألفاظ في القرآن غير عربية كإسرائيل واستبرق وهي من القرآن لأنها صارت عربية بالاستعمال فى القرآن الكريم ولا يجوز الحكم بعدم قرآنيتها.

٢) انظر - مناع القطان - ص ٣٣٠ ، البيان في علوم القرآن - الصابونى - ط مؤسسة مناهل العرفان - بيروت.

صبه فى قالب جديد للغة المنقول إليها(١).

وقد حظر العلماء كتابة إلقرآن بحروف غير عربية عند ترجمته كيلا يقع تحريف فى الألفاظ والمعانى.. وهذا ترتب على وجود حروف عربية لا نظائر لها فى الحروف اللاتينية(٢).

* * * * *

---

١) انظر - مناهل العرفان - الزرقانى ص ١١٣.
٢) انظر فتوى لجنة الفتوى بالأزهر - المجلد السابع من مجلة الأزهر ص ٤٥.

المبحث الثالث

حقائق قرآنية من القرآن

القرآن الكريم وهو كتاب الله المنزل إلى العالمين كافة ليرسم لهم طريق السعادة والنجاة ومنهج النجاح والفلاح عن طريق اتباع ما فيه من الهدى والحق، واجتناب ما نهى عنه وحذَّر منه من الضلال واتباع الهوى.. هذا القرآن تحدثت بعض آياته عنه مبيِّنة خصائصه ومعالمه وأهم صفاته، فهذا من حديث القرآن عن القرآن، وفيما يلي سننتقل بين تلك الرياض العطرة والمصابيح الزاهرة من خلال عرض بعض آياته مشاراً إلى ما تضمنته من حقائق عن القرآن..

أولاً: مصدر القرآن

ونعني بذلك من أين نزل القرآن، وتتحدث آيات القرآن عن أن منزل الكتاب هو الله جل وعلا.. من تلك الآيات:

١- ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (يوسف ٣).

٢- ﴿ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ (إبراهيم ١).

٣- ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ (الشعراء ١٩٢ - ١٩٤).

٤- ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ (النمل ٦).

٥- ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت ١ - ٣).

٦- ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت ٤١ - ٤٢).

٧- ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين﴾ (الحاقة ٤٠ - ٤٣).

٨- ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ (الإنسان ٢٣).

ما يترتب على كون القرآن من عند الله :

ومعنى ذلك أن القرآن وقد شهد لنفسه بأن منزله هو الله جل وعلا وقد أحاط بكل شيء علماً ويعلم حاجات خلقه وما يصلحهم، وهذا القرآن وهو دستور الحياة ومنهج العمل للمسلم، فماذا يترتب من صفات للقرآن المنزل من عند الله تعالى.

من خلال الآيات التالية سنرى أهم تلك الصفات والخصائص :

١- الدقة والإحكام :

ويعنى به إحكام الآيات ودقة دلالتها ووضوحها.

أ - ﴿أفغير الله ابتغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ (الأنعام ١١٤).

ب - ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (يونس ٣٧).

ج - ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود ١).

د - ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت ٣).

٢- سلامته من الاختلاف :

ويعنى بذلك عدم وقوع التعارض بين آياته وكيف يمكن تصور ذلك مع الإحاطة الكاملة لمن أنزله سبحانه بكل حاجات الخلق؟

وفيما يلى من الآيات بيان لذلك:

أ - ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء ٨٢).

ولأنهم لم يجدوا فيه اختلافاً كثيراً ولا قليلاً فهو من عند الله

ب - ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبدة الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾ (الكهف ١ ، ٢).

فهو قد نفى عنه العوج وأثبت له القوامة والاستقامة لتحقق البشارة والإنذار.

ج - ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة).

د - ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (السجدة ٢).

فنفى الريب وهو الشك عنه لنزوله من رب العالمين فلا مجال للاختلاف أو الشك فيه.

٣- مصدر الهداية :

ومعنى ذلك أن طالب الهدى والرشاد إلى الطريق المستقيم والعمل الصالح، والذي يبتغي الهداية إلى الحق والصواب، وينأى عن الباطل والضلال يجد ذلك في تعاليم القرآن كما أشارت إلى ذلك الآيات التالية:

أ - ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة).

فهو هدى لكل متق مؤمن بالله - وهذه الآية من البقرة جاءت في ترتيب التلاوة بعد سورة الفاتحة والتي ختمت بدعاء من المؤمن لربه بالهداية إلى الصراط المستقيم والطريق القويم ﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (الفاتحة ٦، ٧).

وفي سورة البقرة كأن الله يرشد المؤمن الداعي مجيباً دعاءه إلى المنهج الذي يجب عليه اتباعه ليتحقق له دعاؤه بالهداية إلى الصراط المستقيم، فيقول له: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ أي أن اتباعه سيحقق لك دعاءك بالاهتداء إلى الصراط المستقيم.. والقرآن بما فيه هدى لكل مهتدٍ.

ب - ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة من آية ١٨٥).

ج - ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم ويبشر الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾ (الإسراء ٩).

د - ﴿ألم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين﴾ (لقمان ١ - ٣).

هـ - ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد﴾ (سبأ ٦).

فهو أي القرآن هدى إلى الحق لما فيه من الإبانة والوضوح الذى لا يترك

مجالات للشك.

و - ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (المائدة آيات ١٥ ، ١٦).

ز - ﴿ألر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (يوسف ١، ٢).

ح - ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين﴾ (النمل ١ ، ٢).

ففي هذه الآيات الأربعة الأخيرة ارتبطت الإبانة كوصف للقرآن بالهدى والإرشاد للمؤمنين.

٤ - طريق السعادة والأمن والاستقرار :

ويعنى ذلك أن التزام منهج القرآن فى مجالات الحياة المختلفة والاهتداء بأوامره ونواهيه - تكون طريقاً للهدوء النفسى والاطمئنان القلبى والرضا بما أراد الله تعالى من منطلق الإيمان بالقدر.

أ - قال تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ (طه ١، ٢) إنما أنزل للسعادة وليس للشقاء.

ب - ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه ١٢٣، ١٢٤).

فارتبطت السعادة والهداية باتباع الهدى المنزل من الله .

٥- معجز متحدى به :

ويراد به أنه أوقع البشر في العجز، حيث عجزت قدرتهم عن الإتيان مثله أو بمثل عشر سور مثله أو مثل سورة أو آية منه ذلك لأنه ليس من كلام البشر وإنما كلام رب العالمين، وعجزهم هذا ألزمهم الإيمان بالله والإذعان لما دعوا له.

ومن الآيات التى تحدثت عن ذلك :

* ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من

دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها النار والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة ٢٣، ٢٤).

* ﴿أم يقولون افتراه فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (يونس ٣٨).
* ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (هود ١٣).
* ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (الإسراء ٨٨).

ولا يزال التحدى قائماً إلى يوم القيامة ويظل القرآن معجزة خالدة باقية.

٦ - وجوب استماعه والإنصات إليه :

وذلك لأنه أساس الهداية والسعادة فقد أمر الله بسماعه وتدبره، وذمَّ الإعراض عنه.

وقد قال الله تعالى :

أ - ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ (الأعراف ٢٠٤).

ب - ﴿أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً﴾ (المزمل ٤).

ج - ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (المزمل ٢٠).

د - ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ (القيامة ١٧، ١٨).

هـ ﴿قرأ باسم ربك الذى خلق﴾ (العلق ١).

فهذه كلها أوامر بوجوب الاستماع والإنصات للقرآن والتعبد بقراءته وتلاوته.

ثانياً : ضرب الأمثال[1]

للمثل قيمته فى الإيضاح والبيان، ولذا صور القرآن الكريم الكثير من الأمور عن طريق ضرب الأمثال ومن الآيات التى تحدثت عن ذلك :

١- ﴿ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ (الإسراء ٨٩).

٢- ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شىء جدلاً﴾ (الكهف ٥٤).

٣- ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلنه ترتيلاً. ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ (الفرقان ٣٢-٣٣).

٤- ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ (الروم ٥٨).

٥- ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (الزمر ٢٧).

فالأمثال فى القرآن توضح الحقائق وتشرح العقائد وتفسر الأمور فيتذكر الإنسان، ويفهم الحقيقة التى يُدعى إليها وتبقى خالدة إلى يوم القيامة.

* * * * *

---

١) المثل : بالفتح هو الشبه، وهو قول يشبه قولاً آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره (الدعوة الإسلامية - د/ أحمد غلوش ٣٥٧).

ثالثاً: استماع الجن له

والآيات التي تحدثت عن سماع الجن للقرآن في آيات من سورة الأحقاف، وسورة الجن كاملة.

ويقول الله تعالى:

١- ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه من التوراه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ (الأحقاف ٢٩-٣١).

٢- ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ (الجن ١، ٢).

وتشير هذه الآيات إلى أن الجن تواصوا فيما بينهم بسماع القرآن والانصات إليه حتى انتهى النبى ﷺ من تلاوته ثم أسرعوا حاملين ما سمعوه إلى أقوامهم داعين إياهم إلى اتباعه والتزام ما فيه من الهدى.

* * * * *

رابعاً : موقف الكفار من القرآن

كان موقف الكفار من القرآن موقف الإعراض والجدل وعدم الانصات إليه أو سماعه.

ومن الآيات التي بيَّنت موقفهم هذا :

قول الله تعالى :

١- ﴿كما أنزلنا على المقتسمين(١) الذين جعلوا القرآن عضين(٢) فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ (الحجر ٩٠-٩٣).

٢- ﴿وقال الرسول يا رب أن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ (الفرقان ٣٠).

٣- ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ (سبأ ٣٠).

٤- ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (فصلت ٢٦).

٥- ﴿فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون﴾ (الانشقاق ٢٠-٢٢).

فهذا موقف الكفار من القرآن تواصي باللغو فيه وعدم سماعه والجدل فيه.

وقارن أخي المسلم هذا بموقف الجن من سماعه والتواصي بالانصات ثم التصديق به.

* * * * *

١) المقتسمين : هم أهل الكتاب.

٢) عضين : أجزاء حيث جعلوا القرآن أعضاء وأجزاء فقالوا بعض موافق للتوراه والإنجيل وبعض باطل فقسموه إلى حق وباطل.

خامساً : ميسر للذكر

وقد يسَّره الله تعالى للقراءة والتلاوة والحفظ، ومن الآيات الدالة على ذلك:

١- ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (القمر ٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

٢- ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ (المزمل من آية ٢٠).

* * * * *

سادساً : هيبة القرآن وأثره على القلوب

وقد تحدث القرآن عن هيبته وأثره على القلوب فى آيات منها :

١- ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد﴾(١) (الزمر ٢٣).

٢- ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الحشر ٢١).

وأين قوة الرجال من قوة الجبال التى تتصدع من نزول القرآن ؟

* * * * *

سابعاً : كتاب تدبر وفكر

والقرآن عندما أنزل دعا الناس إلى تدبر آياته والتفكر فى معانيه فحث العقل على النشاط والانطلاق فاكتسب العقل بذلك احتراماً لذاته، ومن الآيات التى دعت إلى ذلك:

١ - ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء ٨٢).

---

١) متشابهاً : يشبه بعضه بعضاً، تقشعر: تضطرب وتتحرك، تلين: يزول ما بها من قشعريرة.

٢- ﴿ص والقرآن ذى الذكر﴾(١) (ص ١).

٣- ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد ٢٤).

٤- ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ (ق ٤٥).

٥- ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾(٢) (القمر ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠) فهو يدعو للتدبر والتذكر والاتعاظ بعد التأمل والتعقل.

* * * * *

خامساً : توجيهات قرآنية للنبى ﷺ فى القراءة

من آيات القرآن ما خاطب النبى ﷺ بضرورة مراعاة أمور معينة فى القراءة .. من ذلك :

١- الاستعاذة عند قراءة القرآن :

﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (النحل ٩٨، ٩٩).

٢- عدم العجلة بالقرآن :

﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد(٣) لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علماً﴾ (طه ١١٣، ١١٤).

٣- ضرورة اتباع الأصول فى القراءة :

﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه(٤) فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (القيامة ١٧، ١٩).

* * * * *

---

١) ذى الذكر : أى ذي الشرف والمكانة.
٢) مدكر : متعظ ، أو يتعظ.
٣) الوعيد : العذاب.
٤) قرآناه : أقرأناك إياه.

تاسعاً : إنذار وبيان

والآيات التى اشتملت على هذا المعنى عديدة منها :

١- قوله تعالى: ﴿قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ(١) أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون﴾ (الأنعام ١٩).

٢- وقوله تعالى: ﴿وهذا كتب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون وهم على صلاتهم يحافظون﴾ (الأنعام ٩٢).

٣- وقوله تعالى: ﴿ألمص كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ (الأعراف ١، ٢).

وعن بيان القرآن .. يقول تعالى :

٤- ﴿ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ (الحجر ١).

ووصف مبين هذا من الفعل أبان أى أظهر وأوضح فهو اسم فاعل من غير الثلاثى على زنة مفعل. وهكذا فى هذا الوصف فى القرآن.

٥- ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (النحل ٦٤).

٦- ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل ٨٩).

فالقرآن قد أبان كل شىء وأوضحه للعباد ليصلح حياتهم وينظم علاقاتهم.

* * * * *

---

١) ومن بلغ : أى من بلغه القرآن ووصل إليه.

عاشراً : نزول القرآن

١- واسطة نزول القرآن :

أ - يقول تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ (الشعراء ١٩٢-١٩٤).

ب - وقال تعالى: ﴿إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم ٤-٩).

٢- وقت النزول :(١)

أ - ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة من آية ١٨٥).

ب - ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ (الدخان ١-٤).

ج - ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ (القدر ١-٣).

٣- نزوله مفرقاً وحكمته :

أ - ﴿وقرآناً فرقناه(٢) لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ (الإسراء ١٠٦).

ب - ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ (الفرقان ٣٢-٣٣).

-فالحكمة هى تثبيت قلب النبى ﷺ والرد على جدل المشركين في المواقف

---

١) المراد وقت بدء نزول القرآن وهو ليلة القدر فى رمضان أما زمن النزول فهو ثلاث وعشرون سنة زمن البعثة بعهديها المكى والمدنى.

٢) أى فصلناه، وفرقنا فيه الحق والباطل.

المختلفة.

٤- حفظه من التحريف :

وليست هذه الجزئية تكراراً لجزئية سلامته من الاختلاف التى سبق ذكرها والمراد بها الإحكام والدقة لنزوله من الحكيم الخبير، وإنما هذه الجزئية يراد بها حفظه بعد نزوله من عبث التحريف والتغيير إلى يوم القيامة.

فمن الآيات التى أشارت إلى هذا المعنى :

أ - ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر ٩).

ب - ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (القيامة ١٦-١٩).

أى جمعه فى صدرك وإقراءك إياه وإيضاحه وتفسيره.

ج - ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ (الأعلى ٦).

د - ﴿إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾ (الواقعة ٧٨-٧٩).

* * * * *

حادى عشر : ناسخ ومنسوخ

أ - ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة ١٠٦).

ب - ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ (يونس ١٥).

ج - ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (النحل ١٠١).

* * * * *

ثاني عشر : محكم[1] ومتشابه[2]

أ - يقول تعالى: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (آل عمران ٧).

ب - ﴿ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود ١).

ج - ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (الزمر ٢٣).

وإذا علمنا أن الآيات المحكمات هن أم الكتاب فلأنها واضحة الدلالة قطعية البيان، لا تحتمل إلا تأويلاً واحداً - وقد اشتملت هذه الآيات على الأحكام الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل كأمور العقيدة والعبادة وعُدَّ ذلك من الأمور الثابتة .

أما المتشابهات فهي التي تقبل أكثر من تفسير لها وتحتمل عدة تأويلات وكلها صحيحة وهي مجال اجتهاد المجتهدين في كل زمن حيث أن اجتهاداتهم تكون في إطارها ، وهذا هو الذى جعل الشريعة مُلبية كل حاجات البشر موفية بمتطلباتهم إلى يوم القيامة، مما جعل من خصائص الدعوة «الجمع بين التطور والثبات».

* * * * *

ثالث عشر : التفصيل[3]

وقد أشارت إلى ذلك بعض الآيات، لتؤكد هذا المعنى في نفوس كل المؤمنين، كقوله تعالى :

---

١) المحكم هو : ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً.
٢) والمتشابه هو : ما احتمل أكثر من وجه فى تفسيره.
٣) التفصيل : البيان والوضوح.

١- ﴿أفغير الله ابتغة حكماً وهو سالذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ (الأنعام ١١٤).

٢- ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (يونس ٣٧).

٣- ﴿ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود ١).

٤- ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ (فصلت ٤٤).

٥ - وقد عبَّر عن التفصيل فى الآيات فى بعض المواضع.

٦- ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ (الأنعام ٥٥).

٧- ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ (الأنعام ٩٧-٩٨).

٨- ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف ٣٢).

٩- ﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾ (الأعراف ١٧٤).

١٠- ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (التوبة ١١).

١١- ﴿وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (يونس ٥).

وعلى هذا فليس بعد بيان القرآن بيان حيث لم تترك فيه صغيرة ولا كبيرة إلا وفصلها ووضحها وأبانها.

* * * * *

رابع عشر : القرآن عربي

وقد ذكرت العديد من آيات القرآن أنه نزل باللفظ العربى على رسول الله ﷺ النبى العربي، وقد تحدى به العرب وغيرهم. ومن تلك الآيات:

١- ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا واق﴾ (الرعد ٣٧).

٢- ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربي مبين﴾ (النحل ١٠٣).

٣- ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً﴾ (مريم ٩٧).

٤- ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين﴾ (الشعراء ١٩٢-١٩٥).

٥- ﴿قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر ٢٨).

٦- ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت ٣).

٧- ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق في السعير﴾ (الشورى ٧).

٨- ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف ٣).

فالقرآن إذن أنزل باللفظ العربي على النبى ﷺ وترجمته لا تسمى قرآناً.

* * * * *

خامس عشر : القرآن شفاء

والقرآن بكل ما اشتمل عليه شفاء وبراءة من جميع الأمراض والأسقام الجسمية والمعنوية، ومن الآيات التى تحدثت عن ذلك:

١- ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (يونس ٥٧).

٢- ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (الإسراء ٨٢).

٣- ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ (فصلت ٤٤).

والمراد بالشفاء لما فى الصدور أى إزالة ما فيها من الرجس والدنس وسائر الأمراض المعنوية(١).

يقول الزمخشرى: أى كل شىء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين ويزدادون به إيماناً ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى، وعن النبى ﷺ «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله»(٢).

فبالقرآن تبرأ النفوس وتشفى الصدور وتصح الأجساد.

فهذا حديث القرآن عن القرآن اتضحت فيه معالمه وتبلورت خصائصه.

فيجدر بالمسلم أن يتمعن القرآن ويتأمله ويتدبر معانيه من خلال آياته وإرشاداته وتوجيهاته، ليستنير قلبه وتشف نفسه وترق مشاعره ويهتدى إلى صراط الله المستقيم، ومتمسكاً بكتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

* * * * *

---

١) انظر تفسير ابن كثير ج ٥ ط الحلبي.
٢) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٦٥ ط دار المعرفة.

الفصل الثالث

حديث السُنّة عن القرآن

مباحث الفصل :

١ - فضل القرآن .

٢- فضل تعلم القرآن .

٣- فضل قارىء القرآن .

٤- الطهارة للقرآن .

٥- هدي النبي ﷺ في القرآن .

٦- نزول القرآن على سبعة أحرف .

٧- قراءات القرآن .

٨- مدة ختم القرآن .

تمهيد

لما كان القرآن هو الكتاب الذي أنزله على رسوله ﷺ وبه كانت نبوته وقامت دعوته وأقيمت دولته وهو مرجع المسلم فى سائر علاقاته، وطريقة عبادته ربه فقد حرص الرسول ﷺ فى ربط المسلم به تلاوة وتدبراً وامتثالاً وطاعة .... وبيَّن من خلال سُنَّته فضل المتمسك بالقرآن الملتزم به التالى له آناء الليل وأطراف النهار.

وبيان الرسول لكل ذلك من خلال توجيهاته السامية ودعوته الحكيمة والأساليب الرائعة فى الترغيب فى القراءة لآياته، والتحذير من نسيانه وإهماله وترك العمل به.

وفيما يلى بيان لتوجيهات الرسول ﷺ أمته فى الالتزام بكتابه والاهتداء بهديه.

فإلام أرشدنا الرسول الكريم ﷺ ؟

وبماذا أمرنا ؟

وما الذى دعانا إليه فى سُنَّته الشريفة ؟

ذلك ما سيتبيَّن لنا من خلال المباحث والموضوعات التالية :

* * * * *

المبحث الأول

فضل القرآن

انزل الله القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، وذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين - فإن العبد فى سورة الفاتحة يدعو الله تعالى أن يهديه الصراط المستقيم: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾(١) فتكون الإجابة من الله تعالى لهذا الدعاء فى السورة التالية مباشرة وهى البقرة - كأن العبد يطلب من الله أن يرشده إلى العمل الصالح الذى يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يرشده إلى مصدر يرشده إلى هذا العمل والجواب من الله تعالى بقوله: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾(٢) أى أن هذا القرآن هو الهدى الذى طلبته بقولك: ﴿اهدنا﴾ فالقرآن بهذا هو منهج حياة المسلم ودستور الأمة الإسلامية وسبيل سيادتها على العالم وطريق تمكينها فى الأرض.

أ - فهو السبيل إلى النجاة من الفتن والفوز بالسعادة:

فقد روى الترمذى عن الحارث، قال: مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث فدخلت على علىّ، فقلت: يا أمير المؤمنين: ألا ترى أن الناس قد خاضوا فى الأحاديث، قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إنى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة فقلت وما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله: فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع مه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد﴾ من قال به صدق، ومن عمل به أجر ومن حكم به عَدَل ومن دعا إليه هدى إلى صراط

---

١) الفاتحة آية ٥.
٢) البقرة آية ٢.

مستقيم»(١).

فهذا الحديث الشريف قد وصف القرآن وصفاً دقيقاً ومفصلاً، حيث بيَّن أنه المخرج من الفتن والبدع، وقد تضمن ما يُصْلح الانسان من أنباء السابقين من الأمم وما يتغظ به العبد، وأخبار المستقبل وما ينتظر االانسان من شقاء أو سعادة وأسباب ذلك وفق سُنَّة الله فى خلقه، كما أنه مصدر الأحكام العادلة فى مختلف القضايا المعاصرة والمتجددة، والإعراض عنه يوجب اللعنة والهلاك والشقاء ﴿فمن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(٢) لأنه سبيل السعادة والأمن والاستقرار واتباع غير ما فيه ضلال مبين، وقراءته عبادة وتدبر أحكامه وآياته ذكر وعبادة، معجز خالد إلى يوم القيامة..، فيه الحكم العدل لمن حكم، والأجر العظيم لمن قرآه أو دعا إليه.

ب - **سؤال الله به وإجابة الدعاء:**

فقد رُوِى عن عمران بن حُصَين أنه مرَّ على قاص يقرأ، ثم سأل فاسترجع، ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرآ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجىء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس»(٣)، فقارىء القرآن عندما يسأل الله تعالى ويدعوه فإن الله تعالى يتكرم عليه بإجابة دعائه، فقد رُوِىَ أن لقارىء القرآن ثلاث دعوات - وهذا يرجع إلى ما للقرآن من فضل وما لقارئه من كرامة، لما عطَّر به فاه، وما أضاء به قلبه من نور القرآن وما ألقاه الله من الرضا فى نفسه وفرحه بالعبادة.

ج - **شهادة القرآن لقارئه:**

فقد رُوِىَ عن ابن بريدة عنه أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «يجىء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول: أنا الذى أسهرت ليلك وأظمأت نهارك»(٤).

فهذه شهادة من القرآن لقارئه يوم القيامة تدخله الجنة حيث أنه قد تقرب إلى الله بكلامه، حيث قام ليله فى الأنس بتلاوة القرآن والعمل بما فى آياته، وأظمأ النهار

---

١) الحديث رواه الترمذى عن الحارث - باب ما جاء فى فضل القرآن ج ١ ص ١٧٢.
٢) طـه ١٢٤.
٣) رواه الترمذي - باب فضل القرآن
٤) الحديث رواه ابن ماجة عن ابن بريدة - كتاب الأدب باب ثواب القرآن ج٢.

لعله يعني الصيام، ولعله اكتفى بالقرآن عن الطعام ولشدة ولعه بالقرآن - لم يهتم بطعام أو شراب، ولذا فإن له أجر الصائمين القائمين.

ولعل المقصود بكل هذا أوامر القرآن ونواهيه.

ومع كل هذا فإن تلك الشهادة تضمن له الثواب والأجر، وتهديه إلى الجنة.

ومن هذا القبيل محاجة الزهراوين(١) (البقرة وآل عمران) عن صاحبهما يوم القيامة والدفاع عنه.

* * * * *

---

١) قد ورد في هذا المعنى حديث نصه: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما» رواه مسلم - ومعنى تحاجان تدافعان وتجادلان.

المبحث الثانى

فضل تعلم القرآن وتعليمه

لأن القرآن الكريم هو الكتاب الهادى للتى هي أقوم المحافظ على سعادة ملتزميه والمتمسكين بما فيه وهم الأتقياء العاملون، فقد جعل حفظه وتحفيظه من الأعمال التى يُثاب عليها العبد، فهذا من قبيل اتصال سند القرآن ومن دواعى حفظه عن التحريف والتبديل، والتغيير وهذا ما أشار الله إليه وأكده عندما قال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(١)، وقد تحدث النبى ﷺ عن هذا المعنى فى العديد من الأحاديث الشريفة.

أ - فمن ذلك ما رواه الترمذى عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»(٢).

ب - ومنه ما رواه ابن ماجة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم من تعلم القرآن وعلمه».

ج - ومنه ماروِىَ أن الرسول ﷺ قال: «من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجب النار».

ففى هذه الأحاديث الشريفة يبيِّن لنا الرسول ﷺ أن من أسباب خيرية المومن هو قيامه بحفظ القرآن استذكاره وتلاوته لنفسه ثم تحفيظه لغيره وتعليمه إياه وهذا يعنى أن يتعلم الإنسان من غيره ويعلمه لغيره، ولذا فإن العمل على تحصيل القرآن وتلقيه عن الحُفَّاظ وتعلُّم أحكام التلاوة منهم من سُبُل الخير والفلاح، ويكون ذلك الفضل أيضاً عند نشره بين المسلمين وتوصيله إليهم والتعريف بأحكامه وآدابه عملاً

---

١) سورة الحجر آية ٩.

٢) رواه الترمذى كتاب فضائل القرآن باب فضل تعلم القرآن وقال الحديث حسن صحيح.

بالأمر الإلهي ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(١).

وولي الأمر الذي يحرص على تعليم ابنه القرآن فإنه يورثه خير تَرِكة تُورَث وأدب يُمْنَح، فإن والديّ حافظ القرآن ناجيان من هول يوم شديد الحر، يوم عسير على الكافرين غير يسير، فقد روى أبو داود عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والده تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا»....؟

وتعلُّم القرآن وتعليمه لا يُغني من الخير والنفع لجميع الأمة، لما في ذلك عموم الثواب والهداية، وتواتره من جيل إلى جيل بلفظه ورسمه وتلاوته وأحكامه، ولما في العلم به من قوة للأمة ونقاء العباد وصفاء لسرائرهم وعلو لنفوسهم.

وفي هذا الإطار يجب أن يكون معلّم القرآن ملمّاً متلقياً إياه عن طريق القراءة على شيخ حاذق مُجيد للأحكام، أما أن يحاول أن يقرأ من المصحف بنفسه دون دقة أو مراعاة للأحكام، وربما وقعت أخطاء في الألفاظ والكلمات ثم ينقل أخطاءه للآخرين، ففي هذا إثم ووزر، ولما فيه أيضاً من قطع سلسلة الرواية للقرآن، إذ كيف يمكننا أن نذكر على من تلقى هذا الشخص؟ ومن شرط القرآن التواتر بمفهومه الصحيح وهذا الحافظ للقرآن ينال الأجر كاملاً إذا علمنا أن الحفظ يُراد به عدة أنواع :

أ - الحفظ بالقلب :

أي يعي القرآن بقلبه ولا ينساه ويقصد به الحفظ عن ظهر قلب.

ب - الحفظ باللسان :

ويراد به المحافظة على مخارج الحروف وأحكام التلاوة والتزام أحكام التجويد، وإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه.

ج - الحفظ بالسلوك :

ويقصد بهذا اتباع أوامر القرآن واجتناب نواهيه والتخلق بأخلاقه يعني العمل بما يحفظ.

---

١) سورة المائدة من آية ٦٧.

هذا الحافظ للقرآن ينال الأجر والثواب من الله تعالى ويُنعم الله على والديه وأهله بإدخالهم الجنة.

وفى هذا دعوة إلى كل مسلم أن يواظب على قراءته القرآن وألا يقطع صلته بكتاب الله تعالى، بحجة أن وقته لا يسمح أو أن ظروفه صعبة أو ما شابه ذلك من الأعذار.

لأن كتاب الله عصمته وملاذه ومحتكمه ومن يعتصم بالله فقد هُدِى إلى صراط مستقيم.

ضرورة تبليغ القرآن: وهذا القارىء للقرآن يجب أن يكون حريصاً ساعياً إلى تعليم غيره القرآن وإسماع القرآن للآخرين للاهتداء به وذلك اقتداء برسول الله ﷺ الذى روى عنه أبو داود عن جابر بن عبد الله: قال كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس فى المواقف فقال: «ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربي»(١).

وعندئذ ينتشر كتاب الله ويهتدى به العامة والخاصة، ويعم الهدى والنور والسعادة والأمان.

* * * * *

---

١) رواه أبو داود وأخرجه الترمذى حديث ٢٩٢٦ باب حرص النبى على تبليغ القرآن وأخرجه ابن ماجة فى المقدمة حديث ٢٠١.

المبحث الثالث

فضل قارىء القرآن

لأن القرآن كلام الله تعالى يناجي به العبد ربه، ولاشتماله على كل ما يصلح أمور العباد، وما ينفعهم فى معاشهم ومعادهم، فقد جعل الله لقارئه وحافظه فضلاً ومكانة وشرفاً، ويكفيه من ذلك أن الله اختاره ليكون صدره وعاء للقرآن، وقد تحدث رسول الله ﷺ عن فضائل الحافظ لكتاب الله القارىء له التالى لآياته المتدبر إياها، فمن تلك الفضائل ما يلى:

أ - لا يُحرم الأجر أياً كانت قراءته:

وهذا لقول رسول الله ﷺ فيما روته السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « الذى يقرآ القرآن وهو ماهر به مع السَفَرة الكرام البررة، والذى يقرأه وهو عليه شاق فله أجران»(١) والأجر والثواب ثابت للجيد والمتعتع الذى يجد مشقة فى القراءة لصعوبة فى النطق، والله تعالى من رحمته جعل له أجرين: آجراً على القراءة، وأجراً على المشقة.

وفى هذا رد على من يترك قراءة القرآن بحجة أنه لا يستطيع القراءة، وهذا يدعوه إلى أن يحاول القراءة ويجلس إلى المعلمين ليتعلم القراءة منهم، وله الأجر والثواب على كل حال.

ب - شفاعة القارىء لأهله:

وذلك لما ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى عن علىّ بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن واستظهره فأحل حلاله وحرَّم حرامه، أدخله الله

---

١) رواه الترمذى اب فضل قارىء القرآن - وقال: حسن صحيح.

به الجنة وشفَّعه فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار»(١).

فقبول شفاعته فيه دلالة على رضا الله تعالى عنه لأن الله يقول: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾(٢) ويقول: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً﴾(٣).

فلو لم يكن مقبولاً عند الله لما أذن له بالشفاعة فى أهله كما أشار الحديث إلى ذلك.

ج - عظم الأجر والثواب له:

وهذا لما رواه الترمذى عن ابن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم، حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف»(٤).

فأى فضل هذا ؟! وأى كرم هذا ؟! الذى يجعل لقارىء القرآن هذا الرصيد الكبير من الحسنات والثواب الكبير، فلنا أن نتصور قارئاً للقرآن قرأ أية ولو مكونة من كلمة واحدة مثل ﴿مدهامتان﴾(٥) فهى مكونة من ثمانية حروف فله بكل حرف عشر حسنات وربما تزيد بقدر إخلاصه وإتقانه للقراءة ولا حرج على فضل الله ، وربما تنقص ببعض إهماله وعدم اعتنائه بالقراءة مع القدرة على ذلك.

فماذا لو قرآ أية كبيرة أو آيات بتدبُّر وخشوع، لاشك أن ثوابه سيكون عظيماً، وأجره كبيراً.

د - مستجاب الدعوة عند الله :

ولم لا ؟ وقد جعل الله لسانه عطراً بالقرآن، وقبل شفاعته فى أهله - فسؤاله لنفسه أولى بالقبول والإجابة - وهذا لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنكم لن

---

١) مرواه ابن ماجة فى المقدمة ص ٧٨، والترمذى. وقال: حديث غريب.
٢) سورة البقرة من آية ٢٥٥.
٣) سورة طه آية ١٠٩.
٤) رواه الترمذى باب من قرآ حرفاً من القرآن. وقال حديث صحيح حسن غريب.
٥) سورة الرحمن آية ٦٤.

ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه - يعنى القرآن»(١) فالرجوع فى الحديث قد يراد به الرجوع بالدعاء والإلحاح فى الطلب والله تعالى تكرماً منه فضلاً يجيب هذا الدعاء إذ يقول تعالى: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾(٢).

وقد يراد به الرجوع عند الموت وهذا أيضاً يُعطى فيه القارىء الثواب الكبير والأجر العظيم لاصطفاء الله له بجعل قلبه وعاءً وحفظاً لكلامه، يقول تعالى: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾(٣). والأمر أكثر من هذا فى قبول الدعاء حيث إن من شغله قراءة القرآن وذكر الله تعالى عن الدعاء فإن الله رحمة منه وكرماً يعطيه ثواباً كأفضل ما يعطى السائلين الداعين، فقد روى إن رسول الله ﷺ قال: «يقول الرب عز وجل: «من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(٤). والله تعالى يختص برحمته من يشاء ممن يرضى عنهم من عباده.

هـ - عامر القلب بالإيمان والخير:

وذلك لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الذي ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»(٥). فقد بيَّن رسول الله ﷺ أن قارىء القرآن قلبه عامر ومملو بالايمان والخير ومتخلق بمكارم الأخلاق، حيث ذكر أن الشخص الذى خلا قلبه من القرآن فلا يحفظ شيئاً منه كالبيت الخرب الذى لا يصلح للحياة فيه ولا للاستقرار به، بخلاف القارىء الذى استنار قلبه بهدى القرآن، ورطب لسانه بتلاوة القرآن وصفا لبه وانتظم فكره بتوجيه القرآن وهدايته، وما دام القلب عامراً بالقرآن فيطرد عنه كل شر.

---

١) رواه الترمذى باب فضائل القرآن.
٢) البقرة آية ١٨٦.
٣) فاطر من آية ٣٢.
٤) رواه الترمذي - فضائل القرآن - وقال: حديث حسن غريب.
٥) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

و - رفعة مكانته بقدر ما يحفظ ويقرأ من كتاب الله :

ويقرر هذا المعنى ما روى عن رسول الله ﷺ : «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها»(١)، فى هذا الحديث يبين أن قارىء القرآن يؤتى به يوم القايامة ويرقى درجات بقراءته، ويظل يقرآ ويرتل ويرقى ويرقى، ومنزلته ومكانته عند آخر آية يتلوها ويتوقف عندها، ويساعد هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾(٢) وهل هناك علم خير من القرآن؟.

ز - هو من أهل الله وصفوته:

فالصفوة هم الخلصاء المفضلون - وقد بين لنا تلك الصفة لحفاظ كتاب الله تعالى ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أن لله أهلين من الناس، قالوا يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته»(٣) فقرّاء القرآن هم أهل الله وصفوته من عباده الذين اصطفاهم الله من بين عباده ليجعل صدورهم أوعية للقرآن يحفظه بها إلى يوم القيامة - وكفى بذلك فضلاً.

ح - طيب المظهر والخبر:

ويراد بهذا سلامة الظاهر والباطن، وخاصة إذا كان من العاملين بما فى كتاب الله تعالى، ويصور لنا هذا المعنى ذلك المثل الذى بيَّنه الرسول ﷺ فيما يُروى عنه: «مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمَثَل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومَثَل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمَثَل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومَثَل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»(٤)، ولذا فإن قارىء القرآن طيب الظاهر والباطن - فطيب ظاهره من امتثال أوامر القرآن والعمل بما فيه، وترطيب قلبه

---

(١) رواه الترمذى. وقال: حسن صحيح.
(٢) المجادلة آية ١١.
(٣) رواه ابن ماجة في المقدمة ص ٧٨.
(٤) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعرى فضيلة حافظ القرآن ج ٢ ص ٤٥١، وابن ماجة فى المقدمة ص ٧٧.

بتلاوته، وأما الباطن فمضيء بنور القرآن الذى استقر فى قلبه فاطمأن به وسكن فؤاده وخرج منه الشيطان وكفى هذا عصمة وحفظاً ويقيناً .

فهذا أهم ما فضل به قارىء القرآن مستمداً من سُنَّة النبى ﷺ فهل من العقل أن يحرم المؤمن نفسه هذا الخير كله ويغفل عن القرآن وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار ؟ وما أروع امتثال أمر الله تعالى ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾(١) ؟!

* * * * *

١) من آية ٢٠ سورة المزمل.

المبحث الرابع

الطهارة للقرآن

لأن القرآن كتاب الله تعالى وكلامه فقد كانت الطهارة شرطاً للمسه ولقراءته فقال تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾(١) وذكر المفسرون أقوالاً فى المراد بالطهارة، ومن تلك الأقوال: «إنهم المطهرون من الجنابة» (٢) ولفظ الآية خبر ومعناه الطلب، أى مطلوب الطهارة من كل من يمس القرآن.

والجنابة مانعة من القرآن وقد وردت السُّنَّة بذلك:

١- روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «لا يقرأ القرآن الجنب والحائض»(٣).

٢- روى مالك فى الموطأ عن محمد بن سيرين أن عمر بن الخطاب كان فى قوم وهم يقرءون القرآن فذهب لحاجته ثم رجع وهو يقرأ القرآن فقال له رجل يا أمير المؤمنين أتقرأ القرآن ولست على وضوء؟ فقال له عمر: من أفتاك بهذا؟ أمسيلمة؟(٤).

فمن مُجمل هذه الآثار وتلك الروايات يمكننا أن نخرج بنتيجة، هى: أن الوضوء ليس شرطاً لقراءة القرآن وإنما هو مستحب له فقط، ويجوز القراءة بغير وضوء، وأما الذى يمنع من القراءة فهو الجنابة والحيض والنفاس كما أجمع على ذلك جمهور الفقهاء.

ونُقِل عن سفيان الثورى وابن المبارك وأحمد قولهم: لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن، إلا طرف الآية والحرف، ورخصوا للجنب والحائض فى

---

١) الواقعة آيات ٧٧، ٧٨، ٧٩.
٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٨.
٣) رواه ابن ماجة كتاب الطهارة باب ما جاء فى قراءة القرآن من غير طهارة.
٤) رواه مالك فى الموطأ باب الرخصة فى قراءة القرآن من غير وضوء ج ١ ص ٢٠٠.

التسبيح والتهليل(١).

وهذا أخذاً من الأحاديث السابقة وغيرها من المرويات فى هذا الباب، وعلى ذلك فإن المراد بالطهارة فى قول الله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ الطهارة من الحدث الأكبر.

وإن المسلم لا يمنعه شىء سوى ما ذُكِر عن قراءة القرآن وتدبر معانيه والجلوس إليه ليعطر فاه ويشرح صدره وينير قلبه بما يرتل من آيات الله وينتقل من سورة إلى سورة ومن جزء إلى جزء، ومن روضة إلى روضة فى رحاب ذلك الدستور السماوى الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ليكون من ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾(٢) ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾(٣) وليسعد فى دنياه وآخرته.

* * * * *

---

١) انظر الترمذى ج ١ ص ٢٣٧.
٢) الزمر آية ١٨.
٣) يونس آية ٢٥.

المبحث الخامس

هدى النبى ﷺ فى القراءة

إن هدف المسلم المتعبد بتلاوة القرآن، الطالب لأجر من الله عز وجل هو نيل رضا ربه جل وعلاء، وليصل لله إلى ذلك عليه أن يترسم خُطى الرسول ﷺ وأن يقتدى به فى كيفية قراءة القرآن والتزامه سُنَّته فى ذلك مع المحافظة على أحكام تلاوة القرآن.

١- فقد نُقِل عن رسول الله ﷺ أنه فى قراءة القرآن كان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب استجار وقد روى النسائى عن حذيفة أنه صلى إلى جنب النبى ﷺ ذات ليلة فقرأ فكان إذا مر بآية عذاب وقف وتعوذ، وإذا مر بآية رحمة وقف ودعا، وكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الأعلى(١) وفى رواية أخرى للنسائى أيضاً لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية عذاب إلا استجار.

٢- كما نُقِل عنه ﷺ أن قراءته كانت مداً، فقد كان يمد صوته فى القراءة فقد روى البخارى عن قتادة، قال: سُئِل أنس كيف كانت قراءة النبى ﷺ فقال كانت مداً، ثم قرأ باسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن، ويمد الرحيم(٢) وفى رواية أبى داود قال أنس: كان يمد مداً والمراد بالمد هنا هو الوارد حسب قواعد التلاوة(٣) لا المبالغة فى المد ولا التزيد فيه، وقد سُئلت أم سلمة رضى الله عنها عن قراءة النبى وصلاته فقالت: ما لكم وصلاته؟ كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح، ونعتت قراءته فإذا هى تنعت قراءته حرفاً حرفاً، وفى رواية عنها: «كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف، وعندما نعتت قراءة النبى ﷺ فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً .... ويتحصل من الآثار ثلاث صفات

---

١) رواه النسائى كتاب الإفتتاح باب تعوذ القارىء إذا مر بآية عذاب ج ٢ ص ١٧٦.
٢) رواه البخارى ج ٦ ص ٢٤١ باب المد فى القراءة.
٣) انظر أحكام المد فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

فى قراءته ﷺ وهى: أنه كان يعطى حروف المد حقها، فلا يسرع فيأتى بها ناقصة، وكان يقطع قراءته فيقف كلما حَسُنَ الوقف، ومن ذلك فواصل الآيات وكان يعنى ببيان الحروف عناية تامة فتأتى واضحة ليس فيها شىء من الخفاء، وقد قال السيوطى: لاشك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده، فهم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية وقد عدَّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً(١):

- وقد روى الإمام مسلم بسنده عن مغفل المزنى يقول: (قرأ النبى ﷺ عام الفتح فى مسير له سورة الفتح على راحلته فرجَّع فى قراءته، قال معاوية: «لولا أنى أخاف أن يجتمع على الناس لحكيت لكم قراءته»(٢).
- وروى أيضاً أنه قال لأبى موسى: «لو رأيتنى وأنا استمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» وفى رواية لهذا الحديث: أن عبد الله بن قيس أو الأشعرى أعطى مزماراً من مزامير آل داود.
- وقد روى ابن ماجة عن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبى وقاص، وقد كف بصره(٣) فسلمت عليه فقال: من أنت؟ فأخبرته. فقال مرحباً بابن أخى، بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا القرآن أنزل بحَزَن - بفتح الحاء والزاى - أو بحُزْن - بضم الحاء وسكون الزاى - فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا»(٤).
- وروى عن عائشة زوج النبى، رضى الله عنه، قالت: أبطأت على عهد رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئت، فقال: أين كنت؟ قلت: كنت استمع إلى قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته أو صوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت فقال: هذا سالم مولى ابى حذيفة، الحمد لله الذى جعل فى

---

١) انظر البيان فى مباحث من علوم القرآن الشيخ عبد الوهاب عبد المجيد غزلان ص ٢٧٦.
٢) رواه مسلم استحباب تحسين الصوت بالقرآن ج ٢ ص ٤٤٨.
٣) الهاء فى بصره تعود على سعد بن أبى وقاص.
٤) رواه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة باب حسن الصوت بالقرآن.

أمتى مثل هذا(١).

فهذه الروايات من السُّنَّة النبوية تدل على أن النبى ﷺ كان يقرأ القرآن واضحاً مفسراً حرفاً حرفاً كما نعتته أم سلمة كما استحب تحسين الصوت فى القراءة بعدم الإنكار على الأشعرى وترجيعه القراءة فى سورة الفتح، واستمع إلى قراءة سالم مولى أبى حذيفة، ولم ينكرها، وكما أشارت رواية سعد بن أبى وقاص السابقة.

يقول النووى: قال القاضى: أجمع العلماء على تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، واختلفوا فى القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحهما أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث، ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه.

قال أصحابنا: «ليس للشافعى فيها خلاف وإنما هو اختلاف حالين فكرهها إذا مطط وأخرج الكلام من موضعه بزيادة أو نقص، أو مد غير ممدود، وإدغام مالا يجوز إدغامه، وأباحها إذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام»(٢).

والموضوع مبسوط فى المطولات نكتفى منها بما ذكرنا.

ولكن لنا أن نتساءل: هل كان النبى ﷺ يسر فى قراءته أو يجهر بها ؟

وتجيب عن هذا السيدة عائشة رضى الله عنها عندما سألها رجل بصرى عن قراءة النبى ﷺ: «كيف كانت قراءته؟ أكان يسر أم يجهر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، قال: الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة...»(٣).

وهذا يدل على أن القارىء له أن يسر وله أن يجهر، مع العلم بأن المقصود بالجهر ليس الصياح وإنما أن تسمع نفسك القراءة أو الحاضرين معك فى مجلس القرآن، كذلك لا يفهم أن الإسرار بالقراءة معناه تحريك الشفتين بدون صوت لأن الشيطان قد يتسلل إلى القلب فيفسد القراءة.

---

١) رواه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة - باب حُسْن الصوت بالقرآن، رجاله ثقات.
٢) انظر شرح النووى على مسلم ج ٢ ص ٤٤٨ ط الشعب.
٣) الحديث بتمامه رواه الترمذى باب كيف كانت قراءة النبى ﷺ كتاب فضائل القرآن عن الليث.

وإذا صاحب القراءة تدبر للآيات وفهم لمعانيها فذلك الفضل من الله على قارىء القرآن.

* * * * *

المبحث السادس

نزول القرآن على سبعة أحرف

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: مررت بهشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت قراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة فنظرت حتى سلّم فلما سلّم لببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها؟ فقال: أقرأنيها رسول الله ، قلت له: كذبت والله، إن رسول الله ﷺ لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرأها، فانطلقت أقوده إلى النبى ﷺ ، فقلت: يار سول الله، إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت اقرأتنى سورة الفرقان، فقال النبى ﷺ : اقرأ يا هشام فقرأ القراءة التى سمعته فقال النبى ﷺ : هكذا أنزلت، ثم قال النبى ﷺ : اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التى أقرأنى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ هكذا أنزلت، ثم قال النبى: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»(١).

فهذه الرواية تدل على أن هشاماً بن حكيم قرأ القرآن بحرف ووجه غير الذى قرأ به عمر رضى الله عنهما، وكل منهما أقرأه النبي ﷺ فهذا يبين أن القرآن نزل بأكثر من حرف وهو على سبعة أحرف كما أشار هذا الحديث وغيره من الأحاديث فى الباب.

وفى رواية أخرى للنسائي: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه» كما روى أن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتيا النبى ﷺ ، فقد كان جبريل عن يمين النبى وميكائيل عن يساره فقال جبريل عليه السلام: «اقرأ القرآن على

---

١) رواه الترمذى - كتاب القراءات وقال حديث حسن صحيح ورواه النسائى باب جامع فى القرآن ج ٢ ص ١٥٠.

حرف قال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف كل حرف شاف كاف..»(١).

ولكن ما المراد بالأحرف السبعة ؟

وقد اختلف العلماء فيها اختلافاً كبيراً وقالوا فيها أقوالاً كثيرة بلغت نيفاً وأربعين قولاً.

فمما قيل في ذلك :

إنه يعني بذكر أن القرآن أنزل على سبعة أحرف من اللغات لأن الأحرف جمع حرف في الجمع القليل مثل «فلس وأفلس» والحرف قد يراد به الوجه، بدليل قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾(٢) فالمراد بالحرف هنا الوجه الذى تقع عليه العبادة(٣).

ويؤكد القول السابق تعليق السندى على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف حيث يقول: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف أى سبع لغات مشهورة بالفصاحة، وكان ذلك رخصة أولاً، تسهيلاً عليهم، ثم جمعه عثمان رضى الله عنه حين خاف عليهم الاختلاف في القرآن وتكذيب بعضهم بعضاً، على لغة قريش التى أنزل عليها أولاً»(٤).

وأغلب العلماء على أن الأحرف السبعة لغات، فقال أبو عبيد هى لغة قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

وقال البعض: المراد بها معانى الأحكام: كالحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال والإنشاء، والأخبار، وقيل: الأمر والنهى والطلب والدعاء والخبر والاستخبار والزجر.

وقيل: الوعد والوعيد، والمطلق والمقيد، والتفسير والإعراب والتأويل.

ويُرَدّ على هذه الأقوال أن الصحابة رضوان الله عليهم الذين اختلفوا وترافعوا

---

١) رواه النسائي عن أبي ج ٢ ص ١٥٣ حديث ٩٣٩.
٢) الحج آية ١١.
٣) انظر الأحرف السبعة للقرآن - إمام القراءة أبو عمر الدانى - ص ٢٧ ط مكتبة المنارة - مكة.
٤) السندى - على النسائي ج ٢ ص ١٥١.

إلى النبى ﷺ لم يختلفوا فى تفسيره ولا فى أحكامه وإنما اختلفوا فى قراءة حروفه(١) وهذا ما جعل ابن الحزرى لا يقنع بها وفسر الأحرف السبعة بما ذكره من رد جميع القراءات واختلافاتها إلى هذه الوجوه - على نحو ما سيأتى إن شاء الله

ويذكر النووى فى شرح الحديث عدة أقوال للعلماء فى المراد بالأحرف السبعة: فينقل عن القاضى عياض أنها توسعة لا يُقصد بها الحصر أى ليس العدد سبعة مقصوداً به الحصر فيها.

وقال الأكثرون: إنه قُصِد به الحصر فى سبعة كما قيل: إنها سبعة فى المعانى كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه، والحلال والحرام والأمر والنهى والقصص والأمثال.

كما قال آخرون: هى فى أداء التلاوة وكيفية النطق بكلماتها من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة ومد لأن العرب كانت مختلفة اللغات من هذه الوجوه فيسر الله ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه.

وقال آخرون: هى الألفاظ والحروف، وقيل: سبع قراءات وأوجه، وقيل: سبع لغات يمنها ومعدها وهى أفصح اللغات وأعلاها، وقيل السبع كلها لمضر، وهى متفرقة فى القرآن غير مجتمعة فى كلمة واحدة.

وقال أبو بكر الباقلانى: الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطها عنه الأمة وأثبتها عثمان والجماعة فى المصحف وأخبروا بصحتها وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتراً، وإن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها تارة أخرى وليست متضاربة ولا متنافية.

وذكر الطحاوى أن القراءة بالأحرف السبعة كان فى أول الأمر خاصة للضرورة لاختلاف لغة العرب ومشقة أخذ جميع الطوائف بلغة واحدة، فلما كثر الناس والكتّاب وارتفعت الضرورة كانت قراءة واحدة.

وقال الداودى: هذه القراءات السبع التى يقرأ بها الناس ليس كل حرف منها

---

١) انظر الإرشادات الجلية محمد محمد محمد سالم ص ١٦.

هو أحد تلك السبعة بل تكون متفرقة فيها.

وقال أبو عبيد الله بن أبى صفرة: هذه القراءات السبع إنما شرعت من حرف واحد من السبعة المذكورة فى الحديث وهو الذى جمع عثمان عليه فى المصحف.

وقال غيره: ولا تكن القراءة بالسبع المذكورة فى الحديث فى ختمة واحدة.

ولا يُدرى أى هذه القراءات كانت آخر العرض على النبى ﷺ وكلها مستفيضة عنه.

هذا وقد تقرر إجماع المسلمين أنه يحرُم إبدال آية أمثال بآية أحكام، وتغيير خواتيم الآيات كجعل ﴿غفور رحيم﴾ مكان ﴿سميع عليم﴾ فاسد أيضاً..(١).

من خلال عرض النووى لهذه الأقوال وتلك الآراء يتضح لنا أن نزول القرآن على سبعة أحرف كان على سبيل التيسير ورفع الحرج عن العرب فى أول الأمر، وقد قرأ الرسول ﷺ بها جميعاً فى معارضة جبريل له بالقرآن مرة كل عام، وإن عثمان رضى الله عنه جمع المصحف على حرف منها خشية الاختلاف والفتنة.

وإن القراءات ليست هى المرادة بالأحرف السبعة بل هى على أحد هذه الحروف التى تضمنها الحديث الشريف.

وهذا من قبيل التيسير على العباد وتحققاً لول الله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن الذكر فهل من مذكر﴾(٢)وليبقى متلواً مقروءً محفوظاً فى الصدور متبعاً فى السلوك، مهتدىً به فى سائر شئون الحياة إلى يوم القيامة.

* * * * *

---

١) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ج ٦ مجلد ٣ ص ١٠١ ط دار الريان.
٢) القمر آية ١٧.

المبحث السابع

قراءات القرآن

من الأبواب التى تحدثت فيها السُنَّة النبوية أبواب القراءات التى يُقرأ بها القرآن وهذا من قبيل التيسير على قراء القرآن، وقد يظن البعض أن القراءات مجرد اجتهادات خاصة بأئمة القراءة وليس لها سند من السُنَّة أو أصل من الشرع، وإنما لها أبوابها الخاصة التى أفردها لها رواة السُنَّة وناقلوها.

وهذه بعض أمثلة من الأدلة لبعض روايات القراءة لا على سبيل الحصر والاستقصاء فللقراءات علم واسع خاص بها من حيث الرواية والأداء. وليس هذا مجاله. ومن ذلك :

١- عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قرأ ﴿واتخذوا من قام إبراهيم مصلى(١) بفتح الخاء بصيغة الماضى.

٢- ورُوِىَ عن لقيط بن صبرة قال: كنت وافد بنى المنتفق وفى وفد بنى المنتفق إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال - يعنى النبى - ﴿لا تحسِبن﴾ بكسر السين ولم يقل ﴿لا تحسَبن﴾ بفتحها(٢).

٣- ورُوِىَ عن خارجه بن زيد بن ثابت عن أبيه أن النبى ﷺ كان يقرأ ﴿غير أولى الضرر﴾(٣) بالرفع على أنها صفة لـ ﴿القاعدون﴾ أو النصب على الاستثناء، أو الجر على أنها صفة لـ ﴿المؤمنين﴾ فهى مثلثة الراء.

٤- عن عطية بن سعد العوفى قال: قرأت على عبد الله بن عمر: ﴿الله الذى خلقكم من ضَعف﴾ بفتح الضاد، فقال: ﴿من ضُعف﴾ بضم الضاد قرأتها على رسول الله ﷺ

---

١) رواه أبو داود كتاب الحروف والقراءات، والترمذى كتاب التفسير حديث ٢٩٧١ باب ومن سورة البقرة.

٢) رواه أبو داود كتاب الحروف والقراءات والترمذى كتاب الطهارة باب تخليل الأصابع.

٣) رواه أبو داود كتاب الحروف والقراءات.

كما قرأتها عليَّ فأخذ على كما أخذت عليك(١).

٥- رُوِىَ عن علقمة قال: قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال: أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله فقلت: نعم أنا ، قال: كيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية؟ ﴿والليل إذا يغشى﴾ ؟ قال: سمعته يقرأ: ﴿والليل إذا يغشى والذكر والأنثى﴾ يحذف كلمة ﴿وما خلق﴾ قال: وأنا والله هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ ﴿وما خلق﴾ فلا أتابعهم(٢) فهذه الرواية تحذف من القرآن كلمة ولم يرد خلاف بين القراء فى مثل ذلك فإنى أنقل لك تعليق النووى على هذا الحديث.

يقول النووى: قال القاضى قال المازرى يجب أن يعتقد فى هذا الخبر وما فى معناه أن ذلك كان قرآناً ثم نُسِخ، ولم يُعلم من خالف النسخ فبقى على النسخ قال ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغه مصحف عثمان المُجمع عليه المحذوف منه كل منسوخ، وأما بعد مصحف عثمان فلا يُظن بأحد منهم أنه خالف فيه، وأما ابن مسعود فرُوِيَت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عن أهل النقل، وما ثبت مخالفاً لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب فى مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن(٣) أ. هـ.

٦- عن إسحق سأل رجل الأسود بن يزيد وهو يُعَلِّم القرآن فى المسجد: قال: كيف تقرأ هذه الآية ﴿فهل من مدكر﴾ أدالاً أم ذالاً ؟ قال: بل دالاً(٤) سمعت عبد الله بن مسعد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿مدكر﴾ دالاً(٥).

فهذه الأمثلة توضح بعض روايات القراءات وهو عِلم له علماؤه ومتخصصوه

---

١) رواه الترمذى - ثواب القرآن وفضائله حديث ٢٩٣٧ باب ومن سورة الروم.
٢) رواه مسلم باب ما يتعلق بالقراءات كتاب الصلاة ج ٦ ص ١٠٩.
٣) انظر النووى على صحيح مسلم ج ٦ ص ١٠٩ ط دار الريان.
٤) يراد الدال المهملة.
٥) رواه مسلم باب ما يتعلق بالقراءات ج ٦ ص ١٠٨ دار الريان ١٩٨٧.

المهتمون بتحقيق رواياته وتعلّمه وتعليمه(١).

وهذا يدل على أن الله حفظ كتابه من التفسير والتبديل، ويدل أيضاً على أنه بتعدُّد القراءات الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ تُستنبط الأحكام المتنوعة فى الدين، ويدق فهم المعانى والأحكام بأكثر من وجه - مما يدل على مرونة الدعوة الإسلامية ووفاء الشريعة لكل متطلبات البشر إلى يوم القيامة.

* * * * *

---

١) علم القراءات هو: علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اختلافاً واتفاقاً مع عزو نسبة كل وجه لمن نقله.

وقد عُرف أيضاً بأنه: علم يُعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم فى أحوال النطق به من حيث السماع.

وموضوعه الكلمات القرآنية من حيث البحث عن أحوال النطق.

واختلاف القراءات يرجع إلى سبعة أوجه لا تخرج عنها جميع القراءات وهذه الأوجه:

١- اختلاف الحركات بلا تغيير فى المعنى والصورة مثل ﴿يحسب﴾ بفتح السين وكسرها.

٢- تغيير المعنى دون تغيير صورة اللفظ ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ برفع آدم ونصبها.

٣- أن يكون فى الحروف مع التغيير في المعنى لا الصورة نحو ﴿تبلو﴾ و ﴿تتلوا﴾.

٤- أن يكون فى الحروف والصورة نحو ﴿تأتل﴾ و﴿يتأل﴾.

٥- أن يكون فى الحروف مع التغيير فى الصورة لا المعنى مثل ﴿الصراط﴾ ﴿السراط﴾.

٦- أن يكون فى التقديم والتأخير مثل ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ على ما فيها من قراءات (حيث قرأ حمزة والكسائى ببناء الفعل الأول للمجهول والثانى للفاعل، والباقون من القراء على بناء الأول للمعلوم والثانى للمجهول).

٧- أن يكون فى الزيادة والنقصان، مثل ﴿أوصى ووصّى﴾.

وهذه هى الوجوه التى ترجع إليها القراءات والتى ذكرها ابن الجزرى فى تفسيره لحديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» حيث يقول ابن الجزرى: لازلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه، وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علىّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالى.

وذلك انى تتبعت القراءات كلها صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هى كلها ترجع إلى سبعة أوجه ولا يخرج عنها، وذكر الأوجه السابق ذكرها.

ويعلق صاحب الارشادات الجلية على كلام ابن الجزرى بقوله :

إذاً فجميع القراءات سبعية أو عشرية صحيحة أو شاذة نزلت على الرسول ﷺ كما قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه» فالقراءات ترجع إلى الأحرف السبعة، ولكنها ليست الأحرف السبعة. والله أعلم. (انظر إرشاد المريد إلى مقصود القصيد - الشيخ على الضباع ط صبيح، والإرشادات الجلية فى القراءات السبع - محمد محمد محمد سالم محيسن ط مكتبة الكليات الأزهرية ص ١٧).

المبحث الثامن

مدة ختم القرآن

على المؤمن أن يواظب على قراءة القرآن وأن يختم المصحف فى مدة من الأيام غير طويلة ليكون على ذكر منه دائماً، فيقرأ كل يوم ما تيسر له منه، ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ ويقول تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ وقد روى البخارى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: «أنكحنى أبى امرأة ذات حَسَب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً مذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: القنى به فلقيته بعد، فقال: كم تصوم؟ قال: كل يوم، قال: وكيف تختم؟ يقصد ختم القرآن، قال: كل ليلة، قال: صم فى كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن فى كل شهر قال: أطيق أكثر من ذلك، قال: افطر يومين وصم يوماً، قال: قلت أطيق أكثر من ذلك، قال: صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ فى كل سبع ليال مرة، فليتنى قبلت رخصة النبى ﷺ وذلك إنى كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع (بضم السين المشددة) من القرآن بالنهار، والذى يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل قال أبو عبد الله:

« وقال بعضهم فى ثلاث، وفى خمس، وأكثرهم على سبع، وفى رواية عن عبد الله بن عمر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ اقرأ القرآن فى شهر، قلت: إنى أجد قوة حتى قال: «فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك».

وفى رواية أخرى: أن النبى ﷺ قال: اختمه فى شهر، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه فى عشرين، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه فى عشر، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه فى خمس، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال فما رخص لى.

من خلال تلك الروايات نلمس أن المؤمن يجوز له أن يقرأ القرآن فى مدة

تتراوح ما بين شهر إلى خمسة أيام.

١- فإذا أراد قراءته فى خمسة أيام، فيقسم القرآن أخماساً كل خُمس ستة أجزاء من القرآن فيكمل الثلاثين جزءاً فى اليوم الخامس.

* وله أن يقسمه أن يقسمه أسداساً كل منها خمسة أجزاء تنتهى فى اليوم السادس.

٢- وإذا أراد أن يختمه فى سبعة أيام فيقرأ فى الأيام الأربعة الأولى أربعة أجزاء ونصف، وفى الأيام الثلاثة التالية يقرأ أربعة أجزاء فيكون الحاصل إتمام الثلاثين جزءاً فى الأيام السبعة على النحو التالى:

٤ر٥ × ٤ = ١٨ جزءاً ، ٤ × ٣ = ١٢ جزءاً.

فيكون الحاصل ثلاثين جزءاً.

* والبعض يقسم أربعة أجزاء فى الأيام الستة الأولى ويقرأ ستة أجزاء فى اليوم السابع.

٣- وإذا أراد أن يختمه فى عشرة جعل قراءته اليومية ثلاثة أجزاء تتم فى اليوم العاشر ثلاثين جزءاً.

٤- وإذا أراد أن يختمه فى خمسة عشر يوماً جعل قراءته جزأين وتتم الثلاثون جزءاً فى اليوم الخامس عشر.

٥- ومن أراد أن يختمه فى عشرين جعل قراءته جزءاً ونصف جزء وتتم الثلاثون جزءاً فى اليوم الثلاثين.

** فمدة ختم القرآن كما وردت فى الروايات هى:

٥ - ٧ - ١٠ - ١٥ - ٢٠ - ٣٠ يوماً.

وعلى أية حال فإن الإنسان لا يترك يوماً يمر دون أن يُعطِّر فاه بالقرآن، ويجلس إلى كتاب الله تعالى يناجى ربه، ويتدبر آياته، وليقرأ ما تيسر له قراءته، ولا يترك القرآن يوماً واحداً حتى لا تنقطع عنه بركته، ونفحاته ورحماته التى تغشى مجالسه وتحف قارئيه الملائكة.

وبعد فهذا حديث السُّنَّة عن القرآن وتوجيهات النبى ﷺ لربط الأمة بكتابها حتى لا تضل ولا تشقى وحتى تستمد قوتها من صلتها بالله فى امتثال ما أنزل واتباع ما دعا إليه الرسول ﷺ.

وفى هذا ايجاب على المسلم أن يرتبط قلبه وجسده بما فى القرآن ولن يُحرم الثواب، ولن يُمنع العزة والقوة.

* * * * *

الفصل الرابع
القـرآن والـدعـوة

ويشمل :

١- تمهيد [مفهوم الدعوة].

٢- المبحث الأول : الدعوة بمعنى الدين .

٣- المبحث الثاني : الدعوة بمعنى التبليغ والنشر .

٤- المبحث الثالث : القرآن مصدر للدعوة .

تمهيد

الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإرشاد الناس إلى الحق والهدى وإخراج العالمين من الظلمات إلى النور من أسس الشريعة الإسلامية للنهوض بالمجتمع وضمان سلامته وصيانته من الفساد والانحراف.

وإذا تُرِك ذلك وأهمل وتقاعست عنه الأمة ساء حالها ونخر السوس فى عظامها، فوهنت وضعفت وتاهت شخصيتها وتلاشت معالمها وطمع فيها أعداؤها وهانت على الصغير والكبير وتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتهم.

ولما كان القرآن الكريم هو منهج الأمة ودستور قوتها ورُقيها وتقدمها والذى يرسم لها أسلوب حياتها ويكسبها حصانة ضد تيارات الانحراف، ويوفر لها السعادة والأمن والاستقرار لقوله تعالى: ﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾(١) فلا ضلال ولا شقاء مع اتباع القرآن وما جاء به من الهدى.

فلما كان القرآن كذلك دعا المسلمين إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وحث على الدعوة إلى الخير بأسلوب ليِّن رقيق.

فالقرآن كتاب دعوة ومنهج حياة ودستور عمل. وقد تضمن القرآن الدعوة بمعنييها وإطلاقها على النحو الذى فصَّله علماء الدعوة وباحثوها على نحو ما سيأتى بيانه.

* * * * *

---

١) طه آية ١٢٣.

مفهوم الدعوة

تستعمل الدعوة بمعنيين: بمعنى الدين، وبمعنى التبليغ وجرى على ألسنة العرب استعمال الدعوة بمعنى الحث على فعل شيء معين وطلب هذا الشيء كما تقول: دعوت فلاناً إلى الصلاة أي طلبت منه فعلها، وحثثته على هذا الفعل، مع العلم بأن الطلب نوعان: طلب فعل وهذا أمر، وطلب ترك وهذا نهي.

كما تستعمل الدعوة وتطلق على المدعو إليه، وإذا قلت: دعوتي هي التوحيد فقد أطلقت على التوحيد «دعوة» وهو المدعو إليه.

وكما يقول الرسول ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم» فالمراد اتقوا ما يدعو به المظلوم على ظالمه من عذاب الله ونقمته، وفي المعجم:

« دعا إلى الشيء حثه على قصده ويُقال دعاة إلى القتال ودعاة إلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده...

وما يدعى إليه من طعام ونحوه، يُقال: نحن في دعوة فلان، ويُقال: كنا في دعوة فلان في ضيافته»(١).

وانطلاقاً من هذا فإن الدعوة تطلق ويراد بها الحث على شيء معين واعتقاده، أو المدعو إليه من دين أو مذهب والدعوة بكلا المعنيين موجودة في القرآن الكريم كما سيتبين في المبحثين التاليين :

---

١) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨٦.

المبحث الأول

الدعوة بمعنى الدين

المقصود بالدعوة بمعنى الدين: هو الإسلام بكل ما اشتمل عليه من عقيدة وشريعة وأخلاق على نحو ما جاء في حديث جبريل الذى رواه مسلم عن عمر رضى الله عنه.

ومنطوق الحديث كما رواه مسلم رضى الله عنه، عن عمر رضى الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام قال الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان، قال: صدقت، قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه؟! قال: فأخبرنى عن الايمان، قال: الايمان أن تؤمن بالله وملائكه وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت فأخبرنى عن الإحسان، قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرنى عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرنى عن أماراتها، قال: أن تلد الأمَة ربتهاوأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان، قال: ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(١).

فالدين كما جاء بالحديث يعنى الإسلام بما اشتمل عليه من عبادات: من صلاة وصيام وزكاة وحج ونطق بالشهادتين وهذه كلها أفعال ظاهرة لا بد أن تكون مرتبطة بالقلب والصدق والإخلاص فى التوجه والفعل، والايمان: بكل عناصره من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيرهوشره وهو يعنى التصديق القلبى بكل

---

١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب تعريف الإسلام والإيمان ج ١ ص ١٣٣ ط الشعب.

تلك الحقائق وبعد توحيد الله تعالى.

والإذعان له بالربوبية والوحدانية، وإفراده بالعبادة.

والإحسان، وهو معنى جامع لكل مكارم الأخلاق وهو يعنى مراقبة الله تعالى فى كل ما سبق من عبادات وعقائد وسائر المعاملات ومختلف العلاقات حيث يستحضر المؤمن فى قلبه أن الله تعالى مطّلع عليه فى كل شىء، ومن منطلق هذا الاعتقاد يتعامل مع الناس ومع الله

بعد سؤال جبريل عليه السلام النبى ﷺ عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان وإجابة النبى ﷺ إجابة وافية شافية يقول معقباً «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» فالدين هو كل ما سبق فى الحديث.

وعلى ذلك فالدعوة بمعنى الدين هى: كل ما جاءنا به النبى ﷺ من عقيدة وشريعة وأخلاق.

وهناك عدة تعريفات للدعوة بمعنى الدين كلها لا تخرج عن التعريف السابق فى حديث جبريل.

وقد قسَّم بعض المحدثين الدعوة بمعنى الدين إلى أركان(١) هى:

١- الإيمان بالله وتوحيده - شهادة ألا إله إلا الله

٢- الإيمان بالرسالة - شهادة أن محمد رسول الله

٣- الأعمال الصالحة - وهى تنقسم إلى قسمين:

أ - عبادات وتشمل الصلاة، والزكاة والصوم، والحج.

ب - معاملات وتشمل كل مجالات الحياة الإسلامية.

وقد اقترن العمل الصالح بالعقيدة الصادقة والإيمان بالله فى كثير من آيات القرآن.

الدعوة بمعنى الدين فى القرآن :

دار لفظ «الدين» فى القرآن فى العديد من الآيات - حول عدة معان، هى:

---

(١) عبد الكريم زيدان - أصول الدعوة ط مؤسسة الرسالة - ص ٧ وما بعدها.

١- الطاعة والانقياد، كقوله تعالى: ﴿يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين﴾(١).

٢- الجزاء، كقوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾(٢).

٣- الشريعة، كقوله تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾(٣).

وقد دعا القرآن إلى كل ما اشتمل عليه الدين من عناصر وأركان (٤) فقد دعا إلى العقيدة بكل عناصرها ومكوناتها - فقال تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسل لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إل إلا هو الهزيز الحكيم﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾(٨).

وقال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين

---

١) البقرة آية ١٣٢.
٢) الفاتحة آية ٤.
٣) آل عمران آية ٨٣.
٤) انظر فى معانى الدين فى القرآن معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية.
٥) البقرة ٢١، ٢٢.
٦) البقرة آية ٢٨٥.
٧) آل عمران آية ١٨.
٨) النساء ١٣٦.

أحد منهم وأولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾(١) فهذه الآيات قد تضمنت الإيمان بالله وتوحيده والإيمان بملائكته وسائر كتبه السماوية واليوم الآخر وبيَّنت ثواب المؤمنين، وعقاب الجاحدين الكافرين.

وهناك من آيات القرآن، تحدثت عن عقيدة القدر، كقوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن إنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾(٢).

وكقوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم﴾(٣) وكقوله تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾(٧).

وقوله تعالى: ﴿والله فضَّل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برآدي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل

---

١) النساء ١٥٠ - ١٥٢.
٢) الأعراف آية ١٨٨.
٣) الأنفال آية ١٧.
٤) التوبة آية ٥١.
٥) هود آية ٦.
٦) هود ١١٨، ١١٩.
٧) الرعد آية ٨.

يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾(٢).

وقد سلك القرآن طرقاً شتى فى إثبات كل هذه القضايا عن طريق التأمل فى الآيات الكونية وإيراد الأدلة بمختلف أنواعها من طرق الإقناع العقلى والقلبى وأورد المعجزات المثبتة للرسالة والنبوة، والقرآن هو المعجزة الباقية الخالدة.

والايمان بكل ما جاء به النبى ﷺ يستلزم الايمان بما جاء به الرسل السابقون صلوات الله عليهم حيث إن الجميع من مصدر واحد وكلها من عند الله تعالى.

وكما دعا القرآن إلى العقيدة وقرَّرها دعا: إلى العبادات التى هى أركان الإسلام التى أجاب بها رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام، فقال عن:

١- النطق بالشهادتين تعبيراً عمَّا في القلب: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾(٤).

كاذبون لماذا؟ لأن ما قالوه باللسان يخالف مافى قلوبهم فكما يشهد اللسان لا بد أن يشهد القلب ويُذعِن ويُقِرّ.

٢- وقال تعالى عن الصلاة: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾(٧).

---

١) النحل ٧١ ، ٧٢.
٢) الطلاق ٢ ، ٣.
٣) آل عمران ١٨.
٤) المنافقون ١.
٥) الإسراء آية ٧٨.
٦) طه آية ١٤.
٧) النساء من آية ١٠٣.

فهذه الآيات وغيرها كثير تؤكد فرضية الصلاة وضرورة إقامتها كاملة فى مواقيتها.

٣- وقال تعالى عن الزكاة: ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضو الله قرضاً حسناً﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾(٤).

فهذه الآيات وغيرها فى القرآن كثير تدل على أن إخراج الزكاة عند بلوغ المال النصاب واجب دينى اجتماعى يؤدى إلى التكافل والترابط فى المجتمع.

٤- وقال تعالى عن الصوم: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾(٥).

ومن هنا وجب الصوم فى رمضان بنص القرآن.

٥- وقال تعالى عن الحج: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾(٧).

فهذه الآيات تبين وجوب الحج على كل قادر مالياً وصحياً وأمنياً وهذه الأركان المذكورة فى القرآن لها تفصيلات وفروع فى كتب الفقه المقارن والمذهبى التى يجب أن يُلّم بأغلبها كل مسلم أخذاً من الكتاب الكريم والسُنَّة

---

١) المعارج ١٤ ، ٢٥.
٢) الذاريات آية ١٩.
٣) المزمل من آية ٢٠.
٤) الحديد آية ٧.
٥) البقرة آية ١٨٥.
٦) آل عمران آية ٩٧.
٧) الحج ٢٧ ، ٢٨.

النبوية الشريفة.

وكما تحدث القرآن عن العقيدة والعبادة تحدث عن الأخلاق الكريمة فدعا إليها وحث عليها وحذَّر من سيئها ونهى عنه.

والرسول ﷺ بيَّن المهمة التى نيط بها عندما قال: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١) وقد وصفه ربه جل وعلا فى قرآنه بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(٢) وجعله قدوة لنا فى كل شىء فقال: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾(٣)وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أن القرآن قد دعا فى محكم آياته إلى العديد من مكارم الأخلاق: فقد دعا إلى الصدق فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾(٤).

كما دعا إلى الأمانة فقال: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الإمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله تهماً يعظحكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾(٥).

كما دعا إلى الإحسان والعدل فقال: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾(٦).

وقد دعا إلى الإخلاص وصدق التوجه إلى الله فقال: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص﴾(٧).

وقال: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾(٨).

وقد دعا ءالى التوكل على الله فقال: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله

---

١) رواه أحمد من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم
٢) القرم آية ٤.
٣) الأحزاب آية ٢١.
٤) التوبة آية ١١٩.
٥) النساء آية ٥٨.
٦) النحل آية ٩٠.
٧) الزمر ١ ، ٢.
٨) الكهف آية ١١٠.

وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(١).

وقال: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾(٢).

وقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(٣).

وقد ربطت أغلب الآيات بين الايمان والتوكل(٤) على الله لما فى ذلك من دلالة على صدق الإيمان والثقة فى قضاء الله وحكمه وهذا يُكسب الإنسان راحة نفسية لاطمئنانه على مستقبله.

وكما دعا القرآن إلى مكارم الأخلاق فقد حذَّر من الأخلاق السيئة فنهى عن الظلم بصفة عامة فقال: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾(٥).

وقال: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾(٦).

وبصفة عامة فكل أمر بالعدل نهى عن الظلم وقال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾(٧).

كما نهى عن الإسراف والسَفَه، فقال: ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾(٨).

وقال: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوا الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾(٩).

---

١) آل عمران آية ١٢٢.
٢) آل عمران آية ١٥٩.
٣) الطلاق آية ٣.
٤) التوكل هو مباشرة الأسباب العادية وترك النتائج لله تعالى مع الرضا بها. وهو غير التواكل الذى هو ترك الأسباب.
٥) التوبة آية ٣٦.
٦) الأنعام آية ٨٢.
٧) المائدة آية ٨.
٨) الأعراف آية ٣١.
٩) الإسراء ٢٦ ، ٢٧.

ونهى عن الشرك فقال: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾(١) وقال: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾(٢).

وقال عن لقمان رضى الله عنه: ﴿يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾(٣)

والأمثلة كثيرة ومتنوعة فى القرآن، ولذا يمكننا القول بأن القرآن الكريم قد اشتمل على كل معالم الدعوة بمعنى الدين والشرع حيث تضمن فى محكم آياته العقيدة بكل عناصرها، ومقوماتها، مع التدليل عليها بكل الأدلة وإفهام المعاندين بالبراهين الساطعة والأدلة الواضحة، كما بيَّن العبادات آمراً بها داعياً إليها وقد فصلتها السُنَّة النبوية الشريفة، كما تضمن الأخلاق الفاضلة ودعا إليها، وحذَّر من الأخلاق الذميمة ونهى عنها متوعداً على فِعلها من تَلَبَّس بها.

ولذا فإن الدعوة كدين متضمنة فى القرآن وهو المصدر الأول لها لأخذ أحكامها واستنباط تلك الأحكام. يلى ذلك السُنَّة الشارحة الموضِّحة المُفَصِّلة لما فيه من أوامر مُجملة.

* * * * *

١) النساء آية ٣٦.
٢) النور آية ٥٥.
٣) لقمان آية ١٣.

المبحث الثانى

الدعوة بمعنى النشر والتبليغ

المراد بالدعوة بمعنى التبليغ: حث الناس على اتباع الهدى والحق والتزام ما جاء به النبى ﷺ ، وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد عرّفها العلماء بعدة تعريفات، منها:

أ - «حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»(١).

ب - «العلم الذى تُعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»(٢).

وقد اتفقت كل تعريفات الدعوة على أنها عبارة عن محاولات قولية أو فعلية يتم إيصال ما جانا به النبى ﷺ إلى الناس بطرق مختلفة متوجها به إلى قلب الإنسان أو عقله، أو عن طريق القدوة الحسنة عن طريق المحاكاة للأفعال.

والغاية من تبليغ الدعوة هو إخراج العالمين من الظلمات إلى النور ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة.

معانى التبليغ :

الابلاغ هو الوصول والادراك، يُقال أبلغه الشىء أوصله إليه، والبلاغ والتبليغ ما يتوصل به إلى الغاية(٣).

ومنه : ﴿هذا بلاغ للناس﴾ والرسول ﷺ مُبَلّغ عن الله ، أى موصل دين الله إلى الناس.

وقد وصف النبى ﷺ بأنه مبشر ونذير، وداع إلى الله ، لقول الله تعالى: ﴿يا

---

١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة - الشيخ على محفوظ ص ١٧ المطبعة المحمودية.
٢) الدعوة الإسلامية - أصولها ووسائلها - د أحمد علوش ص ١٠.
٣) المعجم الوسيط ط دار الفكر ج ١ ص ٧٠.

أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾(١).

المراد : شاهد على أمتك، أو شاهد لله بالوحدانية، ومبشر بالجنة ونذير من النار، أى بشير للمؤمنين بجزيل الثواب ونذير للكافرين من وبيل العقاب، وداعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك وفى اللغة يُقال: بشر صاحب الدين الناس وعدهم بثواب الله، والبشارة الخبر السار لا يعلمه المخبر به(٢).

كما يُقال: «أنذره الشىء أعلمه به وخوَّفه منه، والنذير بمعنى الإنذار»(٣) وقد دارت هذه المادة فى القرآن فى مواضع عديدة فى صور مختلفة من الألفاظ القرآنية حول هذه المعانى السابقة الذكر، ولكنا نلاحظ أن البشارة والإنذار تقومان على أساس الترغيب والترهيب وهما جناحا الدعوة وكل داع مبلِّغ عن الله مرغِّب بشتى الوسائل والأساليب فى الطاعة، ومرهِّب من المعاصى والمخالفات.

الدعوة بمعنى التبليغ فى القرآن :

والدعوة بهذا المعنى قد تضمن القرآن عناصرها وأمر بها.

فقد دعا إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾.

وبيَّن أن فى ذلك خيرية الأمة فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ فربط بين وصف الأمة بالخيرية وقيامهم بالأمر بالمعوف والنهى عن المنكر.

وقال فى وصف المومنين: ﴿الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾(٤) فقيام الأمة بالأمر بالمعروف والدعوة إليه والنهى عن المنكر والتحذير منه واجب لازم ليبقى المجتمع المسلم نظيفاً خالياً من البدع والمنكرات.

وإذا أهمل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سادت الفوضى وعم الفساد

١) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦.
٢) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية - ص ٦٥٣.
٣) السابق ٥٠.
٤) الحج آية ٤١.

وحلت اللعنة وحاق سوء العذاب، قد تحدث القرآن عن بنى إسرائيل الذين لُعِنوا بسبب تركهم المنكر يفشو، والمعروف يذوى ويتلاشى حتى صار الحق غريباً، فقال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾(١).

والشواهد على ذلك فى السُّنَّة الشريفة كثيرة، نسوق منها على سبيل المثال:

قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»(٢).

وفى رواية أخرى: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»(٣) والمعنى تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم، فأية لعنة وأى غضب هذا الذى يصب على المجتمعات ويلحق بالأمة إذا هى أهملت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟!.

وقد فُسِّر قوله: «قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم» أي قبل أن تدعوا الناس إلى المعروف فلا يستجيبون لكم لغربة ما تدعون إليه عن نفوسهم والمعنى صالح لأن يكون كذلك، ولأن يكون: قبل أن تدعوا الله تعالى فتمنع الذنوب والمنكرات قبول الدعاء فلا يستجاب لكم، وعلى أى تفسير فإن الإهمال فى الدعوة إلى الحق والخير مُسْتَنْزِل غضب الله ونقمته على الناس.

كما أن هناك خطابات من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يدعو الناس ويبلغ ما أنزل إليه من الحق والهدى.

فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى

---

١) المائدة ٧٨ ، ٧٩.
٢) رواه ابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها كتاب العين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ج ٢ ص ١٣٢٧.
٣) رواه الترمذى وحسنه.
٤) المائدة آية ٦٧.

هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت وادع إلى سبيل ربك ولا تكونن من المشركين﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾(٥).

وقد أمر ﷺ بالإنذار حيث خاطبه ربه بقوله: ﴿يا أيها المدثر قم بأنذر﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ والمشار إليه بهذا ما سبق من قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ إلى آخر الآيات.

وقد أثنى الله تعالى على المبلغين عنه المخلصين فى دعوتهم إليه، حيث قال: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً﴾(٨).

---

١) النحل آية ١٢٥.
٢) الأحزاب ٤٥ - ٤٧.
٣) الحج آية ٦٧.
٤) القصص آية ٨٧.
٥) الشورى آية ١٥.
٦) المدثر آية ١ ، ٢.
٧) إبراهيم آية ٤٤.
٨) الأحزاب ٣٩.

وقال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾ (١)وكل هذه الآيات وتلك النصوص تؤكد أن القرآن الكريم دعا وأكد وحث على ضرورة تبليغ الدعوة إلى الناس وحثهم على فعل الخير راسماً لهم أساليب التبليغ ومناهج الدعوة إلى الله تعالى مما يجعله دستوراً للدعاة ومنهجاً لهم.

وقد زخرت السُنَّة النبوية، وسيرة النبى ﷺ بتطبيقات الأمر بالتبليغ، وكذا سِيَر الخلفاء الراشدين، والدعاة المخلصين، وكلها نماذج تُحتذى فى عملية الدعوة إلى الله تعالى، مع مراعاة الدعاة ظروف المدعوين فى كل عصر ليتحقق لهم ما يصبون إليه من هداية البشر وإرشادهم إلى طريق الله .

* * * * *

---

١) فصلت ٣٣.

المبحث الثالث

دعوات الرسل في القرآن

مع اشتمال القرآن على أوامر إلهية بتبليغ الدعوة والهدى إلى الناس فقد اشتمل كذلك على دعوات رسل الله صلوات الله عليهم أقوامهم إلى التوحيد والعمل الصالح.

وفي القرآن الكريم العديد من سِيَر الرسل السابقين ومحاوراتهم مع أقوامهم وردود هؤلاء عليهم ومعارضتهم، مما يرسم لنا أساليب رائعة في التبليغ وكيفية الخطاب مع كل قوم وجماعة وفئة، مما يجعل الدعاة ناجحين في دعوتهم.

ولأن هذا المقام ليس مقام التفصيل والإطناب في عرض تلك السِيَر واستنباط القواعد الدعوية من خلال عرضها - ولأنه مجرد توجيه لقارىء القرآن فقط إليها قراءة وتفسيراً بن شاء في مظانها من كتب التفسير وتاريخ الأنبياء مما سنشير إليه.

وما سنذكر مواضعه في القرآن هو مواطن القصص، وليس مجرد اسم الرسول والنبي، وذلك لأن اسم النبي أو الرسول قد يرد في سياق تعديد أسماء فقط في معرض معين - كقول الله تعالى على سبيل المثال: ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾(١) فهذا المقام سردت فيه الأسماء فقط.

وإنما المقصود لنا هو بيان مواطن القصص وما فيه من تطبيقات التبليغ ومعارضات الأقوام وردود الرسل والمصير الذين انتهوا إليه، ومنهجهم في الاستدلال على دعاواهم وإثبات الحق.

ومع ملاحظة أن القصة قد لا تذكر كاملة في موطن واحد وإنما تذكر أطراف منها في مواطن عديدة من القرآن ويكون الطرف المذكور في موطن معين متلائماً مع

---

١) الأنعام ٨٤ - ٨٦.

السياق الذى ورد فيه متسقاً اتساقاً كاملاً مع ما قبله وما بعده من آيات فى القضية التى ورد فيها.

وقد اتفق رسل الله جميعاً فى الدعوة إلى التوحيد بنوعيه: الألوهية والربوبية - وبجانب الدعوة إلى التوحيد عالجوا بعض الأمراض الاجتماعية التى كانت منتشرة فى أزمانهم.

١- وقد ذكر الله قصة سيدنا نوح عليه السلام فى القرآن مبيناً دعوته مع قومه وصبره عليهم ونهيهم عن عبادة الأصنام داعياً إياهم إلى عقيدة التوحيد الخالص، وتكذيبهم إياه واتهامه بسائر الاتهامات الباطلة كالجنون والسَفَه - وأخيراً ما حاق بهم من عقاب الله وإغراقهم بالطوفان ونجاة نوح مع القليل الذين آمنوا معه(١).

٢- كما ذكر قصة هود عليه السلام والذى أرسله الله إلى عاد - وقد دعاهم إلى توحيد الله تعالى ونبذ ما سواه متبعاً معهم الذكير بما مضى من مصير قوم نوح وبنعم الله تعالى عليهم ولكنهم أمعنوا فى تكذيبه حتى أهلكهم الله تعالى بريح صرصر عاتية منجياً من آمن بالحق الذى جاء به سيدنا هود عليه السلام(٢).

٣- وتحدث القرآن عن رسالة سيدنا صالح عليه السلام إلى قومه ثمود ودعوتهم إلى التوحيد الخالص - ومعارضتهم له - ثم طلبهم العجزة الدالة على صدقه وكانت معجزة الناقة التى حذرهم من عقرها أو إيذائها - إلا أنهم اتهموه بسائر الاتهامات كاختلال العقل وغيره وعقروا الناقة فحاق بهم العذاب وأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين وأنجى الله صالحاً والذين آمنوا معه(٣).

٤- كما تحدث عن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فى سائر مراحل دعوته مع أبيه ومع قومه ومدى المحاورات المجادلات التى كانت بينه وبينهم، وما كان من

---

١) ذكرت أطراف من قصة نوح فى : الأعراف ٥٩/٦٤ ، ويونس ٧١/٧٣ ، وهود ٢٥/٤٩ ، الأنبياء ٧٦/٧٧ ، المؤمنون ٢٣/٣٠ ، الشعراء ١٠٥/١٢٢ ، العنكبوت ١٤/١٥ ، الصافات ٧٥/٨٢ ، سورة نوح كاملة.

٢) وذكرت قصة سيدنا هود في: الأعراف ٦٥/٧٢ ، هود ٥٠/٦٠ ، الشعراء ١٢٣/١٤٠ ، المؤمنون ٣١/٤١ ، فصلت ١٥/١٦ ، الأحقاف ٢١/٢٥.

٣) وردت قصة صالح عليه السلام فى : الأعراف ٧٣/٧٩ ، هود ٦١/٦٨، الحجر ٨٠/٨٤، الشعراء ١٤١/١٥٩، القمر ٢٣/٣٢، الشمس ١١/١٥.

تكسيره أصنامهم ومحاولتهم الانتقام منه بالإحراق وإنجاء الله له. كما عرض القرآن النهج الرائع الذى سلكه إبراهيم عليه السلام مع كل طوائف المشركين من عبدة الأصنام والكواكب.

كما ذكر القرآن قصته مع ولده إسماعيل من قصة الذبح، وإنجاء الله له، وحقق الرؤيا وفداه بذبح عظيم(١).

٥- وتحدث القرآن عن نبى الله لوط عليه السلام ودعوته قومه إلى توحيد الله وعبادته - ونهيهم عن ذلك الشذوذ الجنسى فى إتيان الرجال شهوة من دون النساء، وقد أصروا على تكذيبه حتى حاق بهم العقاب وأهلكهم الله تعالى بتدمير قراهم وجعل عاليها سافلها، وأنجى الله لوطاً ومن آمن معه(٢).

٦- كما تحدث القرآن عن شعيب عليه السلام وقصته مع قومه فى مدين وقد دعاهم إلى توحيد الله والإيمان به، وعلاج الخيانة فى البيع والشراء وسرقتهم فى الكيل والميزان متبعاً فى ذلك أساليب شتى من التذكير والوعظ إلا أنهم أصروا على مخالفته والإعراض عن دعوته، حتى حاق بهم العذاب وأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين(٣).

٧- وقد تحدث القرآن عن دعوة موسى عليه السلام ورسالته إلى بنى إسرائيل وما كان معه من أمر فرعون وذلك فى سياقات طويلة فالقصة تبدأ من قبل أن يولد موسى، حيث أمر فرعون بذبح كل وليد ذكر فى بنى إسرائيل خوفاً على ملكه، ويأمر الله أمه بأن تلقيه فى اليم، ويربى موسى فى قصر فرعون، ثم يخرج إلى أرض مدين حيث يمكث هناك فترة يتزوج فيها، ثم يعود إلى مصر حاملاً الرسالة بعد أن يوحى الله إليه فى طور سيناء مؤيداً إياه بمعجزتى العصا واليد، ثم يذكر القرآن محاورات فرعون والسحرة معه وما كان من انتصار موسى وهارون، ومطاردة فرعون

---

١) وردت قصة إبراهيم عليه السلام فى : البقرة ٢٥٨/٢٦٠، الأنعام ٧٥/٨٣، ١٦١. آل عمران ٦٥/٦٨، إبراهيم ٣٥/٤١، النحل ١٢٠/١٢٣، مريم ٤١/٤٨، الأنبياء ٥١/٧٠، الشعراء ٦٩/٨٣. الصافات ٨٣/١١٣.

٢) وردت قصة لوط فى : الأعراف ٨٠/٨٤، هود ٦٩/٨٣، الحجر ٥١/٧٣، الشعراء ١٦٠/١٧٥، النمل ٤٥/٥٨، العنكبوت ٢٨/٣٥، الصافات ١٣٣/١٣٨، الذاريات ٣١/٣٥، القمر ٣٣/٤٠.

٣) وردت رسالة شعيب فى : الأعراف ٨٥/٩٢، هود ٨٤/٩٤، الشعراء ١٧٦/١٨٩، العنكبوت ٣٦.

له ومن آمن معه، إلى أن هلك فرعون وجنده، كما يذكر القرآن قصته مع العبد الصالح وتعليمه موسى وصحبته له ثم عدم صبر موسى عليه، ثم الفراق بينهما(١).

٨- كما تحدث القرآن عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والإعجاز في مولده وأمر أمه وصلاحها ورسالته التي دعا إليها من توحيد الله تعالى والمعجزات التي أيده الله بها من إبراء الأكمه والأبرص والأعمى وإحياء الموتى بإذن الله ورفع الله له بعد أن أراد قومه قتله وصلبه، وبيان الخطأ الشديد وكفر من نسبوه إلى الله وزعمهم أنه ابن الله ورد القرآن عليهم بالأدلة والبراهين والمناقشات العقلية، وتبرئة عيسى عليه السلام مما نسبوه إليه ليخلص لنا أن رسالته هي توحيد الله وعبادته، وإلى هذا دعا عليه السلام(٢).

٩- وتحدث القرآن عن سيدنا يونس عليه السلام حيث ورد اسمه في سياقات مختلفة لكن أطرافاً من قصته ذُكِرات في عدة مواطن من القرآن إلا أنها سياقات قصيرة عموماً(٣).

وهذا القصص المذكور في القرآن يرسم لنا التطبيق العملي في تبليغ الرسل دعوة الله إلى الناس كافة ويمكن استنباط القواعد الدعوية والمناهج المتنوعة للتبليغ من خلال محاوراتهم مع أقوامهم والوقوف أمام الأساليب الرائعة في إلزام الخصوم الحجة مما يهدي الدعاة إلى اتخاذ هذه الأساليب للاستفادة منها في دعوة الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم مقتدين في ذلك برسول الله ﷺ، والموضوع مبسوط في مظانه من مراجع علم الدعوة(٤) فليرجع إليه من شاء.

---

١) ورد ذكر موسى في القرآن ١٣٦ مرة - وقصته في مواطن كثيرة منها: البقرة ٧٤/٥١، ٩٣/٨٧، النساء ١٥٤/١٥٣، المائدة ٢٦/٢٠، الأعراف ١٦٠/١٠٣، يونس ٨٨/٧٥، الكهف ٨٢/٦٠، طه ٩١/٩، المؤمنون ٤٩/٤٥، الشعراء ٦٦/١٠، النمل ١٤/٧، القصص ٤٤/٣، غافر ٤٦/٢٣، النازعات ٢٦/١٥.

٢) وردت قصة المسيح عيسى بن مريم في : آل عمران ٥٩/٥٥/٥٢/٤٥، النساء ١٧١/٥٧، المائدة ١١٦/١١٠/٧٨/٤٦، مريم ٣٦/١٦، الحديد ٢٧، الصف ١٤/٦.

٣) ورد ذكر يونس في : النساء ١٦٣، الأنعام ٨٦، يونس ٩٨، الصافات ١٤٨/١٣٩، وفي هذا الموطن الأخير طرف من دعوته.

٤) مثل كتاب : هداية المرشدين الشيخ علي محفوظ، والدعوة والإسلامية د. أحمد علوش، تاريخ الأنبياء د. محمد الطيبب، دعوة الرسل الشيخ محمد أحمد العدوي ... وغيرها.

والرسل جميعاً قد تعرضوا لمواقف متشابهة فى مسيرة الدعوة إلى الله وبالتأمل فى القرآن عند حديثه عن رسالات الرسل نجد أنهم قد تعرضوا لما يلى:

أ - التكذيب والمقاومة من أقوامهم.

ب - الاتهام بالسحر والجنون والشعر.

ج - الرمى بالسفه والضلال.

ورسل الله جميعاً تذرعوا بالحلم والصبر وعدم رد الإساءة بمثلها بل كانوا يناقشون ويجادلون بالتى هي أحسن دون الإساءة لأقوامهم والله بيَّن أن الصبر على المدعو هو سمة كل الدعاة والرسل صلوات الله عليهم، حيث يقول لرسوله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾، فالداعى الناجح هو الصابر على قومه حتى يحقق غايته. كما كان الرسل يتنوَّعون أساليب الدعوة حسب مقتضيات الأحوال فى المدعوين فسلكوا فى ذلك الحكمة والموعظة الحسنة، أو الجدل عند الاقتضاء.

وما أحوج الدعاة فى العصر الحاضر إلى أن يختاروا الأسلوب المناسب لحال المدعو لينجحوا فى دعوتهم ويحققوا الغاية منها وهو إبلاغ منهج الله وهداه إلى عباده، ليكونوا على بصيرة من أمرهم.

* * * * *

المبحث الرابع

القرآن مصدر للدعوة

بعد هذا العرض للدعوة فى كتاب الله تعالى نجد أن القرآن مصدر للدعوة بكل إطلاقاتها، فهو المصدر الأول للدين كتشريعات ونظم تنظم مجالات التعامل الإنساني.

فقد تضمن فى محكم آياته أصول العقائد والعبادات، وأرسى قواعد المعاملات من خلال نصوصه وآياته التى تؤخذ منها الأدلة والمتنوعة حسب قواعد الاستنباط وأصول الاجتهاد(١).

وقد تناول القرآن موضوعات عديدة ووضع لها تشريعاتها وأصولها:

١- أبرز هذه الموضوعات العقيدة: حيث تناول قواعدها وأسسها من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر - وفصَّل البعث والحشر والحساب والجنة والنار، كما أقام الأدلة المقنعة وناقش المفكرين مناقشات عقلية تعتبر أصولاً للمجادلة بالحسنى - ووذلك فى إطار البناء العقدى الصحيح - حيث يستلزم ذلك هدم العقيدة الباطلة أولاً.

كما تحدى الله بالقرآن العرب وغيرهم فكان معجزة دالة على صدق الرسول ﷺ فيما يبلغ عن الله من شرعة الحكيم.

٢- ومن الموضوعات: القصص، والقصص القرآنى ليس خيالياً وإنما هو واقعى ساقه الله تعالى للعبرة والعظة، وتسلية النبى ﷺ - فقد تحدث القرآن عن قصة آدم وخلقه وما كان من موقف إبليس منه.. وذكر ذلك فى العديد من المواضع من القرآن.

كما تحدث عن قصص سائر الأنبياء والرسل والأمم الغابرة، وتحدث عن رسالة نوح، ورسالة هود وصالح، وإبراهم، وموسى، وعيسى، وسليمان، وداود،

---

١) للتوسع فى هذا الموضوع يرجع إلى كتب أصول الفقه.

ويونس عليهم جميعاً السلام.

على نحو ما سبقت الإشارة إليه فى مبحث دعوات الرسل فى القرآن وما شرع لهؤلاء يعتبر شرعاً لأمة محمد ﷺ ، إذ أن القاعدة: «شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يرد ما ينسخه»(١).

وقد أفرد سورة يوسف بقصة يوسف وإخوته مع أبيه وعزيز مصر وامرأة العزيز - وجعل هذا عبرة لأولى الألباب.

كما ذكر فى سورة الكهف قصة أهل الكهف - والقصة المثل لأصحاب الحديقة .. وهكذا.

٣- ومن موضوعات القرآن، التشريعات المنظمة للعلاقات :

أ - تشريعات عبادية : كالأمر بالصلاة - والزكاة - والصيام - والحج. وقد تكفلت السُنّة بتفصيلات التطبيق لهذه التشريعات.

ب - تشريعات أحوال شخصية : مثل عقد الزواج - ومعاشرة الزوجات - والصداق - والخطبة - والميراث وأنصبة الوارثين بدقة ووضوح - وقد تكفلت السُنّة بالتحليل والايضاح والتطبيق.

ج - تشريعات جنائية: كتشريعات الحدود والقصاص - مثل حد السرقة - والزنا - وشرب الخمر - والقذف - والقصاص فى القتل ... والحرابة.

وهذه التشريعات وتلك الحدود إنما هي لحفظ المجتمع المسلم وصيانته من عبث العابثين، وكيد الكائدين.

د - تشريعات اقتصادية: حيث تحدث عن البيع والشراء، والانفاق والصدقات - ووضع الخطوط العريضة للتعامل فأحل البيع الحلال - وحرَّم الربا بكل صوره تحت أى اسم من الأسماء.

هـ - تشريعات حربية: فقد دعا إلى الجهاد، وإعداد العدة لملاقاة العدو وحث على الجهاد ببيان ثواب المجاهد عند النصر أو الشهادة وثواب الشهداء

---

١) انظر أصول الفقه - الإمام محمد أبو زهرة - ص ٣٤١ وما بعدها ج ١ دار الفكر العربى - له كلام طيب فى الموضوع.

وأجرهم الكبير.

وأبواب الجهاد وما يتعلق بالمعارك فى السُنَّة النبوية يعتبر تطبيقاً رائعاً لأوامر القرآن فى هذا المجال.

وكل ما سبق من تشريعات وموضوعات قرآنية هى أصول الدين، فالدعوة بمعنى الدين تُؤخذ أحكامها من القرآن وهو المصدر الأول لها تليه السُنَّة النبوية ثم سائر المصادر الأخرى.

وقد رأينا أن القرآن يشتمل على أصول الدعوة بمعنى التبليغ والإيصال، فكل قصص الرسالات السابقة وواقع الدعوة الإسلامية تعتبر مصدراً أساسياً لاستنباط القواعد الدعوية فى طرق الوعظ والمناقشة - وأسلوب عرض القضايا الدينية بما يتلائم وحال المدعوين مراعى فى ذلك تكوينهم الاجتماعى والعقلى والنفسى.

ويرسم لنا القرآن المنهج العقلى فى مناقشة سائر المسائل والقضايا وأعطانا أمثلة رائعة فى جدل الدهريين، والمشركين، وغيرهم من معارضى الدعوة. ورسم أمامنا نماذج عظيمة من خطاب القلب وإثارة العاطفة وتليين القلب فى الدعوة إلى الإحسان إلى اليتيم وعدم الاعتداء على ماله حال الوصاية عليه.

وإثارة الشوق إلى الجنة بذكر ما فيها من نعيم وثواب للمؤمنين. مقارناً إياها بذكر النار وما فيها من ويل وعذاب للكافرين متخذاً لذلك أروع أساليب البلاغة والبيان.

وهذا كله يعتبر نماذج وأمثلة يقف أمامها الدعاة ليحذوا حذوها ويلتزموا منهجها وأسلوبها، وكلها تدور حول الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحسنى.

والسيرة النبوية الشريفة - وكذلك السُنَّة النبوية - وسِيَر الخلفاء الراشدين وسُنتهم تعتبر تطبيقات حية ورائعة لأوامر القرآن فى الدعوة إلى الله

وهذا المصدر الأول - القرآن - لا يتطرق إليه شك أو ريب، أو تحريف أو تغيير لحفظ الله إياه من كل ذلك فهو ثابت النص - متطور الفهم متجدد دائماً فهو جامع بين التطور والثبات - فالنص ثابت والفهم متطور. حسب مقتضيات الأحداث المتجددة على مر العصور، وغنى عن الإشارة أن مسائل العقيدة والعبادة - مفصَّلة -

وفى آيات محكمات ولا تتغير مفاهيمها بتغير الزمن - إنما المتجدد هو أحكام المعاملات بأنواعها - حيث إن القواعد العامة فى القرآن، أما الفروع فقد تُركت لمجتهدى كل عصر بما لا يعارض الأصول العامة للتشريع.

وعندئذ يمكننا القول بأن القرآن مصدر ثابت للدعوة إلى الله تعالى، وأصل للأحكام الشرعية، والعقيدة الصحيح، كما أنه مصدر أصيل حفظه الله تعالى من العبث والتحريف، فلا يمكن أن يتطرق إليه شك أو ريب، ليكون هداية ونوراً للبشرية إلى يوم القيامة.

وبعد .. فيا أيها المسلم.. ألا يجدر بك أن تجلس إلى مائدته تُرتِّل آياته وتفهم أحكامه، وتتدبر معانيه ؟

ولتنال الأجر كاملاً لا بد أن تتبع القراءة الصحيحة مترسماً فى ذلك هدى النبى ﷺ فى قراءته، وذلك ما سيتضح لك إن شاء الله تعالى فى ما يلى من هذا الكتاب..

* * * * *

الباب الثاني
أحكام تلاوة القرآن

ويشمل :

١- مقدمات في علم التجويد.

٢- الأبواب المشتركة بين التحفة والجزرية.

٣- الأبواب التي انفردت بها الجزرية.

تمهيد

بعد أن عرفنا كل هذه الفضائل للقرآن، ومدى ثواب قارئه وسامعه، يجب أن تعلم أن غاية القراءة هي الاهتداء بما في القرآن من توجيهات، وتدبُّر ما فيه من آيات، وتأمل ما لفت إليه أنظارنا من الآيات الكونية.

وكذا نَيْل الأجر والثواب على نفس القراءة، وهذا لا يتحقق إلا إذا ترسَّمنا خُطى النبي ﷺ واقتدينا به في قراءته وأدائه الأحكام، وهذا لا يتأتى لنا ولا نصل إليه إلا إذا راعينا أحكام تجويد القرآن وتلاوته، من المدود والغُنن والوقوف والمخارج ومراعاة الصفات ..

ولذا فإنه يجب علينا العلم بتلك الأحكام لنتبعها ونفوز برضا الله تعالى..

وفيما يلي عرض مبسط لأحكام تلاوة القرآن برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية (١)، وذلك حسب ترتيب موضوعات مَتْنَى التحفة للشيخ سليمان الجمزوري، والجزرية للشيخ محمد بن الجزرى عليهما رحمة الله .

وقُسِّمت الموضوعات إلى : موضوعات مشتركة بينهما، وموضوعات انفرد بها متن الجزرية فقط، وقبل كل هذا تقديم ببعض الأحكام التى لم يتضمنها النظمان.

ونشير في الهامش إلى موضع الحكم المشروح في متن التحفة أو الجزرية أو فيهما معاً للإفادة من ذلك لقارئ القرآن.. الذي يريد معرفة ذلك وهذا ما يتضح في فصول الباب، والله هو المستعان..

* * * * *

١) المسماة بحرز الأماني ووجه التهاني - للشاطبي.

الفصل الأول

[مقدمات في علم التجويد]

١- نص متن التحفة للشيخ سليمان الجمزوري، ومتن الجزرية لابن الجزرى.

٢- مقدمات لا بد منها:

(وتشمل الموضوعات التى يتضمنها متنا التحفة أو الجزرية).

* تعريف علم التجويد.
* بدع يجب اجتنابها فى القراءة.
* أحكام الاستعاذة والبسملة.
* سجدات القرآن.

متن التحفة الجزرية

من المنظومات التي دونت قواعد علم التجويد والتي تفيد القاريء لسهولة لفظها وعذوبته وتسلسل القواعد وانتظامها ، [متن تحفة الأطفال] للشيخ سليمان الجمزوري ، و [متن الجزرية] للشيخ محمد بن الجزري ، بلغ عدد أبيات الأولى ٦١ بيتاً ، والثانية ١٠٩ أبيات ، فهما موجزتان ايجازاً غير مخل..

وتتميماً للفائدة ، أذكر نصهما بعد حذف مقدمة كل منهما ، ليكون الدارس على ذكر منهما ، وليسهل الاستشهاد بهما في مواضع الاستشهاد.

أولا : متن التحفة للجمزوري:

[أحكام النون الساكنة والتنوين]

١- للنون أن تسكن وللتنوين ... أربع أحكام فخذ تبييني

٢- فالأول الاظهار قبل أحرف ... للحلق ست تبت فلتعرف

٣- همز فهاء ثم عين حاء ... مهملتان ثم غين خاء

٤- والثان ادغام بستة أتت ... في يرملون عندهم قد ثبتت

٥- لكنها قسمان قسم يدغما ... فيه بغنة بينمو علما

٦- إلا إذا كانا بكلمة فلا ... تدغم كدنيا ثم صنوان تلا

٧- والثان إدغام بغير غنة ... في اللام والراء ثم كررنه

٨- والثالث الإقلاب عند الباء ... ميماً بغنة مع الإخفاء

٩- والرابع الإخفاء عند الفاضل ... من الحروف واجب للفاضل

١٠- في خمسة من بعد عشر رمزها   في كلم هذا البيت قد ضمنتها

صف ذا ثناكم جاد شخص قدسما   دم طيباً زد في تقى ضع ظالما

[أحكام الميم والنون المشددتين]

١٢- وغن ميماً ثم نوناً شددا   وسم كلا حرف غنة بدا

[أحكام الميم الساكنة]

١٣- والميم إن تسكن تجي قبل الهجا   لا ألف لينة لذي الحجا

١٤- أحكامها ثلاثة لمن ضبط   إخفاء أدغام وإظهار فقط

١٥- فالأول الاخفاء عند الباء   وسمه الشفوي للفراء

١٦- والثان إدغام بمثلها أتى   وسمه ادغاماً صغيراً يا فتى

١٧- والثالث الإظهار في البقية   من أحرف وسمها شفوية

١٨- واحذر لدى واو وفا أن تختفي   لقربها ولاتحاد فاعرف

[حكم لام أل ولام الفعل]

١٩- للام أل حالان قبل الاحرف   أولاهما إظهارها فلتعرف

٢٠- قبل اربع مع عشرة خذ عليه   من أبغ حجك وخف عقيمه

٢١- ثانيهما ادغامها في أربع   وعشرة أيضا ورمزها فعى

٢٢- طب ثم صل رحماً تفز ضف ذا نعم   دع سوء ظن زر شريفاً للكرم

٢٣- واللام الاولى سمها قمرية   واللام الاخرى سمها شمسية

٢٤- وأظهرن لام فعل مطلقا   في نحو قل نعم وقلنا والتقى

[في المثالين والمتقاربين والمتجانسين]

٢٥- إن في الصفات والمخارج اتفق   حرفان فالمثلان فيهما أحق

٢٦- وإن يكونا مخرجا تقاربا   وفي الصفات اختلفا يلقبا

٢٧- متقاربين أو يكونا اتفقا   في مخرج دون الصفات حققا

٢٨- بالمتجانسين ثم ان سكن   أول كل فالصغير سمين

٢٩- أو حرك الحرفان في كل فقل   كل كبير وافهمته بالمثل

[أقسام المــــد]

٣٠- والمد أصلي وفرعي له ... وسم أولا طبيعياً وهو

٣١- مالا توقف له على سبب ... ولا يدونه الحروف تجتلب

٣٢- بل أي حرف غير همز أو سكون ... جا بعد مد فالطبيعي يكون

٣٣- والآخر الفرعي موقوف على ... سبب كهمز أو سكون مسجلا

٣٤- حروفه ثلاثة فعيها ... من لفظ واي وهي في نوحيها

٣٥- والكسر قبل اليا وقبل الواو ضم ... شرط وفتح قبل ألف يلتزم

٣٦- واللين منها اليا وواو سكنا ... ان انفتاح قبل كل اعلنا

[أحكام المــــد]

٣٧- للمد أحكام ثلاثة تدوم ... وهي الوجوب والجواز واللزوم

٣٨- فواجب ان جاء همز بعد مد ... في كلمة وذا بمتصل يعد

٣٩- وجائز مد وقصران فصل ... كل بكلمة وهذا المنفصل

٤٠- ومثل ذا ان عرض السكون ... وقفا كتعلمون نستعين

٤١- او قدم الهمز على المد وذا ... بدل كآمنوا وايمانا خذا

٤٢- ولازم إن السكون أصلا ... وصلا ووقفا بعد مد طولا

[أقسام المد اللازم]

٤٣- أقسام لازم لديهم أربعة ... وتلك كلمي وحرفي معه

٤٤- كلاهما مخفف مثقل ... فهذه أربعة تفصل

٤٥- فان بكلمة سكون اجتمع ... مع حرف مد فهو كلمى وقع

٤٦- أو في ثلاثي الحروف وجدا ... والمد وسطه فحرفي بدا

٤٧- كلاهما مثقل إن أدغما ... مخفف كل إذا لم يدغما

٤٨- واللازم الحرفي اول السور ... وجوده وفي ثمان انحصر

٤٩- يجمعها حروف «كم عسل نقص» ... وعين ذو وجهين والطول أخص

٥٠- وما سوى الحرف الثلاثي لا ألف ... فمده مد طبيعي ألف

٥١- وذاك أيضاً في فواتح السور ... في لفظ حي طاهر قد انحصر

٥٢- ويجمع الفواتح الاربع عشر صله سحيرا من قطعك ذا اشتهر
٥٣- وتم ذا النظم بحمد الله على تمامه بلا تناهي
٥٤- أبياته ند بدا (١) لذي النهى تاريخها بشري لمن يتقنها
٥٥- ثم الصلاة والسلام أبدا على ختام الأنبياء أحمدا
٥٦- والال والصحب وكل تابعي وكل قاريء وكل سامع

ثانيـا : متن الجزرية :

[مخارج الحروف]

١- مخارج الحروف سبعة عشر على الذي يختاره من اختبر
٢- فألف الجوف واختاها وهي حروف مد للهواء تنتهي
٣- ثم لأقصى الحلق همز هاء ثم لوسطه فعين حاء
٤- أدناه غين خاؤها والقاف أقصى اللسان فوق ثم كاف
٥- أسفل والوسط فجيم الشين يا والضاد من حافته اذ وليا
٦- الأضراس من أيسر أو يمناها واللام أدناها لمنتهاها
٧- والنون من طرفه تحت اجعلوا والراء يدانيه لظهر أدخل
٨- والطاء والدال وتا منه ومن عليا الثنايا والصفير مستكن
٩- منه ومن فوق الثنايا السفلى والظاء والذال وثا للعليا
١٠- من طرفيهما ومن بطن الشفة فالفا من اطراف الثنايا المشرفة

---

١) لفظ ندا بدا بيان لعدد الأبيات بما فيها الخطبة ، وقد استخدم الناظم حساب الحروف في ذلك ، النون تساوي ٥٠ والدال ٤ والباء ٢ والدال ٤ والالف ١ فيصير المجموع ٦١ هو عدد أبيات التحفة.

١١- للشفتين الواو باء ميم   وغنه مخرجها الخيشوم

[باب الصفات]

١٢- صفاتها جهر ورخو مستقل   منفتح مصمتة والضد قل

١٣- مهموسها فحثه شخص سكت   شديدها لفظ أجد قط بكت

١٤- وبين رخو والشديد لن عمر   وسبع علو خص ضغط قظ حصر

١٥- وصاد وضاد طاء ظاء مطبقة   وفر من لب الحروف المذلقة

١٦- صفيرها صاد وزاي سين   قلقله قطب جد واللين

١٧- واو وياء سكنا وانفتحا   قبلهما والانحراف صححا

١٨- في اللام والواو بتكرير جعل   وللتقشي الشين ضاد استطل

[باب التجويد]

١٩- والأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجود القرآن آثم

٢٠- لأنه به الإله أنزلا   وهكذا منه إلينا وصلا

٢١- وهو أيضا حلية التلاوة   وزينة الأداء والقراءة

٢٢- وهو إعطاء الحروف حقها   من صفة لها مستحقها

٢٣- ورد كل واحد لأصله   واللفظ في نظيره كمثله

٢٤- مكملا من غير ما تكلف   باللطف في النطق بلا تعسف

٢٥- وليس بينه وبين تركه   إلا رياضة امريء بفكه

٢٦- فرققن مستفلا من احرف   وحاذرن تفخيم لفظ الألف

٢٧- كهمزة الحمد أعوذ إهدنا   الله ثم لام لله لنا

٢٨- وليتلطف وعلى الله ولا الض   والميم من مخمصه ومن مرض

٢٩- وباء برق باطل بهم بذي   فاحرص على الشدة والجهر الذي

٣٠- فيها وفي الجيم كحب الصبر   وربوة اجتثت وحج الفجر

٣١- وبين مقلقلا إن سكنا   وإن يكن في الوقف كان أبينا

٣٢- وحاء حصحص أحطت الحق   وسين مستقيم يبسطوا يسقوا

[باب الراءات]

٣٣- ورقق الراء إذا ما كسرت كذاك بعد الكسر حيث سكنت

٣٤- إن لم تكن من قبل حرف استعلا أو كانت الكسرة ليست أصلا

٣٥- والخلف في فرق لكسر يوجد وأخف تكريراً إذا تشدد

[باب اللامات]

٣٦- وفخم اللام من اسم الله عن فتح أو ضم كعبدالله

٣٧- وحرف الاستعلاء فخم واخصصا الاطباق اقوى نحو قال والعصا

٣٨- وبين الإطباق من أحطت مع بسطت الخلف ينخلفكم وقع

٣٩- واحرص على السكون في جعلنا أنعمت والمغضوب مع ضللنا

٤٠- وخلص انفتاح محذورا عسى خوف اشتباهه بمحظورا عصا

٤١- وراع شدة بكاف وبتا كشرككم وتتوفى فتنتا

[باب الإدغام والإظهار]

٤٢- وأول مثل وجنس أن سكن أدغم كقل ربي وبل لا وابن

٤٣- في يوم مع قالوا وهم وقل نعم سبحه لا تزغ قلوب فالتقم

[باب الضاد والظاء]

٤٤- والضاد باستطالة ومخرج ميز من الظاء وكلها تجي

٤٥- في الظعن ظل الظهر عظم الحفظ وأيقظ وانظر عظم ظهر اللفظ

٤٦- ظاهر لظى شواظ كظم ظلما أغلظ ظلام ظفر انتظر ظلما

٤٧- أظفر ظننا كيف جا وعظ سوى عضبن ظل النحل زخرف سوا

٤٨- وظلت ظلتم وبروم ظلوا كالحجر ظلت شعرا تظل

٤٩- يظللن محظورا مع المحتظر وكنت فظا وجميع النظر

٥٠- الا بويل هل واولى ناضره والغيظ لا الرعد وهود قاصره

٥١- والحظ لا الحض على الطعام وفي ضنين الخلاف سامي

٥٢- وإن تلاقيا البيان لازم انقض ظهرك يعض الظالم

٥٣- واضطر مع وعظت مع أفضتم وصف ها جباههم عليهم

[باب الميم والنون المشددتين والميم الساكنة]

٥٤- وأظهر الغنة من نون ومن ميم اذا ما شددا واخفين
٥٥- الميم ان تسكن بغنة لدى باء على المختار من أهل الأدا
٥٦- وأظهرنها عند باقي الأحرف واحذر لدى واو وفا أن تختفي

[باب حكم النون الساكنة والتنوين]

٥٧- وحكم تنوين ونون يلفى إظهار ادغام وقلب اخفا
٥٨- فعند حرف الحلق اظهر وادغم في اللام والراء لا بغنة لزم
٥٩- وادغمن بغنة في يومن إلا بكلمة كدنيا عنونوا
٦٠- والقلب عند البا بغنة كذا الاخفاء لدى باقي الحروف أخذا

[باب المد والقصر]

٦١- والمد لازم وواجب أتى وجائز وهو وقصر ثبتا
٦٢- فلازم إن جاء بعد حرف مد ساكن حالين وبالطول يمد
٦٣- واجب إن جاء قبل همزة متصلا ان جمعا بكلمة
٦٤- وجائز إذا أتى منفصلا أو عرض السكون وقفا مسجلا

[باب معرفة الوقوف]

٦٥- وبعد تجويدك للحروف لا بد من معرفة الوقوف
٦٦- والابتداء وهي تنقسم اذن ثلاثة تام وكاف وحسن
٦٧- وهي لما تم فان لم يوجد تعلق او كان معنى فابتدي
٦٨- فالتام فالكافي ولفظا فامنعن الا رؤوس الآي جوز فالحسن
٦٩- وغير ما تم قبيح له يوقف مضطراً ويبدأ قبله
٧٠- وليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ماله سبب

[باب معرفة المقطوع والموصول]

٧١- واعرف لمقطوع وموصول وتا في مصحف الامام فيما قد أتى
٧٢- فاقطع بعشر كلمات إن لا مع ملجأ ولا إله إلا
٧٣- وتعبدوا ياسين ثاني هود لا يشركن تشرك يدخلن تعلوا على

٧٤- أن لا يقولوا لا أقول أن ما ... بالرعد والمفتوح صل وعن ما
٧٥- نهوا اقطعوا من ما بروم والنسا ... خلف المنافقين أم من أسسا
٧٦- فصلت النسا وذبح حيث ما ... وأن لم المفتوح كسر أن ما
٧٧- الانعام والمفتوح يدعون معا ... وخلف الانفال ونحل وقعا
٧٨- وكل ما سألتمون واختلف ... ردوا كذا قل بئسما والوصل صف
٧٩- خلفتموني واشتروا في ما اقطعا ... أوحى أفضتم واشتهت يبلوا معا
٨٠- ثاني فعلن وقعت روم كلا ... تنزيل شعرا وغير ذي صلا
٨١- فأينما كالنحل صل ومختلف ... في الشعرا الأحزاب والنسا وصف
٨٢- وصل فألم هود ألن نجعل ... تجمع كيلا تحزنوا تأسوا على
٨٣- حج عليك حرج وقطعهم ... عن من يشاء من تولى يوم هم
٨٤- ومال هذا والذين هؤلاء ... حين في الامام صل ووهلا
٨٥- وزنوهم وكالوهم صل ... كذا من آل وهاويا لا تفصل

[باب التاءات]

٨٦- ورحمتا الزخرف بالتاء زبرة ... الاعراف روم هود كاف البقرة
٨٧- نعمتها ثلاث نحل إبراهيم ... معا أخيرات عقود الثان هم
٨٨- لقمان ثم فاطر كالطور ... عمران لعنت بها والنور
٨٩- وامرأت يوسف عمران القصص ... تحريم معصيت بقد سمع تخص
٩٠- شجرت الدخان سنت فاطر ... كلا والانفال وحرف غافر
٩١- قرت عين جنت في وقعت ... فطرت بقيت ابنت وكلمت
٩٢- أوسط الاعراف وكل ما اختلف ... جمعاً وفرداً فيه بالتاء عرف

[باب همز الوصل]

٩٣- وابدأ بهمز الوصل من فعل بضم ... إن كان ثالث من الفعل يضم
٩٤- واكسره حال الكسر والفتح وفي ... الأسماء غير اللام كسرها وفي
٩٥- ابن مع ابنت امرء واثنين ... وامرأة واسم مع اثنين
٩٦- وحاذر الوقف بكل الحركة ... إلا إذا رمت فبعض حركة

٩٧- إلا بفتح أو بنصب واشم x إشارة بالضم في رفع وضم

٩٨- وقد تقضي نظمي المقدمة مني لقاريء القرآن تقدمه

٩٩- والحمد لله لها ختام ثم الصلاة بعد والسلام

١٠٠- على النبى المصطفى وآله وصحبه وتابعي منواله

١٠١- أبياتها قاف وزاي[١] بالعدد من يتقن التجويد يظفر بالرشد

---

١) هذا بيان للعدد بالخطبة ، والقاف تساوي ١٠٠ ، والزاي ٧ ، والباء ٢ ، فيصير المجمع (١٠٩) هو عدد الابيات.

مقدمات لا بد منها

قبل أن نطرق موضوعات علم التجويد ، لا بد من الإلمام ببعض الأمور المتعلقة بأحكام التلاوة وآدابها ، وأهمها التعريف بعلم التجويد ، إذ كيف يتسنى لشخص دراسة علم من العلوم وهو غير عارف بحقيقته وموضوعه؟.

١- التعريف بعلم التجويد :

التجويد : مصدر جود (بتشديد الوسط) ، أي جود تجويداً ، وتجويد الشيء يجعله جيداً ، بمعنى جعله حسناً ، فالتجويد بمعنى التحسين.

فهو في اللغة : التحسين .

وفي الاصطلاح : أي ما اتفق عليه علماء فن التجويد : إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه .

وهاك بيان التعريف : (من مخرجه) المراد بالمخرج مكان خروج الحرف كالشفتين مثلا ، فهما مخرج كل من الباء والميم ، ويتضح ذلك عند نطق كل منهما بالسكون.

(مع إعطائه) والهاء في إعطائه ضمير مبني في محل جر يعود على الحرف ، أي من إعطاء الحرف.

(حقه) : حق الحرف ما يجب له من الصفات الذاتية التي تلازمه ولا تفارقه بحيث إذا انعدمت الصفة انعدم الحرف ، مثل التكرير بالنسبة لحرف الراء ، وهو أي التكرير لغة الإعادة، واصطلاحاً : ارتعاد رأس طرف اللسان بالحرف عند النطق به ، ولك أن تجرب ذلك بنطق الراء الساكنة أو المشددة ، فإذا انعدم التكرير انعدمت الراء.

(ومستحقه) : مستحق الحرف هو صفته العرضية التي لا تلازمه بل تقوم به تارة وتفارقه تارة أخرى ، مثل التفخيم ، والترقيق بالنسبة للراء كذلك ، فمثلا هي في (فرعون) ، (رزق كريم) مرققة لسكونها بعد كسر في

الأولى ، ولكسرها في الثانية ، وهي في (غلبت الروم) مفخمة ، وهي مع التفخيم والترقيق لم يفارقها التكرير ، فهو صفة لازمة وحق الحرف ، أما التفخيم والترقيق فهما عارضان ومستحق الحرف.

٢- مكانتـــــه :

هو من العلوم الدينية ، يشرف بشرف موضوعه ، وهو القرآن الكريم حيث أنه يتعلق به أداء وتلاوة.

٣- موضوعـــــه :

ذهب بعض العلماء إلى أن موضوعه الحديث النبوي بعد القرآن الكريم والجمهور على أن موضوعه القرآن الكريم ، وهو بهذا يشترك مع التفسير ، إلا أنه يفارقه في أن التفسير لبيان معاني الآيات واستنباط الأحكام ، أما التجويد فهو متعلق به من حيث الأداء والتلاوة وإعطاء الحروف حقها ومستحقها.

٤- واضعـــــه :

أول واضع عملي لهذا العلم هو رسول الله ﷺ ، حيث كان يقرأ القرآن ويتلقاه عنه الصحابة .

إلا أن أول من وضعه كقواعد وعلم ، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي وغيره من أئمة القراءة واللغة.

٥- فائدته وثمرته :

إن علم التجويد تعريف بالطريق السليم في القراءة والتلاوة وحسن الأداء الذي ينال به الإنسان رضا ربه ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وكذا يعصم اللسان عن اللحن ، والخطأ بنوعيه : (الجلي) وهو ما كان بسبب

مخالفة القواعد العربية ، (الخفي) وهو ما كان بسبب مخالفة قواعد التجويد.

٦- حكم تعليمـــه :

☐ سبق أن ذكرنا من الأحاديث ما يدل على ثواب قارىء القرآن واهتدائه به ، كقوله ﷺ : [الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران].

وقال ﷺ : [اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر..]. وقال تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾(١) والترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. ولذا ، فقد وجب معرفة التجويد على أساس ذلك.

فقال ﷺ : [خيركم من تعلم القرآن وعلمه] فهذه كلها نصوص شرعية تبين أن حكم تعلم التجويد واجب.

☐ وهذا ما أكده الجزري عندما قال في منظومته :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضا حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة

☐ هذا ، ولما كانت النصوص شاهدة لوجوب دراسته ولما في ذلك من ثواب وثمرة ، وكانت قراءة القرآن واجبة ، أصبح العلم بأحكام التلاوة واجبا ، فتعين معرفة علم التجويد ، والإحاطة بمسائله ، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

١) المزمل من آية ٤.

٧- علم التجويد توقيفي :

كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ ويقرءوه عليه وكان رسول الله ﷺ يسمعه منه ثم يقرءوه على سمعه مراعياً كل ما سمع من مد وغنة ووقف ووصل ورؤوس الآي.

وقد قال تعالى : ﴿**أن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه**﴾(١) .

يقول ابن كثير : «الحالة الاولى : جمعه في صدره : أي في صدر النبي ﷺ ، والحالة الثانية : تلاوته ، والثالثة : تفسيره ، فإذا قرأناه ، أي إذا تلاه عليك الملك عن الله فاتبع قراءته ، أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك»(٢).

وقد كان سيدنا جبريل يعارض الرسول ﷺ مرة كل عام ، يسمع القرآن منه ، ويسمعه من الرسول ﷺ ، وبالتالي علمه الرسول ﷺ للصحابة وحفظوه كما سمعوه ، وهكذا حتى نقل إلينا.

ولذا ، كان التلقي مشافهة شرطاً لحفظ القرآن واتصال سنده ، الذي هو ركن من أركان القرآن ، وأركان القرآن هي :

١- صحة السند :

فلا بد من أن يقرأ على شيخ متقن النطق ، حاذق ، متصل السند بالنبي ﷺ.

٢- معرفة الرسم العثماني ولو احتمالا :

فلا بد من معرفة القارىء لطرف من علم الرسم ، كالمقطوع والموصول والثابت والمحذوف من حروف المد ، وما كتب بتاء مجرورة وما كتب بتاء التأنيث.. الخ.

---

١) القيامة ١٧-١٩.

٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٩ ، ط الحلبي .

٣- أن توافق القراءة وجهاً من أوجه النحو ولو ضعيفاً :

فلا بد من المعرفة بعلم النحو ، ولو اختل ركن من هذه الأركان كانت القراءة شاذة .

- بدع يجب اجتنابها في القراءة :

وتلك البدع عديدة وكثيرة يزينها الشيطان ومنها ما ذكره المكي:

- ذكر في ذلك القراءة بالتطريب ، كترجيع الغناء وذلك يخرج القراءة عن أوضاعها كما أن في ذلك تشبيهاً لكلام رب العالمين بالغناء.

- الترقيص :

وهو أن يرقص الشخص صوته بالقرآن ويتعمد الزيادة في حرف المد فيتموج صوته ويكون كالمتكسر ، وقيل : هو أن ينوي السكت على الساكن ثم ينفر من الحركة في عدو وهرولة.

- التحزين :

وهو أن يتظاهر بغير طباعه وعاداته في التلاوة ، فيبدو بوجه آخر كأنه حزين يريد البكاء من الخشوع والخضوع ، ولا يخفى ما في هذا من الرياء(١).

- الترعيد :

وهو أن يرعد الشخص صوته فيبدو وكأنه يرعد من شدة البرد ، أو ألم أصابه.

- التحريف :

ويحدث عادة مع جمع يقرءون بصوت واحد ، فيقطعون القراءة ويأتي بعضهم ببعض الكلمة والبعض الآخر ببعض الكلمة الأخرى مراعاة

---

١) وهذا لا يعارض ما روي عن الرسول ﷺ ، [فإن لم تبكوا فتباكوا] إذ المراد الحقيقة لا الرياء في البكاء والتباكي ، وليس التمثيل والافتعال.

الاصوات ، غير آبهين بما يترتب على ذلك من إخلال بالمعنى ومنع الثواب.

- تقطيع الحروف بعضها عن بعض بما يشبه السكت ، خصوصاً في الحروف المظهرة قصداً لبيانها.
- ومنها شوب الحروف المرققة شيئاً من الامالة ظناً من القارىء أن ذلك مبالغة في الترقيق.
- ومن ذلك ما يستهوي بعض القراء عندما يجعلون التقليل إمالة ، والإمالة ياء شديدة الكسرة.
- القراءة باللين والرخاوة في الحروف بحيث تشبه قراءة الكسلان.
- تشديد الهمزة بعد حرف المد ظناً منه أنه مبالغة في تحقيقها ، مثل [أولئك] [يأيها].
- المبالغة في القلقلة حتى تصل إلى حد الحركة.

وهذه أهم البدع التي يقع فيها القراء ، وتوسعت فيها كتب التجويد إلا أن كثيراً منها يكون لمخالفة الأحكام الواجبة في القراءة من المخارج والصفات ، والإلمام بأحكام الحروف عند تلاقيها.

٨- مراتب القراءة :

نقل إلينا القراء في قراءة القرآن أربع مراتب ، ذكرها المكي في نهاية القول المفيد ، وهي التحقيق ، والحدر ، والتدوير ، والترتيل ، وهي حسب ترتيب الأفضلية والأولوية.

أ- التحقيق :

هو القراءة بتؤده قصداً للتعليم ، مع تدبر المعاني والأحكام ، وهو مصدر من : حققت الشيء تحقيقاً إذا بلغت يقينه ، ومعناه : الإتيان بالشيء على حقيقته من غير زيادة فيه ولا نقص .

فهو عبارة عن إعطاء الحروف حقها من : مدود ، وغنن ، وغير ذلك ، ويستحب أن يأخذ به المعلمون من غير إفراط من تحريك الساكن ، وتوليد الحروف ،

وإشباع الحركات .. مما تنفر منه الطباع .

ب - الترتيل :

وهو القراءة بتؤده وطمأنينة ، لا يقصد التعليم مع تدبر المعاني ومراعاة الأحكام .

وهو من رتل فلان كلامه إذا اتبع بعضه بعضاً ، وتفهم من غير عجلة ، وهو الذي أمر الله تعالى به نبيه ﷺ فقال : **﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾**(١) **﴿قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾**(٢).

جـ - الحدر :

وهو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار ، وإدغام ، ومد ، ومراعاة الوقوف ، وهو من الإسراع لأن السرعة من لوازم الانحدار.

وليتحرز في الحدر من بتر الحروف ، والمد ، وذهاب الغنة ، واختلاس الحركات.

د - التدوير :

وهو عبارة عن التوسط بين مرتبتي التحقيق والحدر ، أو هو القراءة بحالة متوسطة بين التؤده والسرعة ، مع مراعاة الأحكام.

وأفضل هذه المراتب [الترتيل] حتى قدم لدى البعض على مرتبة التحقيق فصار الترتيب : الترتيل ، التحقيق ، التدوير ، الحدر ، وهذا هو الأولى والكل تراعى فيه الأحكام .

❑ ❑ ❑

---

١) المزمل : ٤.

٢) الاسراء : ١٠٦.

(١) أحكام الاستعاذة والبسملة

١- الإستعاذة ومعناها وحكمها:

عندما أمر الله الملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾(١) عند ذلك امتنع إبليس عن السجود تكبراً وحقداً ، فعاقبه الله بالطرد من رحمته ، وحلول اللعنة عليه ، فطلب من الله النظرة إلى يوم القيامة .. ولما أجابه الله توعد بأن يقعد على كل طريق خير ، ليمنع ذرية آدم من سلوكه فمنعهم عنه ويصدهم عن السير فيه ، وبين الله لنا ذلك فقال :

﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾(٢) ، أي : طريق الحق وسبيل النجاة.

ولذا فهو يتربص بالمؤمن كل طريق الخير ، فيصده عن ذكر الله وعن الصلاة يلهيه عن الواجب نحو ربه ومجتمعه ، إفساداً له وحقداً عليه.

والقرآن الكريم هداية للبشر ، ينير الله به بصيرة قارئه ، إذا تدبر المعاني والآيات ، وهو ذكر الله تعالى.

ولذا ، فالمؤمن عرضة لأن يقعد له الشيطان في طريق القراءة ، فيثقل لسانه ، أو يضيق عليه صدره ، أو يصرفه عن التدبر والاتعاظ بوساوسه ، أو يلقي الخواطر الفاسدة في قراءته .

ومن هنا ، وجب اللجوء إلى الله تعالى عند بدء القراءة ، ليحميه من اللعين ومكائده ، فهو وحده القادر على ذلك.

---

١) الحجر : ٢٩.

٢) الأعراف : ١٦-١٧.

ولذا ينبهنا الله ويحثنا على وجوب الاستعاذة به من الشيطان الرجيم فقال ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[1] ، ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾[2].

يقول ابن كثير في آية النحل : والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر ، ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة" ا.هـ.

معنى الاستعاذة :

استعاذ : طلب العوذ أي اللجوء ، فالمستعيذ يطلب اللجوء إلى الله والاحتماء بجنابه والمنعة من الشيطان .

وأعاذه : أي ألجأه ومنعه . والمعنى : ألجأ إلى الله واحتمى بجنابه وامتنع به من الشيطان الرجيم .

صيغة الاستعاذة :

الصيغة الواردة للاستعاذة : [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] أو [أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم].

وقد اتفق القراء على وقوعها ، واستحب البعض اللفظ المذكور في النحل ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ لسهولته ويسره ، ولكنهم لم يمنعوا الزيادة عليه تنزيهاً لله.

ورأى البعض أن الاستعاذة تقع بأي لفظ لأن رسول الله ﷺ كان يقول :

---

١) النحل : ١٦.

٢) الأعراف : ٣٠.

[أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه].

أحوال الاستعاذة :

للإستعاذة حالتان :

١- الجهر : وهو إسماع الحاضرين إياها في المحافل العامة وفي مقام التعليم.

٢- السر : ويكون ذلك في حالة الانفراد في القراءة وفي الصلاة.

البسملة وأحكامها :

المقصود بها [بسم الله الرحمن الرحيم] أي إبتديء قراءتي باسم الله الرحمن الرحيم ، وقد ذكرت في القرآن مائة وأربع عشرة مرة ، منها مائة وثلاث عشرة مرة في أول كل سورة من سور القرآن غير [براءة] ومرة أثناء سورة النمل في كتاب نبي الله سليمان إلى بلقيس **﴿أنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلو علي وآتوني مسلمين﴾**[١] ، وهي آية من كل سورة للفصل بينها وبين غيرها.

أحكام الاستعاذة مع البسملة:

إن القارىء إذا أراد البدء في القراءة فسوف يستعيذ ثم يبسمل ثم يبدأ القراءة : [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بسم الله الرحمن الرحيم * الم] فتحصل عندنا ثلاثة مقاطع أو أجزاء :

١- الاستعاذة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

٢- البسملة : بسم الله الرحمن الرحيم .

٣- أول القراءة : الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه .

---

١) النمل : ٣٠-٣١.

وهنا يجوز الأوجه التالية :

- قطع الجميع : أي قطع الاستعاذة عن البسملة عن أول القراءة ، ويكون القطع بالوقف مع التنفس عند آخر كل جزء منها ، أو بمعنى آخر : قطع (١) عن (٢) عن (٣) .
- قطع الاول عن الثاني والثالث : يعني الإتيان بالإستعاذة وحدها والوقف عليها ثم وصل البسملة بأول السورة .
- وصل الأول بالثاني وقطعهما عن الثالث : أي الإتيان بالإستعاذة والبسملة معا والوقف على البسملة والإتيان بعدهما بأول السورة .
- وصل الجميع : أي تحريك كل جزء منها وعدم الوقف عليه .

وهذه الأوجه الأربعة مرتبة حسب الأفضلية في الأداء .

أحكام البسملة بين السورتين :

إذا انتهى القارىء من تلاوة سورة وأراد مواصلة القراءة في السورة التالية يحصل عندنا ثلاثة أجزاء أو مقاطع ..

فلو انتهى مثلا من قراءة سورة [يس] وأراد مواصلة قراءة سورة [الصافات] كان على النحو التالي :

- آخر السور المنتهية : فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.
- البسملة : بسم الله الرحمن الرحيم .
- أول السورة التالية : والصافات صفا .

فتحصل عندنا ثلاثة أجزاء، يجوز فيها من الأوجه :

- قطع الجميع : أي آخر السورة عن البسملة عن أول السورة.
- قطع الأول عن الثاني والثالث : أي آخر السورة عن البسملة وأول السورة.
- وصل الجميع : أي وصل آخر السورة بالبسملة ، والبسملة بأول السورة.

o وهناك وجه ممتنع وهو : وصل الاول بالثاني وقطعهما عن الثالث ، أي وصل آخر السورة بالبسملة ثم الوقف ثم البدء بأول السورة ، لأن السامع قد يتوهم أن البسملة من السورة المنتهية ، وهذا خطأ .

حكم ما بين الأنفال وبراءة :

فيما سبق حالا ، تبين أحوال البسملة بين السورتين ، ولكن هناك حالة مستثناة هي آخر الانفال ، وأول براءة ، فليست في أول براءة بسملة ، ولذا فأمامنا جزءان فقط هما :

- o آخر سورة الانفال : [إن الله بكل شيء عليم].
- o أول براءة : [براءة من الله ورسوله].

ويجوز بينهما ثلاثة أوجه :

- o القطع : أي الوقف على آخر الانفال بالسكون مع التنفس ثم الابتداء بالقراءة في [براءة].
- o السكت : وهو الوقف على آخر الأنفال [عليم] بالسكون ، وبلا تنفس مع نية القراءة في براءة .
- o الوصل : أي تنوين عليم ووصلها ببراءة مع مراعاة ما ينشأ عن ذلك من أحكام ، وهو الاقلاب الناتج من إلتقاء تنوين عليم بباء براءة.

هذا وقد ذهب البعض إلى أنهما سورة واحدة ، ويلاحظ الفرق بين السكت والقطع فالسكت وقف من غير تنفس ، والقطع سكت مع تنفس .

والسكت هنا من السكت غير المتفق عليه لحفص ، حيث أنه جاز معه غيره من الوصل والقطع.

وهناك موضع آخر للسكت غير المتفق عليه في [ماليه هلك] فإن الهاء في ماليه يجوز فيها الإظهار والسكت والادغام.

السكتات المتفق عليها عند حفص هي :

- السكت على ألف [عوجا] في سورة الكهف في قوله ﴿ولم يجعل له عوجا * قيما﴾.
- السكت على ألف [مرقدنا] في سورة يس ، في قوله ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن﴾.
- السكت على نون [من] في سورة القيامة ، في قوله : ﴿وقيل من راق﴾.
- السكت على لام [بل] في سورة المطففين في قوله تعالى : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

ومقدار السكت حركتان .

تنبيه :

لا تقع البسملة عند البدء في أول سورة براءة ، أما في أثنائها فيجوز الإتيان بها.

❑ ❑ ❑

وعلى قارئ القرآن أن يسجد في مواضع السجود في القرآن، وتسمى سجدة تلاوة وهي سُنّة لما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سجد في سورة النجم وسجد معه الصحابة، وقد روى أيضاً عن عمر رضي الله عنه أنه قرأ على المنبر سورة النحل حتى جاء بالسجدة فنزل وسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة المقابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس إنا لم نؤمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه.... وهذا دليل على الجواز... وهاك مواضع السجود في القرآن:

١- ﴿إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾(١).

٢- ﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً، وظلالهم بالغدو والآصال﴾(٢).

٣- ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾(٣).

٤- ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتو العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾(٤).

٥- ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾(٥).

٦- ﴿الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، وكثير حق عليهم العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾(٦).

٧- ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم

---

١) الأعراف آية ٢٠٦
٢) الرعد آية ١٥.
٣) النحل آية ٤٩.
٤) الإسراء آية ١٠٧.
٥) مريم آية ٥٨.
٦) الحج آية ١٨.

تفلحون﴾(١).

٨- ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾(٢).

٩- ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾(٣).

١٠- ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾(٤).

١١- ﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾(٥).

١٢- ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾(٦).

١٣- ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾(٧).

١٤- ﴿فإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾(٨).

١٥- ﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾(٩).

والسجدة فى هذه المواضع السالفة سُنَّة للقارئ والمستمع، وقد نُقِل عن الحنفية أنها واجبة على كل منهما وإذا لم يسجد أحدهما كان آثماً، وقد اشترط الفقهاء لها شروطاً فقال الأحناف: يشترط لها ما يشترط للصلاة إلا التحريمة ونية تعين الوقت، ومن ذلك الإسلام والبلوغ والعقل والطهارة من الحيض والنفاس بالنسبة للقارئ والسامع، واشترط الحنابلة والمالكية لها ما يشترط لصحة الصلاة من طهارة الحدث واجتناب النجاسة واستقبال القبلة والنية وستر العورة.

---

١) الحج آية ٧٧.
٢) الفرقان آية ٦٠.
٣) النمل آية ٢٥.
٤) السجدة آية ١٥.
٥) ص ٢٤.
٦) فصلت آية ٣٧.
٧) النجم آية ٦٢.
٨) الإنشقاق آية ٢١.
٩) العلق آية ١٩.

وزاد الشافعية: أن تكون القراءة مشروعة، فلو كانت محرمة كقراءة الجنب أو مكروهة كقراءة المصلى حال الركوع فلا سجود، وأن تكون مقصوده. فلو صدرت من ساه أو من تسجيل فلا سجود، وأن يكون المقروء كل آية السجدة، وان لا تكون آية السجدة بدلاً من قراءة الفاتحة وألا يطول الفصل بين آية السجدة وبين السجود، وأن تكون قراءة الآية من شخص واحد فإن تقاسم شخصان الآية فلا سجود.

وهي سجدة واحدة بين تكبيرتين الأولى وضع جبهته على الأرض والثانية رفع الجبهة من على الأرض ولا تقرأ التشهد ولا يسلم، والتكبيرتان سُنَّة فلو سجد بدونها صحت صلاته والمسألة مبسوطة في مواضعها فى كتب الفقه(١).

ماذا يقول فيها ؟

نُقِل عن النبى ﷺ أنه كان يقول فى سجوده: «سجد وجهى للذي خلقه وشق سمعه وبصره، بحوله وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين» هذا مع التسبيح «سبحان ربى الأعلى».

وله أن يقول: «سبحان ربى الأعلى» ثلاث أو يقول ما شاء مما ورد مثل: «اللهم اكتب لى عندك أجراً وضع عنى به وزراً، واجعلها لى عندك ذخراً، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود» وله أن يقول نحو ذلك(٢).

وقيل فى آية سورة (ص) إنها ليست من مواضع سجود التلاوة.. إلا أن المالكية والأحناف رأوا أنها من مواضع السجود وهو عند قوله تعالى: ﴿وأناب﴾ واستثنى الأحناف موضع آخر الحج والسجدات عندهم أربعة عشرة سجدة فقط... ولكن ما رُوِى عن عمرو بن العاص أنه قال: أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة فى القرآن منها ثلاث فى المفصل وفى الحج سجدتان...(٣) ، وهو ما عليه الرأى، والله أعلم.

---

١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ص ٤٢ ، وبداية المجتهد لابن رشد ج ١ ص ٢٧٣ وما بعدها، وفقه السُّنَّة للشيخ سيد سابق ج ١ ص ١٨٩.
٢) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٤٢٢.
٣) رواه أبو داود.

الفصل الثاني

[الموضوعات المشتركة بين التحفة والجزرية]

١- أحكام النون الساكنة والتنوين.

٢- أحكام النون والميم المشددتين.

٣- أحكام الميم الساكنة.

٤- المد والقصر.

٥- أحكام المثلين والمتقاربين والمتجانسين.

أحكام النون الساكنة والتنوين(١)

النون الساكنة : هي الخالية من الحركة ، وهي حرف من حروف الهجاء يخرج من طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ، ولك أن تتعرف على ذلك بتجربة نطق النون الساكنة في مثل [من ، أو أن] نجد أن طرف اللسان قد التصق في اللثة في الأسنان العليا [القواطع].

والتنوين عبارة عن نون ساكنة ، تلحق آخر الأسماء لفظاً ووصلا ، لا خطأ ووقفاً ، وهو من خواص الأسماء.

يقول ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وال مسند للاسم تمييز حصل(٢).

والتنوين من حيث اللفظ نون ساكنة ، وبتأمل المثالين الآيتين من حيث النطق يتضح ذلك.

قال تعالى : **﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾** لنأخذ أولا كلمتي : [سواء ، من] فالأولى منونة أي آخرها تنوين ، والثانية ساكنة ولم يختلفا من حيث النطق بل ولو كتبناهما بخط العروضيين لوضع ذلك جلياً ، فالأولى تكتب [سواءن] والثانية [من] كما هي ، وظهر أن كلتيهما نون ساكنة نطقاً.

إلا أن هناك فروقا بين كل منهما كتنوين ونون ساكنة تتضح فيما يلي:

- النون الساكنة حرف أصلي من حروف الهجاء ، أما التنوين فهو زائد يأتي بعد تمام الكلمة.
- النون الساكنة تظهر في النطق والكتابة ، أما التنوين فلا يظهر إلا

---

١) انظر الأبيات من ١-١١ في التحفة ، والأبيات من ٥٧-٦٠ في الجزرية.

٢) انظر ألفية ابن مالك في النحو والصرف.

في النطق فقط .

- تظهر النون في الوصل والوقف ، أما التنوين فلا يظهر إلا في الوصـــــل فقط.
- تقع النون الساكنة في الأسماء ، مثل [منهمر] والأفعال مثل [تنحتون] والحروف مثل [أن] ، أما التنوين فلا يقع إلا في آخر الأسماء فقط.
- تأتي النون الساكنة في وسط الكلمة مثل [منكم] وفي آخرها مثل [من] أما التنوين فلا يأتي إلا في آخرها فقط.

ويجب الإشارة إلى أن النون الساكنة أو التنوين حكمها واحد يقال عن أحدهما ما يقال عن الآخر في الأحكام التالية ، والتي تطرأ تبعاً لما يأتي بعدهما من حروف الهجاء ، وكلها تأتي ما عدا الألف والنون والياء المدية ، فكل منها لا بد أن تسبق بحركة مماثلة ، فالألف تسبق بالفتحة والواو بالضمة والياء بالكسرة ، وحروف الهجاء هي :

[همزة ، ألف ، باء ، تاء ، ثاء ، جيم ، حاء ، خاء ، دال ، ذال ، راء ، زاي ، سين ، شين ، صاد ، ضاد ، طاء ، ظاء ، عين ، غين ، فاء ، قاف ، كاف ، لام ، ميم ، نون ، هاء ، واو ، ياء].

وعددها تسعة وعشرون حرفاً والألف لا تقع إلا للمد فقط .

وأحكامها هي أحوالها الناشئة من إلتقائها مع هذه الحروف وهذه الأحكام هي:

الإظهار الحلقي :

معناه في اللغة : البيان ، ظهر الشيء أي بان واتضح.

وفي الاصطلاح : إخراج الحرف المظهر من مخرجه من غير عنه في ذلك الحرف المظهر ، ويقع عند التقاء كل من النون و التنوين قبل حرف من حروف الحلق الستة ، وهي [الهمزة ، و الهاء ، و العين ، و الحاء ، و الغين ، و الخاء] ، وهي تخرج من الحلق.

وله مراتب ثلاثة :

- أقصى الحلق : ويخرج منه الهمزة و الهاء .
- ووسط الحلق : وتخرج منه العين و الحاء المهملتان .
- و أدنى الحلق : ويخرج منه الغين و الخاء المعجمتان.

ولك أن تجرب ذلك بأن تنطق كل حرف من هذه الحروف ساكناً وتتأمل من أين يخرج..؟.

ويجب إظهار النون عند الالتقاء بأي حرف من هذه الحروف ويسمى إظهاراً حلقياً لوجوبه عند حروف الحلق.

والأمثلة التالية للنون و التنوين نكتفي بإيضاح أحدها على أن يحتذى مع بقية الأمثلة كتدريب.. ومنها إلى ما يماثلها في القرآن:

*** مع النـــــون**

[ينأون]

[من آمن]

[ينهون] [من هار]

[أنعمت] [من عمل]

[و انحر] [فإن حاجوك]

[فسينغضون] [من غل]

[والمنخنقة] [من خلاق]

*** مع التنويـــن**

[كل آمن]

[جنات ألفافاً]

[جرف هار]

[سميع عليم]

[عليم حليم]

[ورب غفور]

[عليم خبير]

مع ملاحظة أنه لا توجد كلمة ثانية لمثال إلا ظهار للنون الساكنة من كلمة واحدة مع الهمزة [ينأون] ومع الغين [فسينغضون] ، والخاء [والمنخنقة] ، فكلها لا ثاني لكل منهما في القرآن.

إيضاح المثال الأول :

وجب إظهار النون الساكنة في [ينأون] لالتقائها مع الهمزة كما وجب إظهار التنوين في [كل] لوجود همزة في [كل آمن] والهمزة كما سبق من حروف الإظهار الحلقي.

وعلى هذا قس بقية الأمثلة التي أمامك للنون الساكنة من كلمة ومن كلمتين ، والتنوين على سائر حروف الحلق.

وسبب إظهار النون الساكنة مع هذه الحروف هو التباعد بينها في المخرج والصفة ، وحقيقة الاظهار أن ينطق بالنون والتنوين على حدهما ثم ينطق بحروف الاظهار من غير فصل بينها وبين حقيقتها فلا يسكت على النون ولا يعطفها عن حروف الإظهار ، وصحته أن تنطق بالنون ثم ينطق بالحرف ولا تقلقل النون بحركة من الحركات.

الإدغـــــام :

ومعناه في اللغة : الإدخال ، تقول : أدغمت اللجام في فم الفرس ، بمعنى أدخلته فيه.

واصطلاحاً : إدخال حرف في حرف بحيث يصيران حرفاً واحداً يرتفع عنهما اللسان ارتفاعة واحدة.

فعندما تقول : [مد] فإن الدال المشددة هنا تساوي [دالين] مدد ، أدخل أولهما في ثانيهما فصارتا دالا واحدة.

ولأن الادغام لا يصح إلا بين متماثلين ، فلا بد من تحويل الحرف المراد إدغامه إلى جنس الحرف الذي سيتم الادغام فيه .

وإيضاح ذلك :

خذ مثلا حرف اللام : نعرف أن اللام الشمسية لا تظهر في النطق ، ولكن تظهر في الكتابة ، أي أنه حدث إدغام لها فيما بعدها ، فعندما تقول [الناس] وأن كلمة [ناس] دخلت [ال الشمسية] إلا أنك عندما تقول هذه الكلمة لا تظهر اللام في النطق رغم أنها تكتب ، فتنطق [أناس] واللام أدغمت في النون ، وحتى يتم ذلك تغيرت اللام إلى نون ليتحقق الادغام.

وهكذا في كلمة [الشمس] تحولت اللام شيناً ، و [التائب] تحولت اللام تاء.

وأسباب الادغام : التماثل ، بأن يتحد الحرفان في المخرج والصفة ، كالباءين والميمين.

والتجانس : وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة : التاء مع الطاء والدال.

والتقارب : وهو أن يتقارب الحرفان مخرجاً أو صفة مثل الدال والسين .

ولأن حديثنا عن الادغام في النون الساكنة والتنوين ، يجب الإشارة إلى أن النون أو التنوين تقلبان حرفاً من جنس ما بعدهما الذي سيدغمان فيه.

حروف الادغام :

والحروف التي تدغم فيها النون والتنوين ستة حروف ، جمعها صاحب التحفة في كلمة [يرملون] فهي : الياء ، والراء ، والميم ، واللام ، والواو ، والنون ، وسبب إدغام النون والتنوين في هذه الحروف هو التماثل مع النون ، والتقارب مع بقية الحروف.

الادغام الكامل والادغام الناقص :

معنى نقص الادغام ، بقاء أثر النون الساكنة والتنوين ، ومعنى كمال الادغام عدم بقاء أثرهما عند الادغام.

ويكون الادغام ناقصاً مع [الياء والواو] وكاملا مع بقية الحروف.

تقسيم الادغام :

ينقسم إدغام النون الساكنة والتنوين إلى قسمين :

- القسم الأول : أدغام بغنة :

وهو مع الياء والنون والميم والواو ، وإذا التقى التنوين أو النون الساكنة مع أي من هذه الحروف تدغم أدغاماً بغنة.

- القسم الثاني : إدغام بغير غنة :

وهذا يكون إذا التقت النون والتنوين مع الراء واللام.

شرط إدغام النون :

يشترط لإدغام النون الساكنة (فقط) أن تكون النون في كلمة وحروف الادغام في كمة أخرى ، أي : أن يكونا من كلمتين ، مثل [من يقول] ، فالنون هنا مدغمة في الياء لأن هذا الشرط قد تحقق ، والنون في كلمة [من] والياء في كلمة هي [يقول].

أما إذا كانتا في كلمة واحدة فلا إدغام ، مثل : دنيا ، بنيان ، قنوان ،

صنوان ، فالتقت النون الساكنة مع الياء والواو ومع ذلك وجب إظهار النون لعدم توفر الشرط المذكور ، ويسمى هذا الاظهار إظهاراً مطلقاً.
وهاك بعض الأمثلة لكل حروف الادغام ، مع شرح المثال الأول منها.

الإدغام بغنة مثل :

○ النـــــون	○ التنويـــــن
[من نعمة]	[يومئذ ناعمة]
[من وال الله]	[قول معروف]
[من تول]	[برق يجعلون]
[من وال]	[معروف ومغفرة]

أما الادغام بغير غنة فمثل :

[ولكن لا يعلمون]	[هدى للمتقين]
[هدى من ربهم]	[ثمرة رزقاً]

فالنون في [من نعمة] التقت نون [من] وهي ساكنة مع نون نعمة وأدغمت إدغاماً بغنة ، والتنوين في [يومئذ] التقى مع نون [ناعمة] فأدغم التنوين إدغاماً بغنة.
أما في النون في [من ربهم] فهي ساكنة والتقت مع الراء فأدغمت فيها إدغاماً بغير غنة ، والتنوين في [هدى للمتقين] التقى مع اللام وأدغم أيضاً إدغاماً بغير غنة ، وهكذا في بقية الأمثلة .

تنبيـــه :

الشرط السابق وهو أن تكون النون الساكنة في كلمة وحرف الادغام في كلمة - غير وارد في التنوين ، لأن التنوين وحرف الادغام لا يكون إلا في كلمتين.

الإقــــلاب :

معناه : تحويل الشيء عن وجهه ، يقال : قلب الشيء إذا حوله عن وجهه.

وفي الاصطلاح : جعل حرف مكان آخر.

والمراد هنا : قلب النون أو التنوين [ميماً] مخفاة قبل الباء ، فيحدث الاقلاب للنون أو التنوين عند ملاقاتهما حرفاً واحداً هو [الباء] ، تقلبان ميماً ساكنة . فيترتب على ذلك حكم جديد نتج من إلتقاء الميم الساكنة المنقلبة عن النون ، مع بقاء الغنة ، وهو الإخفاء الشفهي.

ونظراً لهذا الإخفاء ذهب البعض كالجعبري إلى اعتبار الاقلاب من أحكام الميم الساكنة ، وعد أحكام النون الساكنة ثلاثة أحكام فقط ، حيث أسقط الإقلاب وأدخله في الإخفاء ، ولكن الأكثرين علىٰ غير ذلك ، والخلاف لفظي.

والإقلاب يكون في النون أو التنوين إذا التقيا بباء فهو عند حرف واحد فقط.

ومثال ذلك :

٥ النـــون	٥ التنويـــن
[أنبئهم بأسمائهم] [أن بورك]	[عليم بذات الصدور]

فقلبت النون و التنوين ميماً لالتقاء كل منهما بالياء.

الإخفـــــاء :

معناه في اللغة : الستر ، يقال : اختفى القمر في السحابة أي استتر فيها ، واختفى عن الناس : استتر عنهم.

وفي الإصطلاح : النطق بحرف ساكن - غير مشدد - على صفة وحالة بين الادغام والاظهار ، مع بقاء الغنة في الحرف الأول .

والحجة في إخفاء النون الساكنة والتنوين أن التنوين والنون لم يقربا من هذه الأحرف كقربهما من حروف الإدغام ، ولم يبعدا عنها كبعدها عن حروف الإظهار ، فأعطيا حكماً متوسطاً بين الادغام والإظهار ، وهو الإخفاء.

وحروف الإخفاء خمسة عشر حرفاً ، جمعها صاحب التحفة في أوائل كلم هذا البيت:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما   دم طيباً زد في تقى ضع ظالماً

فهي الصاد ، والذال ، والثاء ، والكاف ، والجيم ، والشين ، والقاف ، والسين ، والدال ، والطاء ، والزاي ، والفاء ، والتاء ، والضاد ، والظاء ، فإذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع أي حرف من هذه الحروف وجب إخفاؤها.

مراتب حروف الإخفاء:

وهذه الحروف على ثلاث مراتب ، بالنسبة للقرب من النون أو البعد عنها:

- أقربها مخرجاً إلى النون ثلاثة هي : الطاء ، والدال ، والتاء.
- أبعدها عن النون ، وهي : القاف ، والكاف.
- بقية الحروف متوسطة في المخرج بالنسبة للنون ، فهي إذن قريبة ومتوسطة وبعيدة ، وهذه بعض الأمثلة:

o النـــون	o التنويـــن
[ينصركم] [أن صدوكم]	[ريحاً صرصراً]
[منذر] [أئن ذكرتم]	[سراعاً ذلك]
[منثوراً] [من ثمره]	[جميعاً ثم]
[أنكالا] [إن كان]	[شديداً كان]
[أنجيناه] [من جاهد]	[فصبر جميل]

[ينشيء] [من شكر]	[بأس شديد]
[ينقضون] [فإن قاتلوكم]	[حسناً قال]
[منشأته] [من سيئاتكم]	[عظيم سماعون]
[أنداداً] [من دون الله]	[قنوان دانية]
[فانطلقوا] [فإن طبن]	[مباركة طيبة]
[منزلا] [فإن زللتم]	[يومئذ زرقاً]
[فانفروا] [فإن فاءوا]	[جنات تجري]
[منضود] [من ضل]	[قوماً ضالين]
[ينظرون] [من ظلم]	[قوم ظلموا]

إيضاح :

النون في [ينصركم] ، [أن صدوكم] ، أتى بعدها [صاد] وهي من حروف الإخفاء ، اختفت النون ، وكذا اختفى التنوين في [ريحاً] ، وفي صاد [صرصراً] وهكذا في بقية الأمثلة.

الفرق بين الإخفاء والإدغام :

الإدغام قلب الحرف إلى جنس ما بعده وإدخاله فيه ويصيران معاً حرفاً واحداً مشدداً.

أما الإخفاء : فهو ستر للحرف المخفي لكنه باق.

والنون أو التنوين يتحولان إلى حرف مماثل لما بعدها ، فكأن كل منهما يتحول إلى واوا أو ياء أو ميم ، أو وراء ، أو لام ، أما النون أو التنوين فلا أثر لهما. ولذا يكون الحرف التالي لهما [حرف الادغام]

مشدداً ، أما الاخفاء فمتحرك فقط دون تشديد(١).

وقد سبق أن الحروف ثمانية وعشرون حرفاً ، وهي موزعة كالآتي بالنسبة لأحكام النون والتنوين :

١- الاظهار : له ستة حروف .

٢- الادغام : له ستة حروف .

٣- الاقلاب : له حرف واحد .

٤- الأخفاء : له خمسة عشر حرفاً.

فيكون المجموع ثمانية وعشرين حرفاً هي كل الحروف الابجدية.

❑ ❑ ❑

---

١) والاخفاء في النون بمثابة ثوب سترت به مصباحاً مضيئاً ، فأنت ترى من خلف الثوب آثاراً من ضوء المصباح وإن كنت لا ترى المصباح ، وأنت كذلك تسمع آثار النون أو التنوين كالغنة مثلا.

أحكام النون والميم المشددتين[1]

قال تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس﴾ ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ ﴿فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر﴾.

تأمل في مجموعة الأمثلة التي أمامك في [الناس] و [أن] و [فأما] تجدها تشتمل على نون مشددة وميم مشددة وهذه النون وتلك الميم المشددة يجب أن تغن ، وتسمى حرف غنة ، أو حرف غنة مشدداً.

والغنة : صوت لذيذ مركب في جسم النون والميم ، أو هي صوت أرن في الخيشوم ، ومخرجها الخيشوم ، وهو أعلى الأنف وأقصاه من الداخل ، ومقدارها حركتان فقط .

فالغنة لازمة للنون والميم المشددتين ، لكن مع التفاوت ، ولذلك قال الإمام الأنصاري : وهي أي الغنة : في الساكن أكمل منها في المتحرك ، وفي المخفي أكمل منها في المظهر ، وفي المدغم أكمل منها في المخفي.

❑ ❑ ❑

---

1) انظر البيت رقم ١٢ من التحفة ، والبيت رقم ٥٤ من الجزرية

أحكام الميم الساكنة[1]

الميم الساكنة هي الخالية من الحركة ، بمعنى أنها ليست محركة بالفتح ولا بالكسر ولا بالضم ، وهي من حروف الهجاء ، تخرج من الشفتين بانطباق ولك أن تجرب ذلك بنطق ميم ساكنة مثل [أم] [يمكرون] ، وغير ذلك لتتبين المخرج.

وتتنوع أحكامها تبعاً لحرف الهجاء الواقع بعدها ، وتقع كل الحروف بعدها ، إلا حروف المد الثلاثة : الواو المضموم ما قبلها ، والياء المكسور ما قبلها ، والألف ، إذ أن هذه الحروف ساكنة ، والميم ساكنة كذلك ولا يلتقي ساكنان.

وأحكام الميم تبعاً لذلك ثلاثة :

١- الادغام :

ويكون إذا التقت الميم الساكنة مع ميم أخرى ، ويسمى إدغام مثلين صغيراً مثل:

﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ ، والميم في [لكم] ساكنة التقت مع ميم [ما كسبتم] وأدغمت الأولى في الثانية ، فصارتا ميماً مشددة.

٢- الإخفاء :

وقد سبق معنى الإخفاء يكون فيها إذا التقت مع الباء ، ويسمى إخفاء شفوياً ، وذلك مثل : ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم﴾ فالميم في ربهم ساكنة أتى بعدها الباء في [بذنبهم] وهي كذلك في [وهم بالآخرة] . فالميم في [هم]

---

١) انظر البيت من ١٣-١٨ من التحفة ، والأبيات ٥٥-٥٦ من الجزرية.

التقت مع الباء في [بالآخرة] فاختفت فيها.

٣- الإظهار :

مع بقية الحروف غير الميم والباء ، فعدد حروف الإظهار عندئذ ستة وعشرون حرفاً هي :

الألف ، التاء ، الثاء ، الجيم ، الحاء ، الخاء ، الدال ، الذال ، الراء ، الزين ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، العين ، الغين ، الفاء ، القاف ، الكاف ، اللام ، النون ، الهاء ، الواو ، والياء ، والأمثلة كما يلي :

[عليكم أنفسكم] [أم تأمرهم] [مرجعكم ثم] [وما جعلناهم جسداً] [أم حسبت] [أم خلقوا] [عليهم دائرة السوء] [واتبعتهم ذريتهم] [ربكم رب السموات] [أم زاغت] [غرقكم سبع] [لهم شراب] [وهم صاغرون] [آباءهم ضالين] [منهم طائف] [وهم ظالمون] [هم عن اللغو] [أنهم غير] [هم فرحون] [بل هم قوم] [إليكم كتاباً] [أم لهم] [مستهم نفحة] [برهانكم هذا] [حسابهم وهم] [أم يريدون].

ويجب أن يحذر القارىء في قراءته إذا أتى بعد الميم الساكنة واو أو فاء فلا بد من الاعتناء بالاظهار حتى لا تختفي الميم فيهما لقرب مخرجها من مخرجهما ، حيث يخرج الجميع من الشفتين ، وهذا يسمى إظهاراً شفوياً.

❑ ❑ ❑

حكم لام (ال) ولام الفعل[1]

المقصود بلام (ال) هي اللام الساكنة التي سبقت بهمزة وصل مفتوحة وبعدها اسم من الأسماء ، وهي اللام المعرفة ، ويقع بعدها كل حروف الهجاء إلا حروف المد الثلاثة ، حيث أن هذه الحروف ساكنة وهي أيضاً ساكنة ولا يلتقي ساكنان.

ولأن (ال) تدخل على الأسماء ، فإن لها تبعاً لذلك حالتين :

○ الإدغام :

أي إدغامها في الحرف الآتي بعدها بعد تحويلها إلى مثله ليمكن الإدغام.

وحروف إدغامها أربعة عشر حرفاً ، جمعها الجمزوري في أوائل كلمات هذا البيت:

طب ثم صل رحماً تفز ضف ذا نعم　　دع سوء ظن زر شريفاً للكرم

فالحروف هي : الطاء ، والثاء ، والصاد ، والراء ، والتاء ، والضاد ، والذال ، والنون ، والدال ، والسين ، والظاء ، والزاي ، والشين ، واللام.

فإذا كان الاسم بادئاً بأي حرف من الحروف السابقة ودخلت عليه (ال) وجب إدغام اللام وتسمى شمسية.

○ الإظهار :

ويكون ذلك مع أربعة عشر حرفاً غير حروف الإدغام وجمعها الجمزوري أيضا في [ابغ حجك وخف عقيمه] ، فهي : الهمزة ، والباء ، والغين ،

---

١) انظر الابيات ١٩-٢٤ من التحفة.

والحاء ، والجيم ، والكاف ، والواو ، والخاء ، والفاء ، والعين ، والقاف ، والياء ، والميم ، والهاء.

فإذا كان الاسم بادئاً بأحد هذه الحروف ودخلت عليه (ال) أظهرت اللام ، ويسمى إظهاراً قمرياً ، وتسمى اللام قمرية .
وهذه الأمثلة للام في حالتين.

اللام في حالة الإظهار مثل :
الأنعام ، البارىء ، الغاشية ، الحج ، الجبار ، الكتاب ، الودود ، الخالق ، الفوز ، العلم ، القوي ، الياقوت ، المولى ، الهدى.

واللام في حالة الإدغام مثل :
الطارق ، الثقلان ، الصادقون ، الرحمن ، التائبون ، الضالين ، الذاكرين ، الناس ، الدواب ، السماء ، الظانين ، الزبور ، الشمس ، اللوح.

حكم لام الفعل :

والمقصود بها اللام الواقعة في الفعل ماضياً أو مضارعاً أو أمراً ، فالماضي مثل : التقى ، وأنزلنا ، والمضارع مثل : يلتقطه ، أقل ، والأمر مثل : الق ، وتوكل ، وحكمها الإظهار دائماً إلا عند وقوع لام أو راء بعدها ، فتدغم : [أقل لكم] ، [قل ربي] ، وذلك للتماثل في الأولى ، والتقارب في الثانية.

تنبيه :

نلحظ أن الإمام الجمزوري تكلم عن اللام الإسمية والفعلية وسكت عن الحرفية وهي تعني اللام الواقعة في الحروف ، وهذه حكمها الإظهار

مثل : [بل طبع] وذلك عملا بالأصل وهو الإظهار في جميع الحروف ، وإذا وقع بعدها لام أو راء أدغمت مثل : [هل لك] فلام [هل] مدغمة في لام [لك] ، [بل رفعه] فلام [بل] مدغمة في راء [رفعه] . .

وعند حفص لا إدغام في اللام في [بل ران] لأن له سكتة على اللام والسكت يمنع الادغام كما سبق بيانه.

❑ ❑ ❑ ❑

المد والقصر :

المد هو الزيادة ، كما سيأتي - ويقابله القصر ، وهو الحبس والمنع ومنه قول الله تعالى : ﴿حور مقصورات في الخيام﴾.

وفي اصطلاح علماء التجويد : إثبات حرف المد من غير زيادة عليه.

أو هو : إطالة الصوت بحرف المد قدر حركتين فقط عند عدم ملاقاة همز أو سكون ، ولا تعارض بين التعريفين ، لأن الطبيعة السوية لا تقل في حرف المد عن حركتين ما لم يكن بعده همز أو سكون ، فالأصل هو القصر حيث لا تقوم ذات حرف المد بدونه ، ولنتأمل المثال التوضيحي التالي:

- يبيع التاجر البضاعة : لم يبع التاجر البضاعة .
- يقول العالم الحق : ولم يقل غير الحق.
- ينام الناس ليلا : لم ينم العامل إلا نهاراً.

فلنتأمل : يبيع ، ويبع ، في المثال الاول ، فالياء في الجملة الأولى حرف مد قبلها ياء مكسورة ، أما في كلمة [يبع] وهي مضارع حذفت منه الياء وبقيت كسرة الياء ، كيف نفرق عندئذ في النطق بين الياء وبين مجرد الكسرة؟.

إن الياء لا يقوم لها قوام إلا بإطالة الصوت بالكسرة قدر حركتين ليتبين السامع وجود [ياء] في الكلمة ، لا مجرد كسرة(1).

ومثل ذلك قل في الواو ، والضمة ، في [يقول] ، و[قل] في المثال الثاني ، والألف والفتحة في [ينام] و [ينم] في المثال الثالث.

ويسمى ذلك قصراً لعدم تجاوز الحد الطبيعي لنطق حرف المد [الواو ،

---

1) تلاحظ أن الواو امتداد للضمة ، والياء امتداد للكسرة ، والألف امتداد للفتحة ، ولذا يقال : إنها حروف مد أو مد الصوت بالحركة عند النطق بها ، فحروف المد بنات الحركات ، فالواو بنت الضمة ، والياء بنت الكسرة ، والألف بنت الفتحة.

الياء ، الألف].

كما يسمى مداً طبيعياً ، لأن الطبيعة السليمة في اللغة لا بد من أن تأتي به بلا أي تكلف في النطق ، ولأن ذلك لا يتعدى الطبيعة السوية فهو الأصل للنطق السليم ، فيسمى [المد الأصلي].

وهو ما ليس له سبب يستدعي الزيادة على الطبيعية ، بينما نجد أن المد مط للصوت زيادة على الطبيعة لوجود السبب من الهمز أو السكون ، على نحو ما سيأتي تفصيله إن شاء الله في الموضوعات التالية.

❑ ❑ ❑

أقسام المد وأحكامه[1]

معنى المد :

معناه في اللغة المط والزيادة، والشخص إذا مد يده أطالها.

واصطلاحاً : أطالة الصوت بحروف المد.

والدليل عليه : ما رواه الطبراني في المعجم الكبير أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرئ رجلا فقال الرجل : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ مرسلة أي قصيرة، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبدالرحمن ؟ فقال : أقرأنيها : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ فمدها.

حروف المد :

حروف المد هي الواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها، والألف ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، وإذا انفتح ما قبل الواو أو الياء مثل : [قول] و [موت] و [بيع] و [بيت] كانتا حرفي لين لا مد.

تقسيم المد إلى أصلي وفرعي :

ينقسم المد إلى :

- أصلي :

وهو ما ليس له سبب من همز أو سكون أو هو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به وعلامة هذا المد أنه لا يوجد بعده همز أو سكون، ويسمى أيضاً مداً طبيعياً لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه.

---

1) انظر الأبيات من ٣٠-٣٦ من التحفة، والأبيات ٦١-٦٤ من الجزرية.

حد المد الطبيعي :

بمقدار ألف وصلا ووقفاً ، ومقدار الألف أن تمد صوتك بقدر حركتين إحداهما حركة الحرف الذي قبل حرف المد والآخرى هي حرف المد.

o **فرعي :**

وهو الزائد على الأصلي ، أو ماله سببه من همز أو سكون.

وأسبابه :

o سبب لفظي : وجود الهمز أو السكون في الكلمة .

o سبب معنوي : قصد المبالغة في النفي وهو أيضاً له قسمان :

* الأول : مد تعظيم مثل لا النافية في كلمة التوحيد لا إله إلا الله ويسمى مد المبالغة .

* الثاني : مد التبرئة ، مثل : لا ريب ، لا شية فيها ، وهذا مروي عن حمزة.

أقسام المد الفرعي :

وهذا المد ينقسم إلى قسمين :

- ما سببه الهمز .
- ما سببه السكون .

فما سببه الهمز ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

o مد متصل :

وهو الذي يكون فيه حرف المد والهمز في كلمة واحدة ، وسمي متصلا لاتصاله بسببه ، وذلك مثل : [جاءت] [سيئت] [سوء] ، فالهمز مسبوق بحروف المد ، فالأول مسبوق بالألف ، والثاني بالياء ، والثالث بالواو ، وحكم هذا المد الوجوب.

○ مد منفصل :

وهو ما كان حرف المد في كلمة ، والهمزة في كلمة ، وذلك مثل : [يا أيها] [قالوا آمنا] [وفي أنفسكم].

○ مد البدل :

وهو الذي تقدم فيه الهمز على حرف المد ، مثل كلمة ءادم ، مثلا فهي أأدم بهمزتين الأولى منهما متحركة بالفتحة ، والثانية ساكنة ، والقاعدة الصرفية هنا إبدال ثاني الهمزتين الساكن إلى مدة مجانسة لحركة الهمزة الأولى ، فإن كان ما قبلها فتحة أبدلت ألفاً ، وإن كانت مكسورة ، قلبت ياء ، وإن كانت مضمومة ، قلبت واوا ، ولذا صارت أأدم - آدم - وأؤمن - أومن - وأئمانا - إيماناً - وهكذا ..

ولذا فمد البدل مثل : [آمنوا - إيماناً] وهو من المد الجائز.

ما سببه السكون :

فهو المد الناشىء من وقوع السكون بعد حرف المد في الكلمة وهو إما:

* سكون عارض .
* سكون أصلي.

○ فالسكون العارض :

هو الذي يأتي في الكلمة وقفاً ويزول وصلا ، مثل قول الله ﴿الحمد لله رب العالمين] فالنون في العالمين محركة بالفتح ويظهر ذلك عند الوصل [العالمين الرحمن الرحيم] وهكذا في رؤوس الآي في السورة، ولكنك إذا وقفت عليها سكنت النون وكان السكون بسبب الوقف عليها ، ولذا يسمى ذلك السكون عارضاً أي غير أصلي في الكلمة ، ولهذا السكون ينشأ مد عارض للسكون ، وهو من المد الجائز.

o والسكون الأصلي :

هو الثابت الذي لا يفارق الكلمة وقفاً ووصلا ، فالسكون موجود ومحقق إن وصلت أو وقفت ، والمد الناشىء هنا يسمى : المد اللازم وسمي لازماً للزوم سببه وهو السكون التي لا يفارق الكلمة.

تعريف المد اللازم وأقسامه(١):

o تعريف المد اللازم :

هو الذي يقع فيه السكون الأصلي بعد حرف المد أو اللين في كلمة أو حرف ولا يقع بعد لين إلا في [عين] بمريم ، والشورى [كهيعص] [حم عسق].

o أقسام المد اللازم :

ينقسم المد اللازم الى :

١- حرفي : وهو إما مخفف أو مثقل .

فأما الحرفي المخفف فهو : أن يوجد حرف في فواتح السور هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد والثالث ساكن ، وهذه يجمعها قولك [كم عسل نقص] مثل ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ، فالمد في لفظ [نون] حرفي مخفف لوجود السكون على النون في لفظ [نون] ولفظ ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ فالحرف [صاد] يمد مداً حرفياً لازماً لأن آخره سكون على الدال في لفظ [صاد] ولهذه الحروف شروط لا بد من توافرها حتى تمد مداً لازماً وهي :

أ * أن يكون الحرف أحادي الكتابة ، ثلاثي النطق ، مثل : [ق] فهو واحد في الكتابة ، بينما تنطق [قاف] فحروف نطقها ثلاثة حروف هي : [القاف ، وألف المد ، والفاء].

---

١) انظر الأبيات من ٤٢-٥٢ من التحفة ، و ٦٢ من الجزرية.

ب * أن يكون وسطه حرف مد أو لين ، فالنون وسطها حرف مد هو الواو ، وعين وسطها حرف لين هو الياء المفتوح ما قبلها.

ج * أن تكون في فواتح السور أي أوائلها ، وهذه الشروط تنطبق على حروف [كم عسل نقص] فهي : كاف ، وميم ، وعين ، وسين و ولام ، ونون ، وقاف ، وصاد.

وأما الحرفي المثقل :

فهو أن يقع بعد السكون حرف المد ، في حرف تقتضي أحكام التلاوة ادغامه فيما بعده.

خذ مثلا : [طسم] في أول الشعراء أو القصص ، فنطقها [طا] تمد حركتين لأنها مد طبيعي ، [سين] مد لازم حرفي ست حركات والنون من [سين] ساكنة التقت النون الساكنة مع الميم أدغمت فيها وصارتا حرفاً مشدداً ، فيكون المد في [سين] حرفي بعده مشدد وهو الناتج من إدغام النون في الميم فيسمى لازماً حرفياً مثقلا لوجود التشديد بعد حرف المد .

٢- لازم كلمي :

وهو إما مخفف وإما مثقل أيضاً :

فأما المخفف فهو : أن يقع بعد حرف المد حرف ساكن بشرط أن يكون غير مشدد مثل قوله تعالى في سورة يونس [الآن] في موضعيها : ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ ، ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾.

وتقرير ذلك أن لفظ [الآن] بدايته همزة وصل دخلت عليها همزة استفهام فالتقت همزتان قلبت الثانية مدة مناسبة لحركة الأولى وهي الفتحة فقلبت ألفا فصارت [أ ألان] ، فنتج لذلك وتبعاً لوجود اللام الساكنة بعدها صورة من المد [ءالـ] همزة مفتوحة بعدها ألف مد بعدها سكون لازم على

اللام فلزم المد الكلمي المخفف(١).

وأما المثقل فهو أن يأتي بعد حرف المد حرف ساكن مدغم وجوباً ، أي مشدداً مثل [الطامة] ، [ولا الضالين] ، والميم في [الطامة] مشددة وكذا اللام في [الضالين] ﴿ءآلله أذن لكم على الله تفترون﴾ ، وأصلهما [الطامة] ، [الضالين] ، لأن الحرف المشدد يساوي حرفين أدغم أولهما في ثانيهما فصارا حرفاً واحداً مشدداً..
ولأن هذا المشدد سبق بحرف مد لزم المد مداً كلياً مثقلا . فالكلمي المثقل هو ما أتى بعد حرف المد فيه حرف مشدد ، مثل [كافة] . [صاخة] ، [أتحاجوني] فالجيم والنون مشددان بعد الألف والواو وتمدان مداً لازماً.

❑❑❑

---

١) تتمة : للمد أسباب قوية وأسباب ضعيفة ، فإذا اجتمع عندنا سببان قوي وضعيف ألغي الضعيف واعتبرنا القوي مثل اجتماع مد البدل واللازم في كلمة [آمين] و ﴿ءآلله أذن لكم﴾ فإننا نلغي البدل في [آ] ونعتبر اللازم.

وترتيب المدود حسب القوة تنازلياً ، المتصل ، العارض للسكون ، المنفصل ، ثم البدل.

تبين لنا من العرض السابق التقسيم العام للمد ، وتعرفنا على أقسامه وهدفنا هنا بيان أحكام المد من حيث الجواز والوجوب واللزوم ومقدار كل بالحركات لنصل إلى الغاية ونحقق الهدف المرجو.

أولا : المراد بالحركة ومقدارها:

الحركة هي وحدة القياس الصوتي للمد في القراءة ، فإذا قلنا نمد الألف في [قال] حركتين أو الواو في [قالوا آمنا] أربع حركات مثلا فما معنى ذلك؟

يرى القراء أن مقدار الحركة هو قبض الإصبع أو بسطه ، فقبض الإصبع وبسطه حركتان ، ولكن هل يكون هذا التقدير صحيحاً في كل مراتب القراءة؟.

إن من مراتب القراءة مثلا التحقيق ، وهو قراءة ببطء ، ومن مراتبها : الحدر ، وهو أسرع المراتب قبل زمن الحركة في التحقيق تساوي زمنها في الحدر؟ بالطبع لا ، ولكن حركة قبض الاصبع أو بسطه متساوية في كل حالة في الغالب ، ولذا فقد رأى البعض أن مقدار الحركة هو مقدار النطق بحرف هجائي على الوجه الذي يقرأ به القارىء من السرعة أو البطء ، وعلى هذا فإن مقدار مده حركتين يكون مقداره مقدار النطق بحرفين ، وما حقه أن يمد مقدار أربع حركات يكون بمقدار النطق بأربعة

١) انظر الأبيات من ٣٧-٤١ من التحفة.

أحرف وهكذا ..(١).

وفي نهاية القول المفيد فإن قيل ما قدر الألف ؟ فقل هو أن تمد صوتك بمقدار النطق بحركتين إحداهما حركة الحرف الذي قبل حرف المد مثاله [ب ب] فحركة الباء الأولى هي حركة الحرف الذي قبل حرف المد والثانية هي مقدار حرف المد نحو قال ويقول وقيل فحركة القاف في الأمثلة الثلاثة المذكورة هي إحدى الحركتين المذكورتين والألف في المثال الأول والواو في المثال الثاني والياء في المثال الثالث هي الحركة الثانية(٢).

وفي رأيي هذا هو الأصح في مقدار الحركة.

مقدار كل مد بالحركات :

بعد أن تعرفنا على المراد بالحركة ومقدارها نأتي إلى بيان مقدار كل نوع من أنواع المد بالحركات .

المد العارض :

والحرف الذي عرض له السكون بسبب الوقف عليه إما أن يكون مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً ، مثال ذلك : في سورة الفاتحة مثلا ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين*﴾.

فعندما نقف على رؤوس الآيات نقف بالسكون فتسكن نون [العالمين] وميم [الرحيم] ونون [الدين] و [نستعين] بينما لو وصلنا يزول السكون ، وتحرك

---

١) العميد في علم التجويد للشيخ محمود بسه ص ٩٨.

٢) نهاية القول المفيد في علم التجويد - محمد نصر المكي ، ص ١٣٠.

نون [العالمين] بالفتحة ، وتحرك ميم [الرحيم] ونون [الدين] بالكسرة ، وتحرك نون [نستعين] بالضم ، ومن هنا يقسم العارض للسكون باعتبار حركة الحرف الموقوف عليه قبل تسكينه.

○ فإذا كان آخره قبل السكون فتحة إعراب أو بناء مثل [العالمين] جاز فيه الأوجه التالية :

* القصر : إلى حركتين فقط .
* التوسط : أي يجوز مده إلى أربع حركات .
* الطول : أي مده ست حركات بدون روم(١) ، أو إشمام(٢).

○ وإن كان آخره مكسوراً كسرة إعراب أو بناء ، مثل [الدين] ، جاز فيه الأوجه الثلاثة السابقة الجائزة مع السكون عن فتحة ، بالاضافة إلى الروم مع حالة القصر السابقة ، أي يجوز فيها أربعة أوجه.

○ وإن كان مضموماً مثل [نستعين] جاز فيه سبعة أوجه هي :

* القصر .
* التوسط .
* الطول [بالسكون فقط].
* القصر مع الإشمام.
* التوسط مع الإشمام.
* الطول مع الإشمام.
* الروم مع القصر.

---

١) الروم : معناه في اللغة الطلب معنى يروم الشيء أي يطلبه ، وفي الاصطلاح الإتيان ببعض الحركة [بثلثها] بصوت خفي يدركه القريب منك دون البعيد.

٢) الإشمام : هو ضم الشفتين بعد السكون إشارة إلى الحركة.

حكم اللين العارض للسكون:

سبق بيان أن حرفي اللين هما الواو والياء المفتوح ما قبلهما مثل [البيت ، الخوف] ولو وقفت على كل منهما ينشأ عندئذ مد لين عارض للسكون ، فما الجائز فيه من الأوجه ؟.

يجوز حينئذ ثلاثة أوجه :

* القصر.
* التوسط.
* الطول.

وما قيل عن المد العارض في الفقرة السابقة يقال هنا كذلك من حيث جواز هذه الأوجه والمدود مع الروم والإشمام.

حكم تاء التأنيث التي نطقت هاء ساكنة عند الوقف :

وذلك مثل [الصلاة] فإنها تنطق تاء عند الوصل ولكنها عند الوقف تنطق [هاء] وقبلها حرف مد ، فما الجائز فيها من أوجه المد ؟. وفي ما يماثلها من كلمات ، كالزكاة ، والتوراة ، ولا يجوز فيها من المدود. إلا وجه : القصر ، التوسط ، والطول ، السابق بيانها في الحالة الأولى فيما هو مفتوح الآخر ولا يجوز فيها الروم والإشمام للتغاير الحرفي بين وصله ووقفه.

حكم هاء الضمير المسبوقة بحرف مد عند الوقف :

مثل : [فيه] ، [اجتباه] ، [عليه] والمختار في مثل ذلك أن هاء الضمير إذا كانت مبنية على الكسر لا تكون إلا مسبوقة بياء مدية ، أو لينة مثل : [فيه ، عليه] ، أو كانت مبنية على الضم لا تكون إلا مسبوقة بواو مدية أو لينة ، مثل [عقلوه ، رأوه] ، فإنها في كل ذلك يجوز فيها القصر ، التوسط ، الطول ، أما إذا كانت مضمومة مسبوقة بألف مثل : [اجتباه] جازت المدود

السابقة بالإضافة إلى ما يجوز مع الروم مع القصر والإشمام.

فهذه أهم أحكام العارض للسكون ، وليست كلها ، ذلك ما يحتاج إليه القارىء لكتاب الله ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى المطولات.

المد المتصـــــل :

وقد سبق بيان أنه هو الذي اجتمع فيه حرف المد والهمز في كلمة واحدة مثل [شاء] [جاء] فهو من المد الواجب.

ويمد عند الوصل أربع أو خمس حركات وعند الوقف ست حركات.

المد المنفصـــل :

وهو الذي يقع فيه حرف المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى مثل ﴿أتى أمر الله﴾ وهو من المد الجائز. فيمد أربع حركات ، أو خمساً كما يجوز قصره إلى حركتين من طرق أخرى. ويسري هذا على مد الصلة الصغرى والصلة الكبرى مثل : ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ و ﴿أن لم يره أحد﴾ وأمثالها.

المد البـــدل :

وهو المد الذي تقدم فيه الهمز على حرف المد مثل : [آمن] [أيماناً] وحكمه المد حركتين كالطبيعي وهو من الجائز.

المـــد اللازم :

المد اللازم بكل أنواعه وصوره : اللازم الحرفي المثقل منه والمخفف واللازم الكلمي المثقل منه والمخفف يمد ست حركات وحكمه اللزوم والحروف التي تمد ست حركات هي حروف [سنقص علمك] السين ،

والنون ، والقاف ، والصاد ، والعين ، واللام ، والميم ، والكاف(١).

وهناك حروف لا تمد إلا حركتين فقط ، وهي حروف : [حي طاهر] الحاء ، والياء ، والطاء ، والهاء ، والراء ، مثل [حم] ، [يس] . [طه] . [الر] فهي لا تمد إلا حركتين.

وهناك حرف لا يمد إطلاقاً وهو الألف في مثل [الم] وهذا في الحرفي.

تنبيهـــات في المد :

١- يجب التسوية بين أنواع المدود ، ففي قراءتك إذا التزمت التوسط في المنفصل مثلا يعني أربع حركات ، فيجب أن تلتزم بهذا المقدار في كل مد منفصل طوال قراءتك ، فلا يجوز أن تتوسط في مد وتطيل في آخر ، وكذلك في كل وجه من أوجه المد تلتزمه.

٢- في المد اللازم الحرفي : هناك لازم حرفي يطلق عليه : الحرفي الشبيه بالمثقل ، وهو أن يقع السكون الأصلي بعد حرف المد أو اللين في حرف تقضي الأحكام إخفاءه فيما بعده عند وصله به وهو في أربعة مواضع :

○ سكون بعد لين :

في أول الشورى في [العين] وكذا [عين] أول سورة مريم [كهيعص] فهنا [عين صاد] والنون الساكنة في عين تختفي في الصاد ، وفي [حم عسق] [عين سين] فالنون الساكنة في [عين] يجب إخفاؤها في [سين].

○ سكون بعد حرف مد :

أيضاً في أول الشورى في [سين] فهي نون ساكنة يجب إخفاؤها في [قاف] ومنها [السين] في أول النمل [طس تلك] فهي [سين تلك] نون ساكنة التقت بتاء تلك فوجب إخفاؤها.

وإذا كان المثقل يظهر فيه أثرا الادغام وهما الغنة والتشديد

---

١) هي نفس حروف [كم عسل نقص]

والشبيه بالمثقل يظهر فيه - وهو مخفي - أثر واحد فقط وهو الغنة بعد مده الطويل ، ولو كان مشدداً لكان مثقلا.. ولو كان يجب إظهاره : لكان مخففاً ، ولكنه مخفي وهو بين الاظهار والادغام فهو شبيه بالمثقل لما فيه من غنة دون تشديد.

٣ أحياناً يقوم بالمد وصفان : فإذا وقفت على كلمة ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ فدعاء فيها مد متصل لوجود الألف قبل الهمز في كلمة واحدة ، والوقف بالسكون فأصبح ساكناً قبله حرف مد ، وهذا عارض للسكون فاجتمع عندي وصفان في كلمة [دعاء] عند الوقف عليها هما : أنها مد متصل عارض للسكون فعندئذ يجوز فيه إذا كان مفتوحاً السكون مع مده أربع أو خمس حركات أو ستاً.

أما مع الكسر فيجوز فيه : السكون مع المد أربع أو خمس أو ست حركات والروم مع مده أربع أو خمس حركات ، أما إذا كان مضموماً فيمد أربع أو خمس أو ست حركات بالسكون فقط ، والسكون مع الاشمام والمد أربع ، خمس ، ست حركات ، والروم مع مده أربع ، خمس حركات فقط.

بمعنى أنه في الساكن عن فتح ثلاثة أوجه : القصر حركتين ، أو التوسط أربع حركات ، والطول ست حركات ، والساكن عن كسر تجوز الأوجه السابقة مضافاً اليها وجهان : الروم مع المد أربع أو خمس حركات ، والساكن عن ضم تجوز فيه الأوجه الخمسة السابقة مضافاً إليها ثلاثة أوجه هي : الاشمام مع القصر والتوسط والطول فيكون المجموع ثمانية أوجه .

وأما البدل العارض للسكون مثل : [اسرائيل] فالهمزة تقدمت على حرف المد وفي نفس الوقت عرض السكون على اللام ، فما الجائز فيه من الأوجه؟.

٥ ففي حالة الفتح يجوز فيه ثلاثة أوجه حسب الترتيب الآتي :

المد ست حركات ، التوسط أربع حركات ، القصر حركتين.

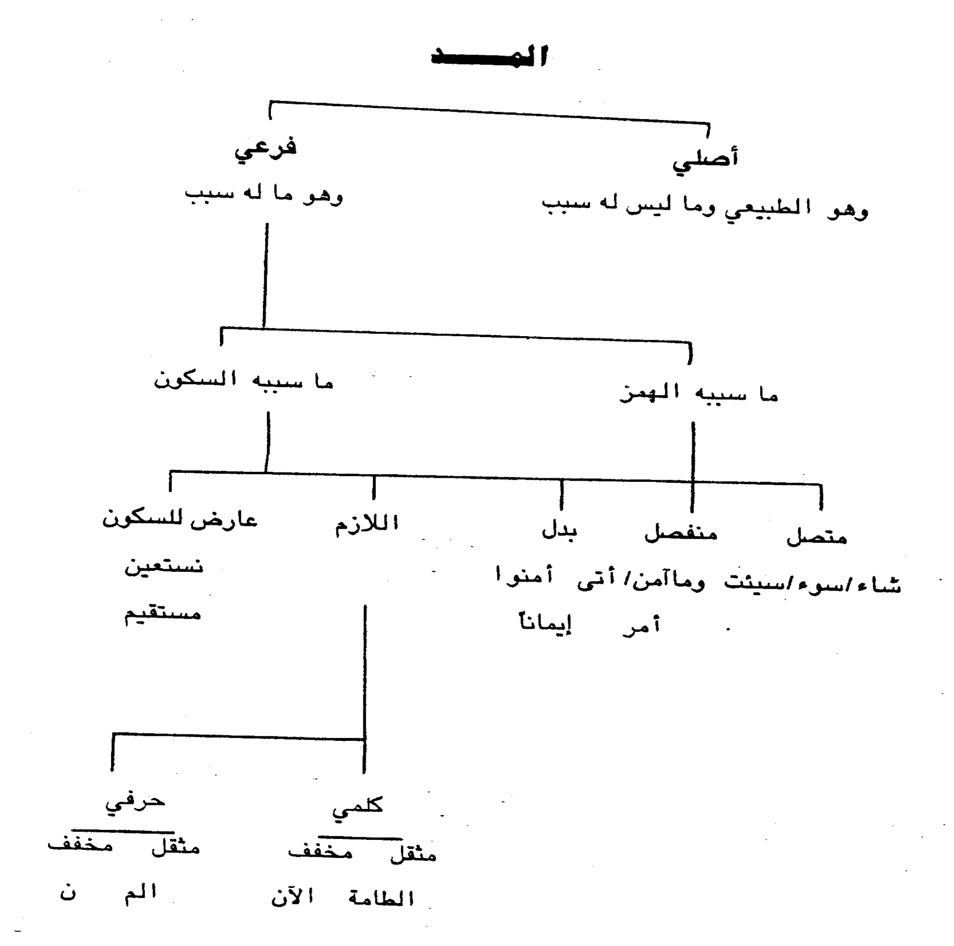
○ وفــــي حالة الكسر : يجوز هذه الأوجه مع الروم في حالة القصر فقط مثل المآب.

○ وفي حالة الضم : يجوز هذه الأوجه الأربعة ، في حالة الكسر بالاضافة إلى المدود الجائزة مع الفتح مع الاشمام ، فيصير المجموع سبعة أوجه مثل [رءوف] فيجب مراعاة ذلك في القراءة بهذا ، واكتفيت بهذه التلميحات في هذا المختصر ومن أراد التوسع فعليه بالرجوع إليها في مصادرها المطولات.

❑ ❑ ❑ ❑
❑ ❑ ❑
❑ ❑
❑

أهم نقاط المد والأوجه الجائزة فيه وأحكامه

أولا : أقسام المـــد



أحكام المـــــــد

المـــد	مقـــــداره	سببه	حكمه
المتصل	٤ ، ٥ ، وصلا ، ٦ ، وقفاً	الهمز	واجب
المنفصل	٤ ، ٥ ، ويجوز القصر	الهمز	جائز
البدل	حركتان	تقدم الهمز على حرف المد	جائز
العارض للسكون	فتح : ٢ ، ٤ ، ٦	السكون	جائز
	كسر : ٢ مع الروم ، ٤ ، ٦ ٢ بدون الروم	السكون	
	الضم : الأربعة السابقة ، ٢ ٤ ، ٥ ، مع الاشمام	السكون	جائز
اللين العارض للسكون	كل الأوجه السابقة	السكون	جائز
اللازم	٦ حركات	لزوم السكون في الكلمة مع حرف المد	لازم

تتمـــة :

مراتب المد : اللازم ، المنفصل ، العارض للسكون ، المنفصل ، البدل حسب قوتها . وترتب على هذه المراتب أنه :

١- إذا قصر العارض للسكون جاز في المتصل ٤ ، ٥ ، حركات.

٢- إذا كان العارض أربع حركات فإن المتصل يجوز فيه ٤ ، ٥ حركات.

٣- إذا كان العارض ست حركات ، كان المتصل ٥ حركات فقط.

٤- إذا قصر المنفصل جاز في العارض القصر والتوسط وجاز ٤ ، ٥ ، حركات في المتصل.

٥- إذا توسط المنفصل جاز في العارض التوسط أربع لتساوي الجميع ، ويجوز خمس حركات.

٦- إذا مد المنفصل خمس حركات لم يجز في العارض إلا ست حركات والله أعلم.

❑ ❑ ❑ ❑

أحكام المثلين والمتقاربين والمتجانسين والمتباعديـــ(١)ــن

بعد أن تعرفنا على مخارج الحروف وصفاتها تفصيلا ، يجب أن نتعرف فيما يلي على أحكام المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين والمتباعدين ، حيث أن هذه الأوصاف قامت بها تبعاً لاتحادها في المخرج أو تشاركها في الصفات ، وعندئذ يجب أن نعلم أنه إذا التقى الحرفان لفظاً وخطاً [أي نطقاً وكتابة] يعتبران مثلين ، أو متقاربين ، أو متجانسين ، أو متباعدين ، وفيما يلي بيان ذلك .

١- المثـــــلان :

هما الحرفان اللذان التقيا واتفقا في المخرج والصفات ، وفي هذه الحالة لا بد أن يتفقا إسماً ، فيكونان رائين ، أو لامين ، أو يائين .. الخ. مثل : [هل لكم] ، [إنه هو] ، فلام هل ، تماثل لام لكم ، وهاء إنه تماثل هاء هو ، وهكذا .

أقسامه وأحكامه:

ينقسم المثلان إلى :

أ- مثلين صغير :

إذا سكن الأول منهما وتحرك الثاني ، مثل [هل لكم] [فما ربحت تجارتهم] واللام الأولى ساكنة ، والثانية متحركة ، وهكذا ، في التائين في

---

١) انظر الابيات من ٢٥-٢٩ من التحفة. والأبيات ٤٢ - ٤٣ من الجزرية .

المثال الثاني ، وحكمه الادغام(١) ، ويسمى إدغام مثلين صغيراً وسمي صغيراً لقلة عمل اللسان فيه وسهولته.

ب - مثلين كبير :

وهو ما تحرك فيه الأول والثاني ، مثل [فيه هدى] [الرحيم مالك] فالهاء في [فيه] متحركة ، والهاء في [هدى] متحركة أيضاً وحكمه الاظهار.

جـ - والمطلق :

هو أن يكون الأول متحركاً والثاني ساكناً مثل [ما ننسخ] ، [ثم شققنا] فالنون الأولى في [ما ننسخ] متحركة ، والثانية ساكنة ، وهكذا في شققنا ، وحكمه الاظهار أيضاً .

٢- المتقاربـــــان :

هما الحرفان اللذان تقاربا في المخرج واختلفا في الصفة ، أو تقاربا في المخرج واتفقا في الصفة(٢) مثل : [قل ربي] فمخرج اللام هو : حافتا اللسان مع ما يحاذيهما من لثة الاسنان العليا ، ومخرج الراء طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ، فالحرفان خرجا من اللسان ولثة الأسنان العليا ، وقد اتفقا في معظم الصفات(٣) ، وهكذا.

---

١) يجب الادغام إلا في حالتين : الأولى : الياء التي بعدها ياء مثل [في يوم] فهما مثلان ، الأول ساكن والثاني متحرك إلا إنهما يجب إظهارهما لا إدغامهما..
والثانية : هاء [ماليه هلك] ويجوز فيها الادغام والاظهار ، ولكن لا بد عند الاظهار من سكتة بين الهاء للتمييز بينهما والسكت يمنع الادغام.

٢) لنظر صفات الحروف ومخارجها في هذا الكتاب .

٣) راجع مخرجي الراء واللام وقارن بينهما.

أقسامه وأحكامه :

ينقسم المتقاربان إلى :

أ- متقاربين صغير :

وهو ما كان فيه الأول ساكناً والثاني متحركاً ، مثل [قل ربي] ، [قد سمع] وحكمه الاظهار ، مثل [قد سمع] فتظهر الدال مع السين ، أما اللام والراء فتدغم [قل ربي] و [بل ران] لغير حفص ، أما عند حفص فله عندها سكتة لطيفة على لام [بل] وهذا يمنع الادغام.

ب - متقاربين كبير :

وهو أن يتحرك الأول والثاني مثل [عدد سنين] فالدال والسين ومثله [قال رب] واللام والراء متقاربان ، وتحرك الأول والثاني فيهما ، وحكمه الاظهار لغير السوسي(١).

جـ - والمطلق :

هو ما تحرك فيه الأول وسكن الثاني ، مثل : [عليك] [لن] فاللام والياء في [عليك] متقاربان ، وكذا اللام والنون ، وقد تحرك الأول وسكن الثاني فيهما ، فحكمها الاظهار أيضاً.

٣- المتجانسـان :

وهما الحرفان اللذان اتحدا في المخرج واختلفا في صفة أو أكثر مثل [يلبث ذلك] ، [قد تبين] فإن الثاء والذال في المثال الأول متجانسان لأن مخرجهما واحد ، إلا أنهما اختلفا في الصفات ، وقل مثل ذلك في [قد

---

١) السوسي من رواة السبعة ، أخذ عن أبي عمر البصري وتوفي سنة ٢٦١هـ ويرى ادغام اللام في الراء ، فيقرأ [قال رب] بإدخال لام قال في راء رب.

تبين] حيث الدال والتاء مخرجهما واحد(١). وهو إما صغير ، أو كبير ، أو مطلق :

أ- متجانسين صغير :

هو ما سكن فيه ألأول وتحرك الثاني ، مثل [همت طائفة] وحكمه الاظهار إلا في مواضع سبع ، يجب فيها الاجغام وهي :

١- التاء في الدال : مثل [أحببت دعوتكما] حيث يجب ادغام تاء أحببت في دال دعوتكما.

٢- والدال التي بعدها تاء عكس الأولى : مثل [قد تبين] أدغمت الدال في التاء.

٣- والتاء بعدها طاء ، مثل : [ودت طائفة] أدغمت التاء في الطاء.

٤- والذال بعدها ظاء ، مثل : [إذ ظلموا] أدغمت الذال في الظاء.

٥- والثاء بعدها ذال ، مثل : [يلبث ذلك] أدغمت الثاء في الذال.

٦- الباء في الميم : مثل [يا بني اركب معنا] أدغمت الباء في الميم.

وتخفى في [العلهم بلقاء] وفي مثل [أحطت] تظهر جميع صفات الطاء ما عدا القلقلة وكذا في [يخلقكم] حيث يجوز فيها الادغام الناقص ، وهذه هي المسألة السابعة.

ب - متجانسين كبير :

مثل : [يعذب من] فالباء والميم مخرجهما واحد ، ومتحركان ويجب الاظهار.

---

١) هو طرف اللسان مع أصل الثنايا العليا.

جـ - والمطلق :

مثل : [مبطلون] فالميم متحركة ، والباء ساكنة ، ويجب الاظهار أيضاً.

٤ - المتباعـــدان :

وهما الحرفان اللذان تباعدا مخرجاً واختلفا صفة ، وحكمه الاظهار سواء كان صغيراً أو كبيراً أو مطلقاً .

قاعدة :

وقد ذكرت بعض مؤلفات التجويد : قاعدة في الفرق بين المتقاربين والمتباعدين مجملها أنه إذا التقى الحرفان فإما أن يكونا من عضوين أو من عضو واحد ، فإن كان من عضوين فهما متباعدان ، كأحرف الحلق مع أحرف اللسان ، وإن كانا من عضو واحد(١) ، فهما متقاربان إن لم يوجد مخرج فاصل بينهما ، كأقصى الحلق ، وإلا فمتباعدان.

والله أعلم.

❑ ❑ ❑ ❑

---

١) مع ملاحظة أن العضو الواحد قد يكون فيه أكثر من مخرج فالحلق عضو وفيه ثلاثة مخارج : أقصى ، ووسط ، وأدنى ، وكذا اللسان ، وهكذا الشفتان.

الفصل الثالث

[الموضوعات التي انفردت بها الجزرية]

* مخارج الحروف.
* صفات الحروف.
* باب التاءات.
* همزة الوصل.
* التفخيم والترقيق.
* المقطوع والموصول.
* الحذف والإثبات.
* الوقف والابتداء.
* باب اللامات.

مخارج الحروف

سبق بيان أن معنى التجويد : إخراج كل حرف من مخرجه ومعرفة المخارج مطلب كل قارئ ، وها نحن بصدد الحديث عن مخارج الحروف.

المراد بمخرج الحرف :

[مخرج] اسم على وزن مفعل ، وهو اسم مكان مصوغ من الفعل الثلاثي خرج ، للدلالة على مكان الخروج ، مثل ملعب ، للدلالة على مكان اللعب ، ومدخل للدلالة على مكان الدخول ، وهكذا .

مخرج الحرف هو محل خروجه ، يعني العضو الذي يخرج منه الحرف مثل الشفتين فهما محل خروج الميم والباء عند انضمامهما ، ومحل خروج الواو عند انفتاحهما قليلا ، وقد يخرج الحرف في حالات كثيرة نتيجة لالتقاء عضوين معاً مثل الفاء : فإذا نطقت كلمة يفهم وركزت في النطق على الفاء لوجدتها تخرج عند التقاء الأسنان العليا [القواطع] الأمامية مع الشفة السفلى ، وتستطيع أن تجرب ذلك مع بقية الحروف بتسكينها والتركيز على نطقها مع تأمل ما التقى من أعضاء عند نطقها.

عدد مخارج الحروف :

يرى جمهور العلماء أن عدد مخارج الحروف سبعة عشر تنحصر في خمسة مخارج رئيسية ، وعلى هذا سار الإمام الجزري رضي الله عنه ، وهذا هو البيان:

أ- الجوف :

وهو الخلاء في الفم والحلق حيث يجري الهواء ، ويخرج منه حروف المد : الواو المضموم ما قبلها ، والياء المكسور ما قبلها ، والألف ، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً.

ب - الحلــق :

وهو المخرج الثاني ويبدأ مما يلي الصدر وينتهي عند ملتقى اللسان وبه ثلاثة مخارج .

○ أقصى الحلق : أي أبعده مما يلي الصدر مباشرة ويخرج منه الهمزة والهاء.

○ وسط الحلق : ويخرج منه العين والحاء [بدون نقط].

○ أدنى الحلق : ويخرج منه الغين والخاء معجمتان بنقط ولك أن تلاحظ ذلك بالتركيز على هذه الحروف في الكلمات التالية :

[يأمر ، يهدي ، نعبد ، يحمل ، المغضوب ، يخرج] فتجد أن المخرج يتدرج من أسفل ألى أعلى ، فمحل خروج الهاء من الحق غيره في الخاء ، وتسمى هذه الحروف حلقية .

جـ - اللسان :

وبيان مخارجه كالآتي :

١- أقصى اللسان :

وهو الجزء من اللسان التالي لمخرج الخاء والغين مباشرة ، مما يلي الحلق ويخرج منه حرفان :

* أقصى اللسان مع محاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه القاف.
* أقصى اللسان بعد مخرج القاف ويخرج منه الكاف وهذا المخرج أقرب من القاف إلى مقدم الفم وأسفل منه قليلا ، ويسمى هذان الحرفان لهويين.

تأمل ذلك في كلمتي [يقضي ، نكتب] مع التركيز في النطق على كل من

القاف و الكاف.

٢- وسط اللسان :

عند التقائه بالحنك الأعلى [سقف الحلق] يخرج منه ثلاثة حروف هي الجيم ، الشين ، و الياء ، غير المدية ، لأن المدية تخرج من الجوف كما سبق.

وتأمل ذلك في مثل [تجري ، يشكر ، البيت] فتجد عند نطق الحروف الثلاثة أن الجزء الأوسط من اللسان التقى بسقف الحلق إلا أنه كان مع الجيم قد التصق به تماماً ، بينما انفرج قليلا مع الشين ، و انفرج أكثر مع الياء ، وتسمى هذه الحروف [شجرية].

٣- حافة اللسان :

و اللسان له حافتان فيهما من الحروف ما يأتي :

* إذا التقت احدى حافتي اللسان اليمنى أو اليسرى بما يجاورهما ويحاذيها من الأضراس العليا يخرج حرف [الضاد] منقوطة وهي من الجهة اليسرى أسهل ومن اليمنى أصعب ، تأمل ذلك في قولك [اضرب ، تضحي] وكان النبي ﷺ ينطقها من الجانبين معاً.

* إذا التقت حافتا اللسان مع ما يجاورهما من لثة الأسنان العليا خرج حرف اللام ، تأمل ذلك في كلمة [تلقى].

٤- طرف اللسان :

* عندما يلتقي طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا [القواطع] مع الميل إلى الأمام قليلا يخرج حرف النون ، ولك أن تتأمل ذلك في الكلمات الآتية:

[أن ، لن ، تنحتون] مع التركيز على النون فستجد ذلك واضحاً. وهذا في النون المظهرة أما النون المخفاة فتخرج من الخيشوم.

* عندما تلتقي رأس اللسان مع ظهره مما يلي الرأس ما يحاذيهما من لثة الأسنان [الثنيتين العلويتين] يخرج حرف الراء ، تأمل ذلك في [ترضى] وتسمى هذه الحروف الثلاثة [ذلقية].
* وعندما يلتقي طرف اللسان مع أصل الثنيتين العلويتين أي جذورهما ، تخرج لنا حروف [الطاء ، الذال ، التاء] تأمل ذلك في مثل هذه الكلمات [يطمع ، تدري ، تتركون] وتسمى هذه الحروف [نطعية].

ملحوظـــة :

لا تقلقل الطاء والدال حتى تستطيع تمييز المخرج ، أما في القراءة فلا بد من القلقلة.

* وإذا التقى طرف اللسان ما ما بين الثنايا العليا والسفلى يخرج منه [الصاد ، الزاي ، السين] ، مثل [تصبر ، يسمع ، تزدري].
* وعندما يلتقي طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا [القواطع] يخرج منه [الظاء ، والذال ، والتاء] ، وتأمل هذا في الكلمات التالية [ولا يظلم ، يذهب ، المثلى].

د- الشفتـــان :

وفيهما المخارج التالية :

* بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا [القواطع] يخرج منه الفاء مثل [يفقهون ، يفرح].
* والشفتان عند انفتاحهما تخرج منهما [الواو] تأمل ذلك في [يوم ، قوم].
* والشفتان إذا انطبقتا خرجت منهما [الباء والميم] ولكن الانطباق في الباء أشد منه في الميم ، وتسمى هذه الحروف [شفوية].

جرب ذلك متأملا درجة انطباق الشفتين في مثل قوله : [يمكرون ، تبنون ، ليبلغ ، لم] وهكذا .

٦- الخشيــوم :

وهو أعلى الأنف وأقصاه ، ويخرج منه الغنة في الحروف المغنة مثل [من نار] [من الناس] ، [مما رزقناكم] وهكذا .

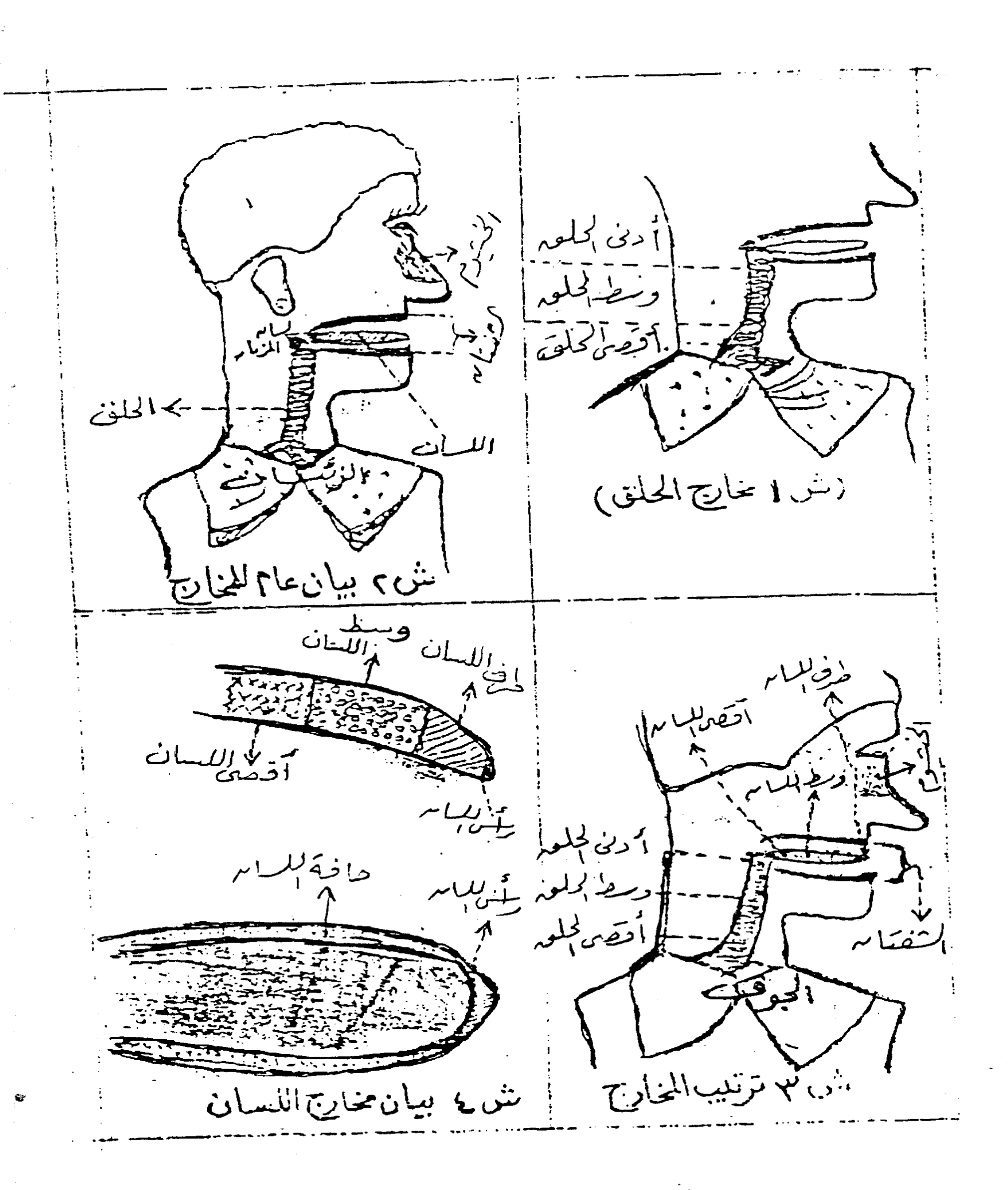
وعلى ذلك يمكن حصر المخارج الرئيسة[1] فيما يلي :

- الجوف : ويخرج منه حروف المد الثلاثة .
- الحلق : بمراتبه الثلاثة ويخرج منه حروف الحلق وعددها ستة.
- اللسان : بمراتبة ويخرج منه ثمانية عشر حرفاً .
- الشفتان : ويخرج منها ثلاثة حروف .
- الخيشوم : ويخرج منه حرفاً واحداً .

❑❑❑

---

١) انظر شكل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤.



(ش ١ مخارج الحلق)

ش ٢ بيان عام للمخارج

ش ٣ ترتيب المخارج

ش ٤ بيان مخارج اللسان

بيان إجمالي لحروف الهجاء
مع ذكر مخرج كل حرف منها

م	الحـــرف	مخرجــــــــــــــه
١	حروف المد	الجـــــــــوف
٢	الهمزة	أقصى الحلق
٣	الباء	الشفتان باطباق شديد
٤	التاء	طرف اللسان مع أصل الثنايا العليا
٥	الثاء	طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا
٦	الجيم	وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى
٧	الحاء	وسط الحلق
٨	الخاء	أدنى الحلق
٩	الدال	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا
١٠	الذال	طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا
١١	الراء	رأس طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا
١٢	الزاي	طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا والسفلى
١٣	السين	طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا والسفلى
١٤	الشين	وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى
١٥	الصاد	طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا والسفلى
١٦	الضاد	إحدى حافتي اللسان مع ما يحاذيهما من الأضراس العليا

م	الحـــرف	مخرجـــــــــــــــــه
١٧	الطاء	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا
١٨	الظاء	طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا
١٩	العين	وسط الحلق
٢٠	الغين	أدنى الحلق
٢١	الفاء	بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا
٢٢	القاف	أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى
٢٣	الكاف	أقصى اللسان بعد مخرج القاف وأسفل منه قليلا
٢٤	اللام	حافتا اللسان مع ما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا
٢٥	الميم	الشفتان بانطباق خفيف
٢٦	النون	طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا والمخفاة من الخيشوم
٢٧	الهاء	أقصى الحلق
٢٨	الواو	الشفتان بانفتاح ، أما المدية من الجوف
٢٩	الياء	وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهذا في غير المدية أما المدية فالجوف

صفات الحروف[1]

تعريف الصفة :

هي ما قام بالشيء ، فعندما نقول : محمد أبيض ، وعلي طويل ، والصوت عال ، فالبياض صفة قامت بمحمد ، والطول صفة قامت بذات علي ، والعلو صفة للصوت ، وهكذا ، فالصفة ما قامت بالغير.

وعند علماء التجويد : هي ما يطرأ على الحرف من أحوال عند النطق به.

عدد الصفات :

اختلف العلماء في عددها ، فجمهور القراء ومنهم الإمام الجزري يرى أن عددها سبع عشرة صفة ، ويرى صاحب «العميد» في علم التجويد أنهما ثماني عشرة صفة.

وهذه الصفات إما ذاتية : أي لازمة للحرف لا تفارقه في أي حال من الأحوال وإما عارضة : وهي التي تقوم بالحرف تارة وتفارقه تارة أخرى.

والمقصود بالحديث هنا الصفات الذاتية عملا برأي الجمهور وأغلب القراء.

تقسيم الصفات :

تنقسم الصفات إلى قسمين :

- قسم له ضد .
- قسم لا ضد له.

فعندنا خمس صفات لها أضداد ، فالمجموع عشر صفات ، وهناك سبع صفات

---

1) انظر الأبيات من ١٢-١٨ من الجزرية.

لا ضد لها ، فيتحصل لدينا سبع عشرة صفة ، وهو ما عليه الجمهور ، وهاك بياناً توضيحياً لهذا القسم.

م	الصفة	ضدهـــا	م	الصفات التي ليس لها ضد
١	الهمس	الجهر	١	الصفير
٢	الشدة	الرخاوة	٢	القلقلة
٣	الاستعلاء	الاستفال	٣	الانحراف
٤	الانطباق	الانفتاح	٤	التكرار
٥	الانذلاق	الاصمات	٥	اللين
			٦	التفشي
			٧	الاستطالة

وفيما يلي تعريف كل صفة على حدة ، ولنبدأ بالصفات التي لها أضداد مع توضيح ميسر لكل تعريف.

١- الهمس :

في اللغة الخفاء ، واصطلاحاً : خفاء الحرف لضعفه وجريان النفس عند النطق به لضعف الاعتماد عليه في المخرج.

فضعف الحرف جاء تبعاً لضعف الاعتماد على المخرج وجريان النفس.

والحروف المهموسة مجموعة في [فحثه شخص سكت] فهي الفاء . والحاء المهملة ، والثاء ، والهاء ، والشين المعجمة ، والخاء المعجمة ، والصاد ، والسين ، والكاف ، والتاء ، فهي عشرة حروف.. وضد الهمس :

٢- الجهــر :

وهو في اللغة الظهور والاعلان ، تقول : جهر بالقول أي أظهره وأعلنه ، وفي الاصطلاح : ظهور الحرف وإعلانه وانحباس النفس معه عند النطق به لقوة الاعتماد عليه في المخرج.

فالجهر في الحرف جاء تبعاً لقوة المخرج والاعتماد عليه ، ولأن النفس لا يجري عند النطق به.

وحروفه هي الباقية بعد العشرة المذكورة في الهمس ، وعددها تسعة عشر حرفاً ، فإن في الصفات التي لها ضد إذا اتصف الحرف بصفة منها انتفى عنه ضدها ، فلا تجد حرفاً مهموساً ومجهوراً أو مستفلا ومستعلياً.

خذ مثلا حرفا مهموساً كالسين : فإذا ركزت عند النطق به على المخرج في مثل [يسمعون] ترى أن النفس يجري مما يجعل الحرف ضعيفاً بخلاف الباء مثلا في مثل قوله [ليبلغ فاه] فالنفس قد احتبس عند التركيز على المخرج مما اكسب الحرف ظهوراً ووضوحاً وجهراً . وهكذا في كل ضد يظهره ضده ، فالأول مهموس والثاني مجهور ، ولك أن تجرب العديد من الأمثلة للتتأكد صفة الحرف وضدها في ذهنك.

٣- الشـــدة :

وهي في اللغة : القوة ، واصطلاحاً : قوة في الحرف لانحباس النفس عن الجريان عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد عليه في المخرج ، وحروفها مجموعة في [أجد قط بكت] فهي الهمزة ، والجيم ، والدال ، والقاف ، والطاء ، والباء ، والكاف ، والتاء.

والتوسط : هو الاعتدال ، واصطلاحاً : اعتدال الصوت حالة النطق بالحرف لعدم كمال انحباس النفس كما في الشدة كما مر ، وعدم كمال جريانه كما في الرخاوة كما سيأتي بيانه.

وحروف التوسط مجموعة في قوله [لن عمر] فهي اللام ، والنون ، والميم ، والراء ، وضد الشدة والتوسط :

٤- الرخـــاوة :

وهي في اللغة : اللين ، تقول : هذا رخو(١) أي لين ، واصطلاحاً : لين الحرف لضعفه وجريان الصوت عند النطق به لضعف الاعتماد عليه في المخرج ، وحروفه ستة عشر حرفاً ، وهي الباقية بعد حروف الشدة وحروف التوسط ، ولما كانت حروف الشدة عددها ثمانية وحروف التوسط عددها خمسة ، فالحاصل ثلاثة عشر حرفاً يبقى بعدها ستة عشر جرفاً هي حروف الرخاوة.

مثال توضيحي:

[تجري] ، [يعمر] ، [تهوى] ركز في هذه الكلمات على مخرج الجيم وهي من حروف الشدة ، ومخرج العين وهي من حروف التوسط ، ومخرج الهاء ، وهي من حروف الرخاوة ، ترى أن النفس قد اكتمل احتباسه في الجيم ، بينما لم يكمل في العين ، ولم يحدث أي انحباس في الهاء مطلقاً ،

---

١) يجوز فتح الراء وكسرها.

فالفرق بين هذه الحروف قائم على انحباس النفس أو جريانه من عدمه.

٥- الاستـــعلاء :

وهو من العلو ، ويطلق في اللغة ويراد به الارتفاع ، واصطلاحاً ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف وحروفه مجموعة في [خص ضغط قظ] فهي الخاء المعجمة ، والصاد المهملة ، والضاد ، والغين المعجمة ، والطاء المهملة ، والقاف ، والظاء ، فهي سبعة حروف تسمى الحروف المستعلية أي يرتفع اللسان عند النطق بها إلى أعلى الحنك. وضد الاستعلاء :

٦- الاستفـــــال :

وهو من «السفل» ويراد به لغة الانخفاض ، وفي الاصطلاح : انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف ، وحروفه هي الباقية بعد حروف الاستعلاء وتسمى [مستفلة].

مثال توضيحي :

في كلمتي [يطمع ، يسلم] الطاء من حروف الاستعلاء والسين من حروف الاستفال ، وعندما تركز على الطاء في النطق تجد أن اللسان قد اتجه إلى أعلى الحنك ، وعند التركيز على السين في النطق تجد أنه اتجه إلى أسفل ، تأمل جيداً ستجد أن كل الحروف في الصفتين ينطبق عليها ذلك فقس على ذلك البواقي.

٧- الاطبـــــاق :

وهو في اللغة : الإلصاق ، واصطلاحاً : إلصاق اللسان بالحنك الأعلى عند النطق بالحرف ، وله حروف أربعة هي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء وضد الاطباق :

٨- الانفتـــاح :

وهو تباعد اللسان عن الحنك حتى يخرج الريح من بينهما عند النطق بالحرف ، وأحرفه هي الباقية بعد حروف الاطباق الأربعة .

مثال توضيحي :

في كلمة [الطامة] ، [محموداً] ، الطاء من حروف الاطباق والحاء من حروف الانفتاح ، ولو ركزنا على مخرج كل منهما عند النطق لوجدنا أن اللسان قد التصق تماماً بالحنك مع الطاء ، بينما تباعد عنه عند النطق بالحاء ، مما سمح للريح بالخروج من بينهما ، أي من بين اللسان والحنك ، وعلى هذا قس بقية الحروف ، إذ قد اتضح المراد بالاطباق والانفتاح .

٩- الإذلاق :

وهو الحدة في اللسان ، يقال : هذا ذلق اللسان ، أي : حاد اللسان.

وهو في الاصطلاح : سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان .

وحروف الاذلاق جمعت في قوله : [فر من لب] فهي الفاء ، والراء ، والميم ، والنون ، واللام ، والباء ، وهي مذلقة بمعنى متطرفة ، فالبعض منها يخرج من طرف اللسان كالراء ، وبعضها من بطن الشفة السفلى كالفاء ، والبعض من الشفتين كالميم ، فالاذلاق يراد به التطرف ، وضد الاذلاق :

١٠- الاصمـــات :

وهو في اللغة بمعنى المنع ، وفي الاصطلاح : ثقل الحرف عند النطق به لخروجه بعيداً عن طرف اللسان والشفتين.

وحروف الاصمات هي ما بقي بعد حروف الاذلاق .

وسميت هذه الحروف مصمتة لأنها ممنوعة من انفرادها أصولا في بنات الأربعة أو الخمسة بمعنى أن كل كلمة على أربعة أحرف أو خمسة أحرف أصول لا بد أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف من الحروف

المذلقة ، وإنما فعلوا ذلك لخفتها فعدلوا بها الثقيلة كما ذكره الجزري ، فكلمات : [محمد ، علي ، نبل] عربية لما فيها من حروف الاذلاق ، وكلمة [عسجد] اسماً للذهب غير عربية لخلوها من حروف الاذلاق .

تنبيـــــه :

كل حرف من حروف الهجاء قامت به صفة من الصفات يمتنع عنه ضدها ، حيث لا يجتمع ضدان في محل واحد كما هو معلوم ، وعلى ذلك فلا يقوم ضدان من الصفات بحرف واحد.

الصفات التي ليس لها ضد :

١- الصفير :

وهو صفة لا ضد لها ، ويراد به صوت يشبه صوت الطائر ، واصطلاحاً صوت زائد يشبه صوت الطائر يخرج عند النطق بالحرف ، وحروفه هي [الصاد ، الزاي ، السين] مثل [الاصباح ، يصبر ، يسأل ، يسمع ، أزيد ، يزرع] وهكذا .

٢- القلقلة :

وهي بمعنى الحركة والاضطراب ، تقول : قلقله أي حركه.

وهي في الاصطلاح : اضطراب اللسان عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية ، وحروفها مجموعة في قولك [قطب جد].

وأقوى درجاتها : الساكن الموقوف عليه مثل [من واق] [رقيب عتيد] ثم الساكن الموصول مثل الباء في [ليبلغ فاه] والطاء في [نطوي السماء] ، وقد رأى البعض أن مراتب القلقلة في القوة والضعف على النحو التالي كالاتي وحسب ترتيبها:

- أقواها : المشدد الموقوف عليه ، مثل : ﴿ولا جدال في الحج﴾ كبرى.

o تليها الساكن الموقوف عليه مثل : ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ ﴿رقيب عتيد﴾ متوسطة.

o آخرها الساكن غير الموقوف عليه مثل : ﴿ادخلوها بسلام﴾ صغرى.

ثم القلقلة تكون أقرب إلى الفتح دائماً . وقيل تتبع ما قبلها فإن كان ما قبلها مفتوحاً كانت أقرب إلى الفتح ، وإن كان مكسوراً كانت أقرب الى الكسر ، وإن كان مضموماً كانت أقرب إلى الضم ، مثل : [أقرب ، ادخلوها ، ادفع] وقيل : تتبع ما بعدها لا ما قبلها ، والأصوب القول الثاني.

٣- اللين :

وهو في اللغة بمعنى السهولة ، واصطلاحاً : إخراج الحرف من مخرجه في سهولة ودون تكلف.

وله حرفان : الواو الساكنة المفتوح ما قبلها ، مثل [خوف] والياء الساكنة المفتوح ما قبلها ، مثل [بيت] وعند النطق بهاتين الكلميتن نلمس سهولة النطق ويسره ، وقد يعامل حرفا اللين معاملة حرف المد(١).

٤- الانحراف :

وهو في اللغة : الميل ، تقول : انحرف فلان أي مال ، وفي الاصطلاح الميل بالحرف إلى طرف اللسان عند خروجه ، وله حرفان هما : [الراء ، اللام] حيث يميلان عن مخرجيهما عند النطق إلى غيرهما من المخارج ، فاللام تميل إلى طرف اللسان ، والراء الى ظهره ، ولك أن تتأمل ذلك في [يرجع ، يلعبون].

---

١) يقول شارح الجزرية : أجرى بعضهم حرفي اللين مجرى حروف المد واللين ، حتى إذا وقع بعدهما ساكن لوقف أو إدغام جاز المد ، والقصر والتوسط ، مثل : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ وقوله : ﴿عليهم دائرة السوء﴾ وهكذا..

٥- التكريـــر :

وهو في اللغة الاعادة ، وكرر الشيء : أعاده ، وفي الاصطلاح : ارتعاد رأس طرف اللسان عند النطق بالحرف إذا كان ساكناً أو مشدداً . ولا يكون إلا في حرف واحد وهو [الراء] وهو صفة لها ، فإذا قلت : [يرضى] وضغطت على الراء نطقاً فإنك تلاحظ ارتعاد رأس اللسان وتردده بسرعة ، وهذا هو التكرير.

ويجب العلم بأن التكرير يعرف للراء لا للعمل به ولكن لتجنبه ، وإنما معنى ذلك أنها تقبله أن يقوم بها ، لقول شارح الجزرية : "ومعنى قولهم أن الراء مكرر أي أن له قبول التكرار لارتعاد طرف اللسان عند النطق به كقولهم لانسان غير ضاحك : ضاحك ، [أي هو ضاحك] أي : يقبل الضحك . وهو - أي التكرير - لحن يجب التحفظ منه ويراعى قراءة عدم التكرار.

٦- التفشـــي :

في اللغة بمعنى الانتشار والاتساع ، ويقال : فشا الأمر : انتشر واتسعت دائرته.

وهو في الاصطلاح : انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين حتى تتصل بمخرج الظاء المعجمة ، وله حرف واحد وهو الشين فقط.

٧- الاستطـالة :

وهي في اللغة الامتداد ، وفي الاصطلاح : امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها ، وقيل : امتداد مخرج الضاد عند النطق بها وتتصل بمخرج اللام ، ولها حرف واحد فقد هو : الضاد المعجمة.

الفرق بين المستطيل والممدود : أن المستطيل جرى في مخرجه . والممدود جرى في نفسه ، بسكون الفاء.

ومن الصفات اللازمة : الغنة ، وهي صوت جميل يخرج من الخيشوم مركب

في جسم النون والميم(١).

ويتضح لنا مما سبق أن هذه الصفات منها ما هو قوي ، ومنها ما هو ضعيف ، فالقوي منها هو : القلقلة ، والشدة ، والجهر ، والاطباق ، والاستعلاء ، والاصمات ، والصفير ، والانحراف ، والتكرير ، والتفشي ، والاستطالة ، والغنة ، فهي اثنتا عشرة صفة مرتبة حسب درجة القوة تنازلياً ، وما بقي بعد ذلك من الصفات ضعيف ، وتلك الصفات هي : الهمس ، والرخاوة ، الاستفال ، الانفتاح ، الانذلاق ، اللين ، الخفاء ، وصفة التوسط لا توصف بضعف ولا قوة.

وتوصف الحروف أيضاً بالقوة أو الضعف تبعاً لما يقوم به من صفات قوية أو صفات ضعيفة ، فإذا كانت صفات الحرف أو أكثرها صفات قوية كان الحرف قوياً ، وإذا كانت الصفات ضعيفة كان الحرف ضعيفاً ، وقيل : إن أقوى الحروف [الطاء] المهملة ، وأضعفها [الياء] والله أعلم.
وبعد هذا العرض للصفات وما تقوم به من حروف ، نعرض فيما يلي جدولا للحروف الهجائية وما يقوم بها من صفات(٢) بصورة إجمالية موجزة تسهيلا على القارىء.

❑ ❑ ❑

---

١) انظر صفحة : (١٦٨) من هذا الكتاب : أحكام النون والميم المشددتين.
٢) راجع متن إغاثة الملهوف في عدد صفات الحروف للشيخ إبراهيم تلميذ الشيخ سليمان الجريسي.

جدول الحروف الهجائية

الحرف	ما يقوم به من صفات	عددها
الهمزة	الجهر/ الشدة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الباء	الجهر/ الشدة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاذلاق/ القلقلة	٦
التاء	الهمس/ الشدة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الثاء	الهمس/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الجيم	الجهر/ الشدة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات/ القلقلة	٦
الحاء	الهمس/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الخاء	الهمس/ الرخاوة/ الاستعلاء/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الدال	الجهر/ الشدة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات/ القلقلة	٦
الذال	الجهر/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الراء	الجهر/ التوسط/ الاستفال/ الانفتاح/ الاذلاق/ الانحراف التكرير	٧
الزاي	الجهر/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات/ الصفير	٦
السين	الهمس/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات/ الصفير	٦
الشين	الهمس/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات/ التفشي	٦
الصاد	الهمس/ الرخاوة/ الاستفال/ الاطباق/ الاصمات/ الصفير	٦
الطاء	الجهر/ الشدة/ الاستعلاء/ الاطباق/ الاصمات/ القلقلة	٦
الظاء	الجهر/ الرخاوة/ الاستعلاء/ الاطباق/ الاصمات	٥
العين	الجهر/ التوسط/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥

الحرف	ما يقوم به من صفات	عددها
الغين	الجهر/ الرخاوة/ الاستعلاء/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الفاء	الهمس/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاذلاق	٥
القاف	الجهر/ الشدة/ الاستعلاء/ الانفتاح/ الاصمات/ القلقلة	٦
الكاف	الهمس/ الشدة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
اللام	الجهر/ التوسط/ الاستفال/ الاذلاق/ الانحراف/ الانفتاح	٦
الميم	الجهر/ التوسط/ الاستفال/ الانفتاح/ الاذلاق	٥
النون	الجهر/ التوسط/ الاستفال/ الانفتاح/ الاذلاق	٥
الهاء	الهمس/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الواو	الجهر/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
الياء	الجهر/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
ياء المد ، واو المد ، ألف المد:		
	الجهر/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات	٥
واو اللين ، ياء اللين:		
	الجهر/ الرخاوة/ الاستفال/ الانفتاح/ الاصمات/ اللين	٦

ومن خلال تأمل الجدول السابق ، ترى أن أقل عدد يقوم بالحرف من الصفات خمس صفات ، والوسط ست صفات ، وأقصى عدد هو سبع صفات ، ولم تقم إلا بحرف واحد فقط هو الراء.

ويلاحظ كذلك : اشتراك حرف التاء وحرف الكاف في جميع الصفات ، فكل منهما : مهموس ، شديد ، مستفل ، منفتح ، مصمت.

وكذلك يلاحظ : اشتراك حروف الثاء ، والياء ، والحاء ، في جميع

فكل منها : مهموس ، رخو ، مستفل ، منفتح ، مصمت.
وكذلك اشتركت الجيم مع الدال في جميع الصفات ، فكل منهما : مجهور ، شديد ، مستفل ، منفتح ، مصمت ، مقلقل.
وحروف المد الثلاثة في : الجهر ، الرخاوة ، الاستفال ، الانفتاح ، الاصمات.
وحروف اللين الاثنان في : الجهر ، الرخاوة ، الاستفال ، الانفتاح ، الاصمات ، ثم اللين.

فنلاحظ بصفة عامة ، أن هذه الحروف المذكورة اتحدت فيها جميع الصفات على نحو ما سبق بيانه ، مع أن مخارجها غير متحدة ، وليست مشتركة ، وهذا لا يعقد بينها تماثلا ، وهذا ما سيأتي بيانه إن شاء الله في المبحث التالي في أحكام المثلين والمتقاربين والمتجانسين.

❑ ❑ ❑ ❑

باب التاءات(1).

الهدف من دراسة هذا الباب معرفة ما يرسم بالتاء المفتوحة وما يرسم بالتاء المربوطة ، حيث يوقف على الأولى بالسكون على التاء ، أما الثانية فيوقف عليها بالهاء الساكنة ، وهذه المواضع محصورة في القرآن الكريم على النحو التالي :

تنحصر الكلمات التي رسمت بالتاء في ثلاث عشرة كلمة ، تتكرر في واحد وأربعين موضعاً في القرآن ، ويوقف عليها بالتاء الساكنة ، تبعاً لرسمها في المصحف وهي :

١- لفظ نعمة :

الأصل فيها أن تكتب بالتاء المربوطة ويوقف عليها بالهاء مثل : ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ ، ولكنها في إحدى عشر موضعاً في القرآن يوقف عليها بالتاء تبعاً لرسمها، وهي :

١- ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ البقرة آية ٢٣١.

٢- ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ آل عمران : ١٠٣.

٣- ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ المائدة : ١١.

٤- ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾ إبراهيم : ٢٨.

٥- ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ إبراهيم:٣٤.

---

١) انظر الأبيات من ٨٦-٩٢ من الجزرية.

٦- ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون﴾.

٧- ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها و أكثرهم الكافرون﴾.

٨- ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً و اشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ النحل : ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٤.

٩- ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ لقمان : ٣١.

١٠- ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و الأرض﴾ فاطر : ٣.

١١- ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾ الطور : ٢٩.

٢- لفظ رحمـــة :

الأصل فيها الكتابة بالتاء المربوطة ، ويوقف عليها بالهاء ولكنها تكتب بالتاء المفتوحة ويوقف عليها بالتاء الساكنة للرسم في المواضع التالية:

١- ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله و الله غفور رحيم﴾ البقرة : ٢١٨.

٢- ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها و ادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ الأعراف : ٥٦.

٣- ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم آهل البيت إنه حميد مجيد﴾ هود : ٧٣.

٤- ﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾ مريم : ٣.

٥- ﴿فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ الروم : ٥٠.

٦- ﴿أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾.

٧- ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت

ربك خير مما يجمعون﴾ الزخرف : ٣٢.

٣- لفظ امــرأة :

وأصلها الكتابة بالتاء المربوطة ويوقف عليها بالهاء كذلك ولكنها ترسم في القرآن بالتاء المفتوحة ويوقف عليها بالتاء الساكنة في المواضع التالية:

١- ﴿إذا قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ آل عمران : ٣٥.

٢- ﴿وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾.

٣- ﴿قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ يوسف : ٣٠ ، ٥١.

٤- ﴿وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾ القصص : ٩.

٥/٦ ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط﴾.

٧- ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون﴾ التحريم : ١٠-١١.

٤- لفظ سنـــة :

وترسم بالتاء المفتوحة في المواضع التالية :

١- ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين﴾ الأنفال : ٣٨.

٤/٣/٢ ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ فاطر : ٤٣.

٥- ﴿سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ غافر:٨٥.

٥- **لفظ لعنـــة :**

وتكتب التاء المفتوحة ، ويقف عليها بالسكون في الموضعين التاليين:

١- ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ آل عمران : ٦١.

٢- ﴿والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ النور : ٧.

٦- **لفظ معصيـــة :**

يرسم أيضاً بالتاء المفتوحة ويوقف عليه بالسكون في المواضع التالية:

١- ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه يتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾.

٢- ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى﴾ المجادلة : ٨-٩.

٧- **لفظ كلمـــة :**

وترسم لفظة كلمة بالتاء المفتوحة في موضع واحد.

١- ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾ الأعراف:١٣٧.

٨- **لفظ بقيـــة :**

وترسم لفظة بقية بالتاء كذلك في موضع واحد:

١- ﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾ هود:٨٦.

٩- **وكل من كلمات :**

[قرة/فطرة/شجرة/جنة/ابنة] -

رسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد ، بيانها كالآتي :

١- ﴿قرت عين لي ولك﴾ القصص : ٩.

٢- ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ الروم : ٣٠.

٣- ﴿إن شجرت الزقوم طعام الأثيم﴾ الدخان : ٤٣-٤٤.

٤- ﴿فروح وريحان وجنت نعيم﴾ الواقعة : ٨٩.

٥- ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾ التحريم : ١٢.

وما عدا هذه الكلمات تكتب بتاء مربوطة ، يوقف عليها بالهاء.

ومن خلال هذا الحصر تبين لنا أن الكلمات التي وقعت في القرآن الكريم ورسمت بالتاء الساكنة المفتوحة ، ويوقف عليها كذلك كما تقف على [عصمت] و [عزت] عددها ثلاث عشرة كلمة ، تكررت كل منها في عدة مواضع ، وقد سبق بيانها.

وحصرها على النحو التالي:

بيان بالكلمات التي وقعت في القرآن الكريم ورسمت بالتاء الساكنة المفتوحة

م	اللفـــــــظ	تكراره
١	نعمت	١١
٢	رحمت	٧
٣	امرأت	٧
٤	سنت	٥
٥	لعنت	٢
٦	معصيت	٢
٧	كلمت	١
٨	بقيت	١
٩	قرت	١
١٠	فطرت	١
١١	شجرت	١
١٢	جنت	١
١٣	ابنت	١
	إجمالـــــــي	٤١

همـــــزة الوصـــ(١)ـــل

الهمزة حرف من حروف الهجاء ، مخرجها أقصى الحلق وكتابتها كعين مبتورة [ء] مثل : [يأمر ، يأمن ، يؤتى ، أتى] وهكذا . .

وهي نوعان :

الأول : همزة قطع .

والثاني : همزة وصل .

وضابط الأولى : هي التي تثبت وصلا وخطاً وبدءاً.

وضابط الثانية : هي التي تسقط في الوصل وتثبت في البدء.

وإيضاح ذلك فيما يلي :

أ أحمد : من أسماء الرسول ﷺ [أكرم جارك].

ب ﴿ اذكر ربك إذا نسيت ﴾ ، ﴿ استغفروا ربكم ﴾.

لو تأملنا مجموعة [أ] لوجدنا كلمتي [أحمد] و [أكرم] كتبت همزتهما ونطقتا بخلاف كلمتي [اذكر] و [استغفروا] في مجموعة [ب] ، حيث نطقت همزتا كل منهما ولم ترسم ، وهذا لأنهما في بدء الكلام.

ولو أعدنا الأمثلة بطريقة أخرى بحيث تكون الهمزة أثناء الكلام لوجدنا أن همزتي [أحمد] و [أكرم] نطقتا وظهرتا في النطق ، فنقول : [الرسول ﷺ اسمه أحمد] ، [أد فرضك وأكرم جارك] ، بخلاف المجموعة الثانية ، فإذا قلنا : [استحضر قلبك واذكر ربك واستغفره] فإننا لا ننطق الهمزة في [اذكر] ، [استغفر] ولو أعدنا كتابتها بالخط العروضي لكتبت هكذا [استحضر قلبك وذكر ربك وستغفره] ونلاحظ حذف الهمزة ، والهمزة في

---

١) انظر الابيات من ٩٣-٩٧ من الجزرية.

المجموعة الأولى للقطع حيث ظهرت نطقاً وكتابة في كل حال ، وفي المجموعة الثانية للوصل حيث نطقت في البداية وحذفت في الاثناء.

مواضع همزة الوصل:

والأصل في الهمزات هي همزة القطع ، وللوصل مواضع محصورة نذكرها بإيجاز إن شاء الله:

أ- همزة الوصل في الأفعال :

١- الفعل الماضي الخماسي والسداسي مثل : [فانطلقا] ، [استغفر ربه] فالأولى في الخماسي والثانية في السداسي.

٢- أمر الخماسي والسداسي :

مثل : ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ ، ﴿توبوا إليه واستغفروه﴾.

٣- أمر الفعل الثلاثي :

﴿واسمع غير مسمع﴾ ، ﴿واذكر ربك كثيراً﴾.

ب - في المصادر :

١- مصدر الفعل الخماسي ، والسداسي ، مثل : [انطلق انطلاقاً] ، [استغفر استغفاراً].

جـ - همزة الوصل في الأسماء :

تقع همزة الوصل في عشرة أسماء هي :

اسم ، ابن ، ابنة ، اثنان ، اثنتان ، امرئ ، امرأة ، ايم ، است ، ايمن ، والثلاثة الأخيرة ليس لها أمثلة في القرآن ، أما الباقي فأمثلتها كما يلي:

﴿عيسى بن مريم﴾ ، ﴿مريم ابنة عمران﴾ ، ﴿إن امرؤ هلك وليس له ولد﴾ ، ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ ، ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ ، ﴿إذا قالت امرأة

عمران﴾ ، ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾.
وهي أيضاً للوصل في لفظ الجلالة ﴿فضلا من الله ونعمة﴾.

د - همزة الوصل في الحروف :

لا تقع همزة الوصل في الحروف ، إلا في [ال] المعرفة مثل : ﴿خلق الإنسان﴾ ، ﴿والضحى﴾.

حركة همزة الوصل :

إذا أردنا البدء بالهمزة فما حركتها ؟ هل الفتح أو الضم أو الكسر؟..

١- إذا وقعت همزة الوصل في الأسماء فهي مكسورة بالاتفاق ، مثل [اثنين] وبقية الأسماء ما عدا [ايم] ولفظ الجلالة.

٢- وإذا وقعت في فعل على النحو التالي :

- إذا كان ثالث الفعل مضموماً ضمت فتقول [ادع] فالثالث هنا هو العين وهي مضمومة ، فضمت الهمزة.
- وإذا كان الثالث مفتوحاً كسرت الهمزة مثل : [انطلق] فالطاء هنا هي الثالث وهي مفتوحة فكسرت الهمزة بدءاً.
- وإن كان الثالث مكسوراً كسرت الهمزة أيضاً ، [اضرب بعصاك].

٣- حركة الهمز مع الحركة العارضة:

على ضوء ما تقدم في قاعدة حركة الهمزة عند البدء ، فإننا ننطق همزة الفعل ، [امش بسرعة] أمر [مشى] مكسورة ، وكذا همزة [اقض ما أنت قاض] فيا ترى كيف تنطق إذا أسندت إلى واو الجماعة ؟.

فإذا قلنا [امشوا في الأرض] و [اقضوا بالحق] ، فقبل الإسناد كانت الهمزة مكسورة لكسر الثالث وهو الشين في الأولى ، والضاد في الثانية ،

ولكن بعد الإسناد طرأ الضم لمناسبة واو الجماعة فهو ضم عارض ، فهل يا ترى : ننظر إلى الأصل قبل الإسناد وهو الكسر ، أم إلى العارض بعد الإسناد وهو الضم فنضم الهمزة؟.

والصواب في ذلك أن نبدأ بالكسر نظراً للأصل فنقول : امشوا ، امضوا ، بكسر الهمزتين.

٤- اجتماع همزة الوصل مع همزة الاستفهام:

إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل حذفت همزة الوصل وبقيت همزة الاستفهام.

وإيضاح ذلك : عندما نقول : [استكبر الشيطان] فالهمزة في استكبر للوصل ، فإذا أردنا السؤال عن ذلك بالهمزة نقول [أ استكبر الشيطان؟].

وبما أن همزة الوصل لا تنطق في الأثناء فإنها تحذف فنقول [أستكبر الشيطان؟] بفتح همزة الاستفهام.

وأمثلة ذلك من القرآن :

﴿أتخذتم عند الله عهداً﴾ ، ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ ، ﴿أفترى على الله كذباً أم به جنة﴾ ، ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾ ، ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾.

وهذه المواضع الخمسة هي المتفق عليها من القراء ، وانفرد حفص ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ ، ﴿اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾ ، فكل هذه الأمثلة حذفت فيها همزة الوصل وبقيت همزة الاستفهام.

٥- إذا سبقت همزة الاستفهام همزة الوصل التي بعدها لام تعريف:

وإيضاح هذه الصورة على النحو التالي :

قال تعالى : ﴿قل آ الذكرين حرم أم الأنثيين﴾ ، فكلمة آلذكرين عبارة عن

همزة استفهام دخلت على كلمة [الذكرين] مثنى [الذكر] فهي قد دخلت على همزة الوصل في التي في [ال] فتحققت عندي الصورة التالية : همزة استفهام دخلت على همزة وصل بعدها لام تعريف وعندئذ يجوز فيها وجهان :

- تبدل همزة الوصل ألفا مع مدها تخلصاً من التقاء الساكنين فتقول : ﴿قل ءالذكرين] بالمد الطويل .
- تسهيل الهمزة بين الهمزة والألف .

ومع أن الوجهين صحيحان إلا أن الأول أفضل وأولى.

ومواضع ذلك في القرآن :

١-٢ ﴿قل ءالذكرين حرم أم الأنثيين﴾.

٣-٤ ﴿ءالان﴾(١).

٥- ﴿ءالله أذن لكم﴾.

٦- ﴿ءالله خير﴾.

فيجوز في كل منها الابدال والتسهيل في مواضع ستة تسهل الهمزة فيها ، والله أعلم.

❑ ❑ ❑

١) ﴿ءالان وقد كنتم به تستعجلون﴾ ، ﴿ءالان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ في موضعي يونس.

تحذيرات في استعمال الحروف(١):

ذكر الجزري في منظومته عدة كلمات من القرآن قد تفوت على القارىء أثناء قراءته فتلتبس بغيرها ، ولا تعطي حروفها حقها ومستحقها من الصفات ، وهي بإيجاز : الألف : ترقق بعد حروف الاستفال ، وتضخم بعد حروف الاستعلاء ، حيث أنها - أي الألف - تتبع ما قبلها في التفخيم والترقيق.

همزة [الحمد ، وأعوذ] ترقق الهمزة في الكلمتين ولا يجوز تفخيمهما وهو لحن. ولفظ [اهدنا] عندما نبدأ به في القراءة . وكذلك همزة [الله] ترقق ، وترقق لام كل من [لله] ، لكسرها ، ولام [لنا] ، واللام في [وليتلطف] الأولى والثانية ، ولام [على الله] والمقصود لام [على] وكذا لام [ولا الضالين] ، والمقصود لام [ولا] ، ولا الضالين مكسورة مرققة كما ترى.

كما ترقق الميم في [مخمصة] فالميمان مرققتان ، والخاء والصاد مخفخمة ، والميم في [مرض] والباء في [برق] ، [باطل] ، وباء [بذي] ، [بهم].

ويراعى الشدة في كل من الباء والجيم في مثل [حب ، الصبر ، ربوة ، اجتثت ، حج ، الفجر].

ويجب أن تبين قلقلة الحرف الساكن في الوقف ، كما يجب أن يبين القارىء ترقيق حاء [حصحص] ، [أحطت] ، [الحق] ، لمجاورتهما المفخم من حروف الاستعلاء ، وكذلك سين [يبسطوا] ، [يسقون] ، [مستقيم].

---

١) انظر الأبيات ٢٣-٣٢ من الجزرية.

متى ترقق الراء ومتى تفخم(١):

عند تأمل متن الجزرية ، نجد أن هناك مواضع ترقق فيها الراء وهي:

١- إذا كانت الراء مكسورة ترقق مطلقاً مثل : [وفي الرقاب] ، [رجالا].

٢- إذا كانت ساكنة بعد كسر مثل [فرعون] ، [مرية] ، ويشترط ألا يكون بعدها حرف من حروف الاستعلاء(٢) مثل [الطاء ، الصاد ، القاف] ، مثل [بالمرصاد] ، [قرطاس] ، [من فرقة] فهي مفخمة في الكلمات السابقة لوقوع حرف الاستعلاء بعدها ، وإذا كان حرف الاستعلاء مكسوراً فيه خلاف مثل : [كل فرق] فالقاف مكسورة فيجوز في الباء التفخيم والترقيق.

٣- أن يكون الكسر أصلياً فإن كان عارضاً فخمت مثل [أم ارتابوا] فإن السكون فيها عارض ، لأن لفظ [أم] ساكن حرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، فالكسر غير أصلي.

---

١) انظر الأبيات ٣٢-٣٥ من الجزرية.

٢) انظر صفات الحروف صفحة :٧١ .

التفخيم والترقيـــــــــق

معنى التفخيم :

التسمين ، وهو تسمين الحرف بجعله سميناً في المخرج وقوياً في الصفة ، أو جعل الحرف غليظاً ، وعكسه :

الترقيـــق :

وهو في اللغة التخفيف ، واصطلاحاً : حالة من الرقة والنحافة تلحق الحرف عند النطق به.

وهاتان الحالتان توصف بهما الحروف على النحو التالي :

○ حروف الاستعلاء : يجب تفخيمها وأقواها حروف الاطباق(١) ، ومراتب التفخيم خمس :

١- المفتوح الذي بعده ألف .

٢- المفتوح الذي ليس بعده ألف .

٣- المضموم .   ٤- الساكن.

٥- المكسور ، مثل : [الطامة ، طلباً ، طبع ، يطبع ، بطرت] والمقصود في الكلمات السابقة هو الطاء ، على التوالي ، وهي أمثلة حسب مراتب التفخيم المذكورة .

○ وضد حروف الاستعلاء ، حروف الاستفال : يجب ترقيقها :

وحرف الألف يتبع ما قبله في الترقيق أو التفخيم ، فيفخم إذا كان ما قبله مفخماً مثل [قال] ، ويرقق إذا كان ما قبله مرققاً ، مثل [كان].

○ وأما لام لفظ الجلالة [الله] فيفخم بعد الفتح والضم ، مثل [من الله] [لما قام عبد الله] ، وترقق بعد الكسر مثل [من عند الله].

---

١) انظر صفة الاطباق وما لها من حروف.

معرفة المقطوع والموصول في المصحف الشريف

هذا المبحث من المباحث المتعلقة بالرسم العثماني للمصحف ، فهناك بعض الكلمات رسمت مقطوعة ، وبعضها رسمت موصولة ، والمقصود بالمقطوع هو المفصول ، وهو كل كلمة انفصلت عن غيرها في الرسم واللغة ، والموصول كل كلمة اتصلت بغيرها في الرسم واللغة.

وهذا الموضوع من موضوعات الرسم ، ويجب معرفة المقطوع والموصول ليكون القارىء على بينة عندما يطلب منه الوقف حيث أنه تابع للرسم ، فيعرف كيف يقف ، على سبيل الاختيار أو إذا اضطر لذلك .
وهذه الكلمات التي يقع فيها الفصل والوصل إجمالها فيما يلي:

١- [إن] مع [لا].
٢- [إن] بكسر الهمزة وسكون النون مع [ما].
٣- [أن] بفتح الهمزة وسكون النون ، مع [ما].
٤- [عن] مع [ما].
٥- [من] حرف الجر ، مع [ما].
٦- [أم] حرف عطف ، مع [من] بفتح الميم وسكون النون اسم موصول.
٧- [حيث] مع ما.
٨- [أن] بفتح الهمزة وسكون النون - مصدرية - مع [لم].
٩- [إن] بكسر الهمزة وتشديد النون - حرف توكيد ونصب - مع [ما].
١٠- [أن] بفتح الهمزة وتشديد النون - حرف توكيد ونصب - مع [ما].

١١- [كل] مع [ما].

١٢- [بئس] مع [ما].

١٣- [في] مع [ما].

١٤- [أين] مع [ما].

١٥- [إن] الشرطية مع [لم].

١٦- [أن] الناصبة ، مع [لن].

١٧- [لكي] مع [لا].

١٨- [عن] مع [من].

١٩- [يوم] مع [هم].

٢٠- اللام الجارة مع المجرور.

٢١- [التاء] مع [حين].

وفيما يلي بيان ذلك في الجدول التالي :

الكلمة/مسلسل		مواضعها	السورة والآية	حالتها	حالة نظيراتها
أن لا	١	أن لا ملجأ من الله	التوبة ١١٨	مقطوعة	
	٢	أن لا إله إلا هو	هود ١٤	=	
	٣	أن لا تعبدوا الشيطان	يس ٦٠	=	
	٤	أن لا تعبدوا إلا الله	هود ٢٦	=	
	٥	أن لا يشركن بالله	الممتحنة ١٢	=	
	٦	أن لا تشرك	الحج ٢٦	=	
	٧	أن لا يدخلنها	ن ٢٤	=	
	٨	أن لا تعلوا على الله	الدخان ١٩	=	
	٩	أن لا تقولوا على الله إلا الحق	الأعراف ١٦٩	=	
	١٠	إن لا أقول على الله	الأعراف ١٠٥	=	
		غير هذه المواضع العشرة موصول			
إن ما	١	وأن ما نرينك بعض الذي نعدهم	الرعد ٤٠	مقطوع	غير موصول
أما	١	أما اشتملت عليه	الأنعام ١٤٣	موصول	
	٢	أما يشركون	النمل ٥٩	=	
	٣	أما ماذا كنتم تعملون	النمل ٨٤	=	
عن ما	١	فلما عتوا عن ما نهو عنه	الأعراف ١٦٦	مقطوع	موصول

الكلمة/مسلسل مواضعها		السورة والآية	حالتها	حالة نظيراتها
من ما	١ من ما ملكت أيمانكم	الروم ٢٨	مقطوع	غير هذه الثلاثة
	٢ فمن ما ملكت أيمانكم	النساء ٢٥	=	موصول وموضع
	٣ وأنفقوا من ما رزقناكم	المنافقين ١٠	=	المنافقون مختلف فيه
أم من	١ أم من أسس بنيانه	التوبة ١٠٩	مقطوع	
	٢ أم من يأتي آمنا	فصلت ٤٠	=	
	٣ أم من يكون عليهم وكيلا	النساء ١٠٩	=	
	٤ أم من خلقنا	الصافات ١١	=	
		غير هذه الاربعة موصول		
حيث ما	١ حيث ما	البقرة ١١٤	مقطوع	موصول
أن لم	١ أن لم يكن ربك	الانعام ١٣١	مقطوع	مقطوع حيث
	٢ أن لم يره أحد	البلد ٧	مقطوع	وقع
إن ما	١ إن ما توعدون لآت	الانعام ١٣٤	مقطوع	موصول
إن ما	١ إن ما يدعون من دونه	الحج ٦٢	مقطوع	
	٢ إن ما يدعون من دونه	لقمان ٣٠	=	

مختلف في الأنفال و نحل في قوله ﴿واعلموا إنما غنمتم به وإنما عند الله هو خير لكم﴾ والباقي موصول

الكلمة/مسلسل	مواضعها	السورة والآية	حالتها	حالة نظيراتها
كل ما ١	كل ما سألتموه	إبراهيم ٣٤	مقطوع	
٢	كلما ردوا إلى الفتنة	النساء ٩١	مختلف فيه	
٣	كلما دخلت أمة لعنت أختها	الأعراف ٣٨	مختلف فيه	
٤	كلما جاء أمة رسولها كذبوه	المؤمنون ٤٤	مختلف فيه	غير هذه
٥	كلما ألقي فيها فوج	الملك ٨	مختلف فيه يجوز فيه القطع والوصل	المواضع موصول
بئس ما ١	بئسما يأمركم به إيمانكم	البقرة ٩٣	مختلف فيه	غير هذه
٢	بئسما شروا به أنفسهم	البقرة ١٠٢	موصول	المواضع مقطوع
٣	بئسما خلفتموني من بعدي	الأعراف ١٥٠	موصول	
في ما ١	في ما أوحي إلي	الأنعام ١٤٥	مقطوع	
٢	في ما أفضتم فيه	النور ١٤	==	
٣	في ما اشتهت أنفسهم	الأنبياء ١٠٢	==	
٤	ليبلوكم في ما آتاكم	المائدة ٤٨	==	
٥	ليبلوكم في ما آتاكم	الأنعام ١٦٥	==	
٦	في ما فعلن في أنفسهن من معروف	البقرة ٢٤٠	==	
٧	وننشئكم في مالا تعلمون	الواقعة ٦٢	==	
٨	شركاء في ما رزقناكم	الروم ٢٨	==	

الكلمة/مسلسل	مواضعها	السورة والآية	حالتها	حالة نظيراتها
	٩ في ما كانوا فيه يختلفون	الزمر ٤٠	=	غير هذه
	١٠ أتتركون في ما ها هنا	الشعراء ١٤٦	مختلف فيه	المواضع موصول
أينما	١ أينما تولوا فثم وجه الله	البقرة ١١٥	موصول	
	٢ أينما يوجهه لا يأت بخير	النحل ٧٦	=	
	٣ أينما كنتم تعبدون	الشعراء ٩٢	مختلف فيه	غيرها مقطوع
	٤ أينما ثقفوا	الأحزاب ٦١	=	
	٥ أينما تكونوا يدرككم الموت	النساء ٧٨	=	
فإن لم	١ فإن لم يستجيبوا	هود ١٤	موصول	غيره مقطوع
الن	١ ألن يجعل لكم موعداً	الكهف ٤٨	موصول	غيرها مقطوع
	٢ ألن نجمع عظامه	القيامة ٣	=	
لكيلا	١ لكيلا تحزنوا	آل عمران ١٥٣	موصول	غير هذه
	٢ لكيلا تأسوا	الحديد ٢٣	=	المواضع مقطوع
	٣ لكيلا يعلم من بعد علم	الحج ٥٠	=	
	٤ لكيلا يكون عليك حرج	الأحزاب ٥٠	=	
عن من	١ ويصرفه عن من يشاء	النور ٤٣	مقطوع	غيرهما
	٢ عن من تولى	النجم ٢٩	=	موصول

الكلمة/مسلسل	مواضعها	السورة والآية	حالتها	حالة نظيراتها
يوم هم ١	يوم هم بارزون	غافر ١٦	مقطوع	غيرهما
٢	يوم هم على النار يفتنون	الذاريات ١٣	=	موصول
مال هذا ١	مال هذا الكتاب	الكهف ٤٩	مقطوع	غير هذه
٢	مال هذا الرسول	الفرقان ٧	=	
٣	فمال هؤلاء القوم	النساء ٧٨	=	
٤	فمال الذين كفروا	المعارج ٣٦	=	
ولات حين ١	ولا تحين مناص	ص ٣	موصول	

وبعد ، فهذه مواضع القطع والوصل بعيداً عن الخلافات ، ومواضع النزاع بين القراء وعلماء الرسم ذكرتها بهذه الصورة تتميماً للفائدة وإسراعاً إلى المطلوب.

هناك بعض الحروف ثابتة وبعضها محذوف بالمصحف أشار إليها الشراح نوجز ذكرها فيما يلي(١):

- أن كل اسم منادى أضافه المتكلم لنفسه محذوف منه الياء ، ولكن تثبت الياء في قوله ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ ، ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ ، حيث اتفق العلماء على إثبات الياء فيها.
- وتحذف الياء أيضا في [فارهبون] ، [فاتقون] ، [ولا تكفرون] ، [أطيعون] وهي واقعة في محل نصب مفعولا به ، ودلت عليها كسرة النون. كما تحذف أيضا في نحو [الواد المقدس].

وتثبت الياء في ﴿واخشوني ولأتم نعمتي﴾ ، ﴿يأتي بالشمس﴾ ، ﴿فاتبعوني يحببكم﴾.

- وكل واو في المفرد والجمع ثابتة مثل : [يرجو] ، [بنو اسرائيل] ، [يمحو الله ما يشاء]... الخ.

ولكن هناك مواضع أربعة حذفت فيها واو الواحد وهي : ﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ ، ﴿ويمح الله الباطل﴾ ، ﴿يوم يدع الداعي﴾ ، ﴿سندع الزبانية﴾ ، فحذفت الواو في كل هؤلاء.

وهذا أيضاً من المباحث المتعلقة بالرسم ، والقاريء في حاجة إليها ليعرف ما يثبته عند الوقف ومالا يثبته ، وفي الموضوع تفصيلات في المطولات من كتب القراءات فليرجع إليها من شاء الزيادة.

---

١) انظر شرح الجزرية للأنصاري ط / المكتبة المحمودية ص ٣٧-٣٨ ، وانظر العميد في علم التجويد للشيخ / محمود بسه ، ط أولى سنة ١٩٦٠ ، مكتبة الرافعي ص ١٩٢ ، وما بعدها.

يجب على قارىء القرآن أن يراعي الوقف وينظر في ابتداءاته القراءة لأن ذلك يؤكد المعنى في الذهن كما يعمق فهم الآيات والاهتداء بما فيهما من أحكام ، ويتحقق الأمل المنشود من القراءة والهداية والنور.

الوقــــــف :

هو لغة الكف ، واصطلاحاً قطع الكلمة عما بعدها بسكتة طويلة مع التنفس ، وقيل في تعريفه : قطع الكلمة عما بعدها بمقدار من الزمن مع التنفس ونية العودة إلى القراءة في الحال.

ويكون ذلك : في آخر السورة ، أواخر الآية ، أو أثنائها ، كما أنه يمتنع وسط الكلمة أو المتصل رسماً .

والوقف بصفة عامة قسمان : اختياري ، واطراري.

وقيل : اختباري (بالباء) الموحدة.

فالاضطراري :

هو ما كان بسبب أمر عادي للقارىء كان انقطع نفسه أو بسبب العطاس أو السعال أو ما يشبه ذلك ، فسببه الضرورة والاضطرار ، حيث يقف الانسان على الكلمة التي طرأت فيها الضرورة وبعد أن تزول تلك الضرورة يبتديء بالكلمة التي وقف عليها ليواصل قراءته ، هذا إن صح ذلك وإلا فالابتداء بما قبلها.

وأقسام الوقف الاختياري :

- تام
- كاف
- حسن
- قبيح.

فالوقف التام :

هو الوقف على كلام تام في ذاته غير متعلق بما بعده لا في اللفظ ولا في المعنى ، وبه تم الكلام ، كالوقف على آخر الآيات والسور ، وأواخر

القصص مثل قوله تعالى : ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ ، ومثل قوله : ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم﴾ ، وقوله : ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ، حيث أنه ختام حال المؤمنين وصفاتهم في سورة البقرة.

والوقف الكافي :

هو الوقف على كلام تام في ذاته له بما بعده تعلق بالمعنى دون اللفظ وحكمه أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، وكذا يقال في التام.

ومثال ذلك : إذا وقفت على لفظ الجلالة من [الحمد لله] رب العالمين ، وكذا العالمين من [رب العالمين].. ومثل ﴿لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ ، وقد يكون هذا الوقف على رؤوس الآي ، أو قريباً منها ، ووسط الآيات ، أو قريباً من الآية.

والوقف الحسن :

هو ما كان على كلام تام في ذاته متعلق بما بعده في اللفظ والمعنى معاً.

وصوره : كأن يكون متبوعاً وما بعده تابعاً له(1) ، أو مستثنى منه وما بعده مستثنى ، وسمي حسناً لأنه يحسن الوقف عليه ، وقد يكون على رأس الآي ، أو قريباً منها ، ووسط الآية ، أو قريباً من أول الآية.

وحكمه : أنه يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء إذا كان الوقف على غير رأس الآية اتفاقاً كأن يتعلق المتأخر بالمتقدم من حيث المعنى والإعراب.

ومثال الحسن : [الحمد لله] ، فالوقف هنا حسن ، إذ أن المعنى واضح جلي ويفهمه كل قارىء ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده ، لأن [رب العالمين] تابع في الإعراب للفظ الجلالة فهي صفة له ، كما أن [الحمد لله] ليس

---

1) التوابع هي : النعت ، البدل ، عطف البيان ، عطف النسق ، التوكيد بنوعيه ، والمنعوت ، والمبدل منه ، والمعطوف عليه ، والمؤكد متبوعات.

رأس الآية ، وهكذا ..

والوقف القبيح :

هو الوقف على ما لم يتم معناه ويتعلق بما بعده لفظاً أو معنى ، كالوقف على المضاف دون المضاف إليه كالوقف على رب من قوله [رب العالمين] أو أحد جزأي الكلام ، كالوقف على [هذان] من قوله [هذان خصمان] أو الوقف على الموصوف دون الصفة.

وحكمه :

أنه لا يحسن الوقف عليه ، ولا الابتداء بما بعده إلا إذا كان مضطراً كحالات العطاس ، أو السعال ، أو انقطاع النفس . وأقبح القبيح الوقف ، والابتداء الموهمان خلاف المعنى المراد ، كالوقف على قوله : ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا﴾ ، ثم البدء بما بعده لقوله ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ ، وهو غير جائز وموهم خلاف المقصود ولذا كان قبيحاً.

تنبيـــه :

الوقف في حد ذاته لا يوصف بوجوب أو حرمة ، كما لا يوجد في القرآن وقف يأثم القارىء بتركه ، ولا حرام يأثم بفعله ، وإنما يتصف بهما بحسب ما يعرض له من قصد وإيهام ، وما يقصده القارىء منه ، كما أن الوقف على رءوس الآي منه عن النبي ﷺ.

باب اللامـــــــــــــات(١).
والفرق بين الضاد والظاء(٢).

هناك أيضاً تحذيرات وإرشادات ذكرها الجزري لينبه القارئ إليها في بعض أحوال الحروف واستعمالاتها حتى لا يختلط عليه عند الأداء والتلاوة:

١- لام لفظ الجلالة [الله] يجب ترقيقها بعد الكسر ، ويجب تخفيمها بعد الفتح أو الضم ، فهو مفخم في [هو الله] ، [وإنه لما قام عبدالله] وترقق في مثل قوله [من عند الله] ، وذلك سواء كانت الكسرة عارضة أو أصلية أو منفصلة.

٢- حروف الاستعلاء مفخمة وهي [الخاء ، الصاد ، الضاد ، الغين ، الطاء ، القاف ، الظاء] وأقواها تفخيماً هو حروف الاطباق [الظاء ، الضاد ، الطاء].

٣- وعلى القارئ بيان الاطباق في الطاء في مثل قوله [أحطت] وقوله [بسطت] حتى لا تشتبه بالتاء المجانســـــة حيث أنهما متحدتان في المخرج(٣).

ووقع الخلاف بين القراء في [نخلقكم] هل يبقى الاستعلاء في القاف أو

---

١) انظر الابيات من ٣٦-٤١ من الجزرية

٢) وانظر الابيات من ٤٤-٥٣ من الجزرية.

٣) من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.

لا يبقى؟.. ورأوا عدم إبقاء الاستعلاء.

٤- ويجب إظهار سكون اللام في [جعلنا] وسكون النون في [أنعمت] والغين في [المغضوب]، واللام الثانية في [ضللنا]، حتى لا يقع القارئ في تحريكها حيث أنه لحن جسيم.

٥- كما يجب إظهار الانفتاح، والاعتناء به في الذال من [محذوراً] والسين من [عسى]، لئلا تشتبه الأولى بـ [محظوراً]، والثانية بـ [عصى]، حيث تتحولان خطأ وإهمالا إلى [الظاء والصاد]، إذ أن الذال والسين منفتحتان والصاد والطاء مطبقتان، وهما متحدتا المخرج، فالفارق بينهما الصفة التي تتأكد بانفتاح الفم أو انطباقه.

٦- ويجب مراعاة الشدة في [الكاف] و [التاء] مثل قوله [بشرككم] حيث يجب أن يعتنى بنطق الكاف والمحافظة على نطقها، ومثل [تتوفاهم] فيجب المحافظة على الشدة في التائين، ويعتنى بكل منهما وتنطق في مكانها، وهكذا في سائر الصفات التي سبق بيانها، يجب الاعتناء بها عند أداء الحروف، لأن هذا هو حق الحرف، وهو غاية التجويد في التلاوة.

٧- يفرق بين الضاد والظاء في المخرج، حيث أن الضاد تخرج من إحدى حافتي اللسان مما يلي الأضراس العليا أو من الحافتين معا(١).
وأما الظاء فتخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، كما

---

١) يقصد اليمنى أو اليسرى.

يفرق بينهما في الصفة ، إذ أن الضاد مستطيلة ، والظاء ليست مستطيلة(١).

ووقعت المواد التي بها الظاء غير المستطيلة في الظعن ، الظل ، الظهيرة ، العظمة ، الحفظ ، اليقظة ، الإنظار ، [بكسر الهمزة] ، العظم - [مقابل اللحم] - الظهر - [مقابل البطن بفتح الظاء] - اللفظ ظهر (بفتح الهاء) ، اللظى ، الشواظ ، الكظم ، الظلم ، الغلظة ، الظلمة ، الظفر (بضم الظاء) ، الانتظار ، الظمأ ، الظفر (بفتح الظاء) ، الظن ، الوعظ ، ظل (بفتح الظاء واللام المشددة) ، الحظر ، الاحتظار ، الفظاظة ، النظر(٢) ، الغيظ ، الحظ.

فهذه صور ثلاثين مادة دارت في القرآن بصور عديدة فيها حرف الظاء وما عداها من المواد ، ويحتمل أن يقرأ بالضاد أو الظاء فهي بالضاد باتفاق القراء ، وقد اختلف في [ضنين] في التكوير في قراءتها بالضاد أو الظاء ، كما أشار إلى ذلك الإمام الجزري في منظومته.

وبعــــد :

فهذه أهم أبواب علم التجويد ، التي يجب على قارىء القرآن الإلمام بها ، والتزام ما فيها من أحكام وآداب ، ويراعي تلك القواعد في قراءته القرآن ليكتمل له ثواب التلاوة ، وليصل إلى قلبه نوره ، وليكون مع الكرام البررة.

وقد عرضت تلك الأحكام بأسلوب ميسر وسهل ، متبعاً فيه الوضوح والبعد بقدر الإمكان عن الخلافات ، أو المناقشات ، متخذاً خلاصة المتفق عليه بين القراء ، وذلك ليتحقق الهدف الأسمى بنيل الدرجات العلا والاهتداء بالقرآن.

---

١) الاستطالة هي : امتداد مخرج الضاد عندما ننطق بها حتى تتصل بمخرج اللام.

٢) يستثنى من هذه المادة : يومئذ ناضرة ، نضرة وسروراً ، ونضرة النعيم ، فإنها بالضاد لا بالظاء.

وبعد .. فيا أخي المسلم..

فإن القرآن الكريم هو مرجعك ومحتكمك ترد إليه أمورك وتقف على توجيهه فيما تريد.. فتمتثل وتطيع لأنه دليل حفظ الحياة بكل صورها ومجالاتها ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد - الذى أحاط علمه بكل أمورك واحتياجاتك، فنظم لك كل شئ، وشرع لك كل صالح، وأبعدك عن كل فساد يُتلف عليك حياتك وعلاقاتك بما حولك وبمن حولك.. فلا يسعك إلا الاتباع دون أى تردد وقد وَقَرَ فى قلبك من خلال الدراسة السابقة أنه قد حُفِظ من التحريف أو التبديل وقد صانه الله على مدى الزمان من أيدي العابثين، ورغم ما يعترى العالم الإسلامي من خلافات ومشاحنات وصور اعتداء إلا أن الله تعالى قد حفظ كتابه فى الصدور والسطور، وترى من وقت لآخر صدور طبعات للمصحف الشريف ممتازة ودقيقة، والعجيب فى هذا أن الطابع قد يكون غير مسلم وإنما دافعه إلى ذلك هو الكسب المادى فتفنن فى إخراج المصحف أو الشريط المسجل بالصورة المرغوبة لدى أمة القرآن والمقررة من علماء القرآن وحفظته.. والشواهد فى الواقع على ذلك كثيرة.. ولأن القرآن فى هذه الحال من الحفظ والضبط . فليعلم المسلم:

أ- أنه ينبغى عليه أن يرتبط بكتابه الكريم فى التعبد بتلاوته والمداومة على قراءته، والاعتبار بما فيه من أخبار، والالتزام بما تضمن من أوامر واجتناب ما فيه من النواهى، واستنباط التشريعات من آياته لإبرازها والتزامها - وذلك كله لصالح الفرد والمجتمع المسلم.

ب- ينبغى أن يُعلم أن فى القرآن السبيل الوحيد للسعادة والهداية، فاتباع هذا القرآن طريق الهُدى والرُشد، والسعادة والأمن والاستقرار، وسعة الرزق.

والإعراض والبعد عن القرآن سبب لضيق الرزق - وضعف الأمة وضياع شخصيتها وذوبانها فى الأمم الضالة.

ج - يجب العلم بصفة يقينية أن قوة الأمة وتمكنها لا يتم ولا يتحقق إلا بتمسكها

بكتابها والتزامها دستورها الذي يحقق لها الأمن والقوة ويوفر لها أسباب النصر والتقدم ووحدة الكلمة وقوة الصف، وما ضعفت الأمة الإسلامية إلا لبعدها عن قرآنها وهَدْى نبيها. فكانت ثمرة البعد عن هَدْى القرآن أن طمع فيها وفى أبنائها وخيراتها الدانى والقاصى، واجتمعت عليها الأمم وتداعت كما يتداعى الأكلة إلى قصعتهم - كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ .. وبديهى أنه لا خلاص من ذلك إلا بالعودة إلى حظيرة الإيمان ونور القرآن لأن وعد الله لا يتخلف فى قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ والمراد نُصرة دين الله ظاهراً وباطناً أو عقيدة وعملاً.

د - وينبغى العلم بأن الدعوة ثابتة الأركان قوية الدعائم لأنها تقوم على القرآن وتوجيهاته - فأصول التشريع واضحة، ومناهج التبليغ وأساليبه واضحة من خلال القرآن الكريم والسُنَّة النبوية.

بعد كل هذا أخى المسلم .. ندعوا أنفسنا.. وندعوك وإيانا إلى الارتباط بالقرآن والتمسك به، وتدبُّر آياته لننال فضل تعلُّمه وتعليمه والاهتداء بهَدْيِه فى كل مجالات الحياة.. سائلين الله جل وعلا لنا جميعاً التوفيق والسداد، والهُدى والرشاد..

وأولاً وأخيراً الحمد لله رب العالمين ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً﴾ (الإسراء ١١١).

دكتور / جلال سعد البشار

المدينة المنورة فى ٢١ محرم ١٤١٣هـ

٢١ يولية ١٩٩٢م

فهرس المراجع

١- الإتقان فى علوم القرآن - السيوطى - ط المكتبة الثقافية - بيروت.

٢- الأحرف السبعة - أبو عمر الدانى - مكتبة المنارة - مكة.

٣- الإرشادات الجلية فى القراءات السبع - محمد محمد محمد سالم محيسن - ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٤.

٤- أصول الدعوة - الدكتور عبد الكريم زيدان - ط مؤسسة الرسالة.

٥- أصول الفقه - الإمام محمد أبو زهرة - ط دار الفكر العربى.

٦- بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ابن رشد - ط دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط سادسة ١٩٨٣.

٧- البيان فى مباحث علوم القرآن - الشيخ عبد الوهاب غزلان - ط دار التأليف.

٨- التبيان فى علوم القرآن - محمد على الصابونى - ط مؤسسة مناهل الفرقان - بيروت ١٩٨٠.

٩- تفسير الكشاف - الزمخشرى - ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون سنة طبع.

١٠- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ط مصطفى الحلبى - القاهرة.

١١- الحجة فى القراءات السبع - ابن خالويه - تحقيق د/ عبد العال سالم - د دار الشروق.

١٢- الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها - د/ أحمد غلوش - ط دار الكتاب المصرى - القاهرة - ديسمبر ١٩٧٨.

١٣- سنن الترمذي - ط مصطفى الحلبى - ط ثانية ١٩٨٧.

١٤- سنن أبى داود - السجستانى - ط دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٤.

١٥- سنن ابن ماجة - ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى.

١٦- سنن النسائي بحاشية السندى، وشرح السيوطى - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة - ط دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٨٨.
١٧- شرح الشاطبية المسمى إرشاد المريد إلى مقصود الوصيد - الشيخ على الضباع - ط صبيح - القاهرة.
١٨- شرح الجزرية - الشيخ زكريا الأنصارى - ط المكتبة المحمودية.
١٩- شرح متن تحفة الأطفال - تعليق الشيخ على الضباع - ط محمد على صبيح ١٩٥٩.
٢٠- صحيح مسلم - بشرح النووى - ط دار الريان للتراث.
٢١- صحيح البخاري بشرح فتح البارى - ابن حجر العسقلانى - ط دار الفكر - بيروت.
٢٢- العميد فى فن التجويد - الشيخ محمود بسة - ط الرافعى - ط أولى ١٩٦٠.
٢٣- فقه السُنَّة - الشيخ سيد سابق - ط مكتبة المسلم.
٢٤- الفقه على المذاهب الأربعة - ط وزارة الأوقاف - ط سادسة.
٢٥- مباحث فى علوم القرآن - مناع القطان - ط مؤسسة الرسالة.
٢٦- مجلة الأزهر - المجلد السابع.
٢٧- مجموعة كنوز القرآن - المفردات السبع - للإمام أبو عمر الدانى - ط الحلبى.
٢٨- مناهل الفرقان فى علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقانى - ط المطبعة الفنية بالقاهرة.
٢٩- موطأ الإمام مالك - ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
٣٠- نهاية القول المفيد فى علم التجويد - المكى - ط عيسى الحلبى.
٣١- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة - الشيخ على محفوظ - المطبعة المحمودية بالقاهرة.

* * * * *

فهرس الموضوعات

٩٢ / ١٥٣١
I. S. B. N. 977 - 00 - 5197 - 0

دار أبو المجد للطباعة